جامعة آل البيت
كلية الدراسات الفقهية والقانونية
قسم أصول الدين/ فرع التفسير
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي

استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم

(Future Anticipation as Stated in the Holy Quran)

إعداد الطالب
خضر إبراهيم أسعد قزق

إشراف الدكتور
عماد عبد الكريم الخصاونة

٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم
جامعة آل البيت

استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم

(Future scope view in the Holy Quran vision)

إعداد الطالب

خضر إبراهيم أسعد قزق

(٠٥٢٠١٠٥٠١٠)

إشراف الدكتور

عماد عبد الكريم الخصاونة

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١. د. عماد الخصاونة ..... مشرفاً	جامعة آل البيت	.....
٢. أ.د. محمد الزغول .....عضواً	جامعة آل البيت	.....
٣. أ.د. أحمد نوفل .....عضواً	الجامعة الأردنية	.....
٤. أ.د. عبد الرحيم الزقة .....عضواً	جامعة آل البيت	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين / فرع التفسير في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت ، نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٠ / ٥ / ٢٠٠٨م .

الإهداء

إلى كل من يتطلع إلى مستقبل رائع تحت ظل الإسلام

إلى الدعاة العاملين لإعزاز هذا الدين ونصرة الشريعة

إلى المتعطشين للإسلام وحكمه وعدله وأمنه وأمانه

إلى أولئك الذين نذروا أنفسهم لله ؛ ولإعلاء كلمته سبحانه لتكون هي العليا

إلى أهلنا المرابطين في فلسطين عموماً، والى المحاصرين في غزة خصوصاً، بأن لهم البشرى بالنصر والغلبة والتمكين بإذن الله تعالى

إلى كل المجاهدين في سبيل الله تعالى في العراق ، وأفغانستان، وكشمير ، والشيشان ، وفي كل مكان ، أبشرهم بأن النصر آت

إلى روح والدتي الغالية الحبيبة التي علمتني معنى الحياة، رحمها الله تعالى

إلى والدي الحبيب الذي غرس في قلبي حب الله تعالى وحب رسوله ، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى

إلى زوجتي حنان التي ما قصرت أبداً في توفير الجو المناسب وكل ما أحتاج إليه من أجل إنجاز هذا العمل

إلى أبنائي البراء وحمزة ؛ نذرتهما لله ، وأحرص أن يكونا من العاملين لهذا الدين إن شاء الله تعالى

إلى الذين وفروا لي كل الدعم ، سواء المادي أم المعنوي

إلى الذين ربوني وعلموني في مسجدي ومدرستي وجامعتي

أهدي هذا العمل

الشكر والتقدير

الحمد لله تعالى أولاً وآخراً ، فله وحده الفضل والمنة ، ومن شكره تعالى أن نشكر لكل من ساعد وساهم في إنجاز هذا العمل ؛ إن في النصح والإرشاد وإن في الدعم والإمداد ،وأخص بالذكر هنا الدكتور الفاضل عماد الخصاونة حفظه الله الذي غمرني بعطفه وحلمه ، وحسن توجيهه وإرشاده ، فكان نعم المعلم والموجه والمرشد ، ولا أنسى أن أسجل هنا عبارته التي طالما دبت في أوصالي الاستزادة من علمه والطلب منه دون تردد ، حين كان يراني فيقول لي أهلاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي أوصى طبعاً بطلبة العلم ، فجزاه الله عني كل خير .

كما ولا يفوتني هنا أن أذكر بالشكر والتقدير فضيلة الدكتور الشيخ صلاح الخالدي الذي كان له الدور الكبير في توجيهي وتعليمي ودلالتي على الخط الأمثل للسير في هذه الدراسة ، فله كل الشكر والتقدير والاحترام ، وكما لا يفوتني أن أذكر بالشكر والتقدير الشيخ عبد الله القزق الذي دعمني بماله ونصحه وتشجيعه ، كما وأتقدم بجزيل الشكر وبالغ العرفان لأعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بقبولهم المشاركة في مناقشة هذه الرسالة الأمر الذي يضيف ويضفي على الرسالة الفائدة والبركة ، ويزيدها زخماً وروعةً وجمالاً ، والشكر موصول لكل من كان له دور في إنجاز هذا العمل والله تعالى أعلم بهم وهو يجزيهم عني خير الجزاء .

اللهم آمين

المحتويات

المحتوى ..... الصفحة

الإهداء ..... ج

الشكر ..... د

المحتويات ..... هـ – ز

ملخص باللغة العربية ..... ح - ط

المقدمة ..... ي – ل

مشكلة الدراسة ..... م

أهمية الدراسة ..... ن- س

الدراسات السابقة ..... ع - ص

منهجية الدراسة ..... ص - ق

الفصل التمهيدي : المدخل لاستشراف المستقبل ، وفيه مبحثان :..... ١

المبحث الأول: تعريف الاستشراف وصيغ المستقبل، وفيه خمسة مطالب: ٢

المطلب الأول: معنى الاستشراف، لغةً واصطلاحاً..... ٢- ٣

المطلب الثاني: معنى المستقبل، لغةً واصطلاحاً. ..... ٤ - ٥

المطلب الثالث: مفهوم استشراف المستقبل في القرآن الكريم. ..... ٥ - ٧

المطلب الرابع: صيغ المستقبل في القرآن الكريم. ..... ٨ - ٩

المطلب الخامس: المقصود بالمنظور القرآني. ..... ١٠ - ١٢

المبحث الثاني: مدخل تعريفي بخصائص وخطوات استشراف المستقبل،

وفيه أربعة مطالب: ١٣

المطلب الأول:التعريف باستشراف المستقبل..... ١٤- ١٧

المطلب الثاني: خصائص استشراف المستقبل..... ١٨- ١٩

المطلب الثالث: أهمية استشراف المستقبل..... ١٩ - ٢٤

المطلب الرابع: خطوات استشراف المستقبل..... ٢٤ – ٢٦

الفصل الأول: السنن الإلهية في المستقبل الإنساني، وفيه تمهيد

وخمسة مباحث..... ٢٧

التمهيد : ..... ٢٨ – ٣٠

المبحث الأول: تعريف السنن الإلهية. ..... ٣٠ – ٣٢

المبحث الثاني:أهمية دراسة السنن الإلهية. ..... ٣٢ – ٣٤

المبحث الثالث : خصائص السنن الإلهية . ..... ٣٤ – ٣٩
المبحث الرابع: العلاقة بين السنن الإلهية واستشراف المستقبل. ..... ٣٩ - ٤١
المبحث الخامس: أمثلة من السنن الإلهية : وفيه ثلاثة مطالب ٤١
المطلب الأول : سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات ..... ٤١ – ٤٦
المطلب الثاني : سنة الله تعالى في نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين ..... ٤٧ – ٥٤
المطلب الثالث : سنة الله تعالى في التدافع والصراع بين الحضارات ..... ٥٤ – ٦١
الفصل الثاني مستقبل الأمة كما يصوره القرآن الكريم،
وفيه ثلاثة مباحث : ٦٢
المبحث الأول: استشراف مستقبل الأمة السياسي. ..... ٦٢ – ٨٣
المبحث الثاني: استشراف مستقبل الأمة الاقتصادي ..... ٨٣ – ١٠١
المبحث الثالث: استشراف مستقبل الأمة الاجتماعي ..... ١٠٢ – ١٢٢
الفصل الثالث مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم
وفيه تمهيد ومبحثان: ١٢٣
تمهيد : ..... ١٢٤ – ١٣٠
المبحث الأول: المقومات (الدينية) الروحية ، وفيه ثلاثة مطالب: ١٣١
المطلب الأول: الدين الإسلامي..... ١٣٢ - ١٤٤
المطلب الثاني:العلم..... ١٤٥ - ١٦٠
المطلب الثالث: التاريخ..... ١٦١ – ١٧٠
المبحث الثاني: المقومات المادية وفيه مطلبان: ١٧١
المطلب الأول: الإنسان (الخليفة) ..... ١٧٢ – ١٨٠
المطلب الثاني :الإمكانات والثروات الهائلة..... ١٨١ – ١٨٩
الفصل الرابع : معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ،وفيه تمهيد ومبحثان
: ١٩٠
التمهيد : ١٩١
المبحث الأول: المعوقات الداخلية: ..... ١٩٢ – ١٩٤
المطلب الأول: تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم ..... ١٩٤ - ٢٠٥
المطلب الثاني:الجهل..... ٢٠٦ – ٢١٠
المبحث الثاني: المعوقات الخارجية: ٢١٠

المطلب الأول : مؤامرات الأعداء وإمكاناتهم المادية الهائلة..... ٢١١ – ٢٢٠
المطلب الثاني: الخطر اليهودي : ..... ٢٢٠ - ٢٣٤
الخاتمة : ..... ٢٣٥ – ٢٣٩
التوصيات..... ٢٤٠ - ٢٤١
قائمة المصادر والمراجع..... ٢٤٢ – ٢٥٠
ملخص باللغة الانجليزية ..... ٢٥١ – ٢٥٢

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء وجلب اهتمام الأمة إلى موضوع الاستشراف والتخطيط للمستقبل لما له من الأهمية من خلال تنفيذ أمر الله تعالى بالإعداد والاستعداد وبذل

كامل الاستطاعة من أجل امتلاك كل مقومات القوة وعناصرها بما يؤهل الأمة لتسنم دورها الريادي في قيادة البشرية وصناعة المستقبل وبالتالي استلام أستاذية العالم .

إن عملية استشراف المستقبل تخضع لكثير من المتغيرات والسيناريوهات إذا كانت معتمدة على نظريات وضعية وقوانين بشرية ، فهذه وتلك تبقيان قاصرتين عن التصور الشمولي الذي يصب لصالح المصداقية في النتائج والمقررات ، أما إذا كانت عملية استشراف المستقبل مستندة على القرآن الكريم ومنطلقة من منظور القرآن الكريم ، فإنها والحالة هذه تتمتع بكامل المصداقية والثبات والشمول باعتبار مصدرها الإلهي .

وقد حرص الباحث في هذه الدراسة كل الحرص على تعريف المصطلحات المستخدمة في هذه الدراسة لغة واصطلاحا كلما ظهرت الحاجة إلى ذلك ، والخروج بتصورات واضحة لعملية استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم ، والتنبيه المتكرر على أهمية عملية الاستشراف وأدواتها وخطواتها ، ويتلخص منهج الباحث في هذه الدراسة بتحديد المحاور التي يراها الباحث ذات علاقة وصلة بمفردات المستقبل ، ومن ثم استعراض الآيات الكريمة ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بتلك المحاور، مع ذكر أقوال بعض المفسرين القدامى والمحدثين ، وبعد ذلك كله استخراج الدروس والعبر من خلال ربط هذه الأقوال بعملية استشراف المستقبل .

وقد تكونت هذه الدراسة من فصل تمهيدي، وأربعة فصول:

الفصل التمهيدي ، وتحدثت فيه عن مفهوم عملية استشراف المستقبل وتعريف مصطلحاتها .

الفصل الأول : وتحدثت فيه في خمسة مباحث عن السنن الإلهية في المستقبل الإنساني ، وأهمية دراسة السنن باعتبار أنها محل تتوافق فيه النتائج في الماضي مع المستقبل إذا تطابق أو تقاربت فيه المقدمات .

أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن مستقبل الأمة كما يصوره القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مباحث، تتمثل في المستقبل السياسي والاقتصادي والاجتماعي باعتبار أنها أهم الأسس لبناء المجتمع القوي الثابت.

أما الفصل الثالث، فتحدثت فيه عن مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم، في مبحثين بينت خلالهما المقومات الدينية الروحية، والمقومات المادية، على اعتبار أن الحق والقوة يكمل بعضهما بعضا.

أما الفصل الرابع والأخير، فتحدثت فيه عن معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم، ضمن مبحثين اثنين، وضحت خلالهما أن تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم هو أهم أسباب تردي وازدياد مشكلات العالم.

وقد خرجت من ذلك كله بأن المستقبل لن يكون إلا لهذا الدين ، بإذن الله تعالى ، باعتبار أنه الدين الحق ، وأن العالم سيبقى يتخبط في الظلمات والتيه والضياع طالما لم يمسك ويتمسك بالنور الإلهي المتمثل بهذا الدين ، وكذلك خرجت بخلاصة تتمثل باعتبار الأمة الإسلامية هي الأمة الأقدر والأجدر،على قيادة البشرية وصناعة المستقبل .

مـقـدمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلاة ربي وسلامه على نبي الرحمة المهداة ، حبيبنا وقائدنا وقرة أعيننا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عن الصحابة الغر الميامين الذين حملوا لواء هذا الدين وأوصلوه بدقة وأمانة للعالمين ، فكانوا السفراء الناصحين والعلماء

العاملين ، والقادة المجاهدين الفاتحين ، اللهم وارض عنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم أما بعد :

ليس رجماً بالغيب ، ولا ندعيه، بل عن علم ودراية وفهم ، وليس عن عاطفة جياشة تجاه هذا الدين العظيم ، وإن كنا نقرها ونعلنها ونفخر بها ؛ أقول ليس من هذا ولا من ذاك أن يقال إن القرآن الكريم رسم للبشرية طريق سعادتها وكفل لها إن هي اتبعت هداه وتوجيهه أن ينقلها إلى بر الأمان والسعادة والهناء ، قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[1] ، وأن الله تعالى قد سطر في هذا القرآن الكريم ما ينير به الدروب ، ويجلى الحقائق ، ويثبت أركان الهداية للناس في حاضرهم ومستقبلهم على حد سواء ، كيف لا ، والله تعالى هو خالق هذا الكون ، وهو أعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير ، قال تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير ُ) [2] ، وأن القرآن الكريم قد سطر أن الغلبة والنصر والتمكين والمستقبل لأتباع هذا الدين الآخذين بهديه القويم ، قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [3] ، وقال تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [4] .

إن موضوع استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم يكتسب أهمية كبرى من نواح عدة ، منها أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، ومنها أن البشرية ومنذ خلق الله الأرض ومن عليها كانت تتيه في ركامات الضلال كلما ابتعدت عن توجيه ربها لها ، ومنها ما وصل إليه العلم اليوم من تقدم وتطور وتكنولوجيا ؛ بحيث أصبح علم استشراف المستقبل علماً قائماً بذاته ، لما له من الأهمية الإستراتيجية في بناء التصورات والأحكام التي تساعد في بناء الحضارات وتعين على تجاوز الصعوبات والمشكلات ، وهو بالتالي يعتبر من العلوم العصرية والتي لا غنى عنها لأية أمة تريد أن يكون لها في المستقبل شأن ووجود .

---

[1] . سورة الأعراف الآية(٩٦).
[2] . سورة الملك، الآية (١٤).
[3] . سورة الروم، الآية (٤٧).
[4] . سورة الأنبياء، الآية (١٠٥).

إن علم التنبؤات اليوم ، مع كونه علماً قائماً على الدراسات البشرية القاصرة ، والتصورات المحدودة للأحداث إلا أن له حظوة كبرى ومكانة مرموقة في علوم اليوم ، فهو علم يستند على معلومات مسبقة يخلص منها إلى أحكام مستقبلية تتبني ويؤسس عليها .

أما ما يختص بالنظرة الاستشرافية للمستقبل من منظور القرآن الكريم ، فالأمر مختلفٌ تماماً ، من حيث أن التصورات المسبقة والمعلومات التي يبنى ويؤسس عليها معلومات ثابتة قطعاً ويقيناً ، فهي من عند الله تعالى ، وبالتالي فإن الأحكام التي يتوصل لها تكتسب درجة عليا من الموثوقية والثبات ، ويبقى الحذر كل الحذر في فهم النصوص القرآنية في الأحكام الخاصة فهماً يتناسب وينسجم مع مراد الله تعالى من كلامه ، وهذا المحذور يحتاج إلى الكثير من العناية والرعاية والجهد والبحث والتدقيق ، وإسناد ذلك بما يتوافق مع ما تعارف عليه سلف هذه الأمة وخلفها وتلقته الأمة بالرضى والقبول .

والبشرية اليوم بحاجة ماسة لمن يرسم لها المستقبل ، وينير لها الدرب ، وليس هناك من نور فوق نور الله ، قال تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [1].

ويرجو الباحث أن يجلي الصورة التي رسمها القرآن الكريم للمستقبل ، وأن يدعم كل حيثية من حيثيات بحثه خاصة فيما يتعلق بالنتائج التي يتوصل إليها بالأدلة الشرعية التي تتناسب مع كل ما يذهب إليه دون غلو ولا شطط ولا انجرار وراء عاطفة ، ويرجو الباحث أن يوفق في إتباع خطوات منهج البحث العلمي بدقة للتوصل إلى نتائج البحث .

وأخيراً يقر الباحث أنه إن أصاب وأحسن فمن الله تعالى وحده لا شريك له ، وإن أخطأ وقصر وأساء فمن نفسه المخطئة والمقصرة والمسيئة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

[1]. سورة النور ، الآية (٣٥) .

مشكلة الدراسة

يرجو الباحث أن يجيب من خلال بحثه عن الأسئلة التالية:

١. هل ورد في القرآن الكريم آيات كريمة تتحدث عن المستقبل وقضاياه ؟ وهل تحدثت تلك الآيات عن المستقبل وقضاياه صراحة أم ضمنا ؟
٢. ما هو المستقبل الذي رسمه القرآن الكريم للناس إن هم اتبعوا هديه ؟ وما هو مصيرهم في مستقبلهم إن هم عتوا عن أمر ربهم ؟
٣. كيف نستشرف المستقبل من خلال آيات القرآن الكريم، مع إسناد ذلك بالأدلة ذات العلاقة ،وحسن التوجيه للآيات ؟
٤. كيف يستفيد المسلم من الآيات الكريمة التي ترسم المستقبل ؟ وما مدى ما تبثه من يقين وطمأنينة في قلبه بأن النصر والتمكين لأمة القرآن ؟

٥. هل يعني أن " العاقبة للمتقين " أن يكون المسلم خاملاً لا يبذل الجهد المستطاع لإعلاء هذا الدين ، أم أن هذا يشكل له دافعاً ومحفزاً ومنشطاً لاستلام دوره والقيام بواجبه في صياغة مستقبل هذه الأمة وفق ما يحب الله تعالى ويرضى ؟

٦. ما هي عوامل بناء المستقبل في القرآن الكريم ؟

٧. ما هي معوقات بناء المستقبل كما يبنها القرآن الكريم ؟

٨. ما هي مؤهلات الأمة لبناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ؟

أهمية الدراسة

لا بد للأمة من قراءة ماضيها وحاضرها، وهي بالتالي مدعوة لاستجلاء مستقبلها على ضوء ما يتوفر لديها من إمكانيات لتلك القراءة، حتى يتم لها أن تدرك ما يمكن أن يكون عليه مستقبلها بالنظر إلى ذلك.

إن من مهمات القيادة الرئيسية التركيز على الرؤية والتوجهات الاستراتيجية والاهتمام بالمستقبل، وقد اهتم الغرب كثيراً بعملية التخطيط واستشراف المستقبل وكان هذا أحد أسباب نجاحه في السيادة والتقدم على باقي الشعوب والأمم.

وعليه ، تأتي هذه الدراسة منبهة إلى ضرورة العودة للمنبع الأصيل لاستقراء الماضي والحاضر وبالتالي التطلع إلى المستقبل الذي رسمه القرآن الكريم في أوضح صورة وأنصع بيان، في زمن حار فيه الحليم ، وتاه فيه المفكر ، وبات الناس فيه في هم وغم نكدين بسبب تعقيدات هذه الحياة وتسارع أحداثها بصورة يصعب على الناس مجاراتها .

تأتي هذه الدراسة لتنير الطريق وتضيء فيه شمعة أمل تدل الناس من خلالها على الله تعالى وتبين ضرورة العودة إلى منهجه والنهل من معينه الذي لا ينضب ، وصدق الصادق

المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال :" وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ " [1] .

وتحقيقاً لذلك تؤصل هذه الدراسة لبعض الأحكام المستقبلية المستقرأة من القرآن الكريم ، فالمسلم محتاج في هذا الزمن المليء بالأحداث ، أن يستند إلى دليل فيما يذهب إليه ويقول به من أن المستقبل في النهاية سيكون للإسلام والمسلمين ، ولكنه يحتاج في ذلك إلى دليل وبرهان يقنع به غيره من أصحاب الماديات الذين هم مادة دعوته وميدانه الذي يجب أن يجول فيه ويصول ، وتأتي هذه الدراسة ملبية لهذه الحاجة.

وكذلك فإن أهمية هذه الدراسة تتقرر عندما ندرك أن استشراف المستقبل من منظور قرآني يكتسب درجة عالية من المصداقية والموثوقية .

ولأن الإسلام منهج حياة فمن الطبيعي أن يعالج كل ما يهم البشر ويصلحهم ، وبالتالي فإن استشراف القرآن الكريم للمستقبل يأتي ضمن معادلة أن الكون يسير بمنهج واحد وسنن ثابتة مقررة من عند الله تعالى ، وتأتي هذه الدراسة موضحة وشارحة لتلك السنن الثابتة ؛ لتعرضها للأمة بحيثياتها المختلفة والمبثوثة في ثنايا هذا الكتاب العظيم ، لتكون معلماً بإذن الله تعالى دالاً على المستقبل الذي يريده الله تعالى للناس ، وبذا تسهم هذه الرسالة في بث الأمل في نفوس الناس أن " النصر آت " وأن " المستقبل لهذا الدين " وأن الأمة بما حباها الله تعالى من نعم " مؤهلة لبناء المستقبل " ليس كلاماً عاطفياً غير مستند على دليل ، بل إن كل المؤشرات والمبشرات تصب في هذه النتيجة لتكون الأدلة دامغة ، والبيان جلياً لأولئك الذين جعل الله تعالى على عيونهم غشاوة فهم لا يبصرون .

أما الذين استناروا بهذا القرآن العظيم فهم مطمئنون حيث يجزع الناس ، ثابتون حيث يرتجف الناس ، يستوعبون ما يجري في هذا الكون حيث يحار الناس ، كيف لا وهم يستمدون استشرافهم للمستقبل من كلام الله تعالى ، وليس بعد كلام الله تعالى كلام ، وهذا ما يحاول الباحث أن يثبته ويجليه .

وتظهر أهمية هذه الدراسة أيضا من خلال ما يعرضه الباحث من عوامل ومقومات بناء المستقبل من منظور قرآني ، وتسجل الدراسة كذلك مؤهلات الأمة التي إن أحسنت التعامل معها كانت جديرة أن تستلم قيادة بناء المستقبل الذي تحتاجه البشرية جمعاء وتأتي هذه الدراسة ضمن هذا الإسهام في الكفاح الواجب بذله فيما يجب علينا تجاه هذا الدين ، والله الموفق .

---

[1] . الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، جزء ٦ صفحة ٢٤٥ ، حديث رقم (٢١٣٧) .

الدراسات السابقة

لا بد من الإشارة هنا إلى أن علم استشراف المستقبل من العلوم العصرية الحديثة والذي فرض نفسه كواحد من العلوم التي ينبغي للأمة أن تعنى به وتوليه من الأهمية ما يستحق ، ولعل مصطلح التنبؤ أكثر دلالة على هذا المفهوم ، أقصد التنبؤ بالمستقبل ، وبأحداثه بناء على قاعدة بيانات ومعلومات .

في مفهوم استشراف المستقبل لم أجد أحداً كتب في هذا الموضوع رسالة علمية مؤصلة تأصيلاً شرعياً جامعة للآيات الكريمة في نظم واحد يستخلص منه تصورٌ بيّن مبني على الدليل والبرهان.

ومن الضروري أن يذكر الباحث أن هذا الموضوع ، وهو استشراف المستقبل ، بات اليوم من أكثر الموضوعات المطروقة على صفحات الإنترنت ، وأكثر العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع لا تكاد تتعدى أطروحاتهم إلى ضرورة طرح الموضوع وأهميته وأن يكون له حظ بين علوم اليوم لما له من أهمية في رسم السياسات التي تعين على الفهم من جهة وعلى التخطيط من جهة أخرى .

ويمكن الإشارة في هذا السياق أن الدكتور مهدي المنجرة [١] من الذين كتبوا في موضوع علوم المستقبل وضرورة الاهتمام به ، ولقد كرس الدكتور المهدي المنجرة جزءاً كبيراً من جهوده للدراسات المستقبلية ، غير أن الدكتور المنجرة ، فيما اطلعت ، يعرض للقضايا المستقبلية بالنظر إلى القراءات الحاضرة في بلد ما ومن ثم يتطلع إلى ما سيكون عليه ذلك البلد بعد عشر أو عشرين سنة بناء على المعطيات في ذلك البلد ، وهذا الأمر لا يمكن أن تنكر أهميته أو أن يقلل من دوره في توضيح سيناريوهات المستقبل ، غير أن الباحث في هذه الدراسة سيستفيد من ذلك بعد الرجوع إلى النصوص القرآنية ودراستها دراسة تفسيرية تفيد في التطلع إلى المستقبل من منظور القرآن الكريم ، وليس لواقع معين يجدر تغييره أو النهوض به [٢] .

وكذلك فإن أكثر من كتب في الدراسات المستقبلية ، يتفق مع الدكتور مهدي المنجرة من حيث الطرح والأدوات غير أن أياً ممن كتب لا يتوافق مع هذه الدراسة من حيث كونها تتعلق وترتبط ارتباطا وثيقاً بالاستشراف من منظور القرآن الكريم ، وأحسب أنني بهذا أقدم إضافة إلى الأمة باعتبار أنني أضع هذا الموضوع في مقدمة الأولويات التي يجب على الأمة أن تنهض بها ، وتحاول أن تمتلك أدواتها ، من جهة ، ومن جهة ثانية رفع الحرج عن الحديث في موضوع المستقبل من منظور القرآن الكريم ، ليس من باب التدخل في أمور الغيب ، ولا من باب الرجم والادعاء ، بل من باب أن هذا الموضوع لا يتعارض مع فهم المسلم على اعتبار أن المسلم مأمور بأن يعمل ليومه وأن ينظر ماذا أعد لغده ، ولا يبقي حياته نهباً للفوضى والشرود من باب أن كل شيء محسوم ومقدر سواء عملنا أم بقينا خاملين ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [٣] .

وهناك موقع للدراسات الإستراتيجية باسم المركز العربي للدراسات المستقبلية [٤] ، الذي يهتم بتقديم المعلومات حول الدراسات المستقبلية لمساعدة الباحث ليبقى على اتصال بكل ما هو جديد في هذا الموضوع وتبين الاحتمالات المستقبلية على ضوء الدراسات المستقبلية وتفرعاتها من العلوم الإنسانية .

إن الباحث يقدم في هذه الدراسة منهجاً جديداً يستند على الأدلة الشرعية ، ليتم التأصيل للأحداث بنظرة قرآنية تزيد المؤمن إيماناً ، ويقيناً وتمسكاً بكتاب ربه ، وتعلمه ضرورة الرجوع

---

[١]. الدكتور مهدي المنجرة مفكر عربي وكاتب ولد في مدينة الرباط بالمغرب سنة ١٩٣٣ م ومختص في العلوم السياسية والاقتصاد والعلاقات الدولية ، اصدر كتابه الأول في مطلع التسعينات والذي كان بعنوان (الحرب الحضارية الأولى).

[٢]. www.elmandjra.org.

[٣]. سورة الحشر، الآية (١٨).

[٤]. www.mostakbaliat.com.

إليه في كل ما يستجد من أحداث في هذا الكون الزاخر بكل ما هو جديد ،وأيضا فإن الباحث في هذه الدراسة يجمع ما نثره علماء الأمة ودعاتها هنا وهناك وما نادوا به وبشروا به من أن سنة الله تعالى ماضية في نصر المؤمنين ، وأن المستقبل لن يكون إلا لأتباع هذا الدين القويم ، مع إسناد ذلك بالدليل الشرعي وتوجيهه بما يتناسب مع طبيعة هذا الدين وعالميته وكونه منهجا للحياة .

ويود الباحث أن يشير هنا أن الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى قد وضع كتابا بعنوان" المستقبل لهذا الدين " غير أن الكتاب مع أهميته لا يمثل رسالة علمية تنضبط بقواعد البحث العلمي الدقيق ، إضافة إلى أن المؤلف رحمه الله تعالى نحا في كتابه منحىً فكرياً خالصاً ، وكان توظيفه للنصوص القرآنية توظيفاً يخدم هذا المنحى الفكري الخالص .

بالإضافة إلى ذلك فإن سيد قطب رحمه الله تعالى اكتفى بالقليل من النصوص القرآنية التي تشير إلى المستقبل ولم يستوف في كتابه كافة النصوص القرآنية المتعلقة بذلك ، ويؤكد الباحث أن بحثه يشمل ذلك كله ويتعداه إلى جوانب كثيرة مستقبلية لم يتطرق إليها سيد قطب رحمه الله تعالى ولا غيره ممن كتب في المستقبل ونظرتهم إليه .

يهدف الباحث في دراسته هذه إلى جمع كافة النصوص القرآنية المتعلقة باستشراف المستقبل والحديث عن سنن الله تعالى في حياة البشر والربط بينها لاستخلاص رؤية استشرافية ذات طبيعة موثوقة بأن المستقبل لأمة الإسلام وأنها وحدها القادرة على بنائه وفق ما يريد الله تعالى .

منهجية الدراسة

إن استقراء الآيات القرآنية الكريمة ورصدها ودراستها وتحليلها وبالتالي فهمها واعتمادها كأدلة لما يتوصل إليه الباحث سيكون منهجاً متبعا في هذه الدراسة.

وقد رأى الباحث أن يقسم دراسته إلى فصول على الشكل التالي:

الفصل التمهيدي

المدخل لاستشراف المستقبل ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: تعريف الاستشراف وصيغ المستقبل، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى الاستشراف ، لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني: معنى المستقبل، لغة واصطلاحا.

المطلب الثالث: مفهوم استشراف المستقبل في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: صيغ المستقبل في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: المقصود بالمنظور القرآني.

المبحث الثاني: مدخل تعريفي بخصائص وخطوات استشراف المستقبل، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف باستشراف المستقبل
المطلب الثاني: خصائص استشراف المستقبل
المطلب الثالث: أهمية استشراف المستقبل
المطلب الرابع: خطوات استشراف المستقبل
الفصل الأول

السنن الإلهية في المستقبل الإنساني

ويتضمن تمهيداً وخمسة مباحث
المبحث الأول: تعريف السنن الإلهية.
المبحث الثاني:أهمية دراسة السنن الإلهية.
المبحث الثالث : خصائص السنن الإلهية .
المبحث الرابع: بين السنن الإلهية واستشراف المستقبل.
المبحث الخامس: أمثلة من السنن الإلهية.
الفصل الثاني
مستقبل الأمة كما يصوره القرآن الكريم
وفيه ثلاثة مباحث
المبحث الأول: مستقبل الأمة السياسي.
المبحث الثاني: مستقبل الأمة الاقتصادي.
المبحث الثالث: مستقبل الأمة الاجتماعي.
الفصل الثالث
مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم
وفيه مبحثان
المبحث الأول: المقومات (الدينية) الروحية وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الدين الإسلامي
المطلب الثاني: العلم
المطلب الثالث: التاريخ
المبحث الثاني: المقومات المادية وفيه مطلبان :
المطلب الأول: الإنسان (الخليفة)
المطلب الثاني: الإمكانات والثروات الهائلة

الفصل الرابع

معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم

المبحث الأول: المعوقات الداخلية:

المطلب الأول: تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم

المطلب الثاني: الجهل

المبحث الثاني : المعوقات الخارجية :

المطلب الأول : مؤامرات الأعداء وإمكاناتهم المادية الهائلة

المطلب الثاني: الخطر اليهودي.

الخاتمة والتوصيات

الفهارس

الفصل التمهيدي

المدخل لاستشراف المستقبل ، ويحتوي هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول: تعريف الاستشراف وصيغ المستقبل، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى الاستشراف ، لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثاني: معنى المستقبل، لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث: مفهوم استشراف المستقبل في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: صيغ المستقبل في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: المقصود بالمنظور القرآني.

المبحث الثاني: مدخل تعريفي بخصائص وخطوات استشراف المستقبل، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مدخل عام للاستشراف

المطلب الثاني: التعريف باستشراف المستقبل

المطلب الثالث: خصائص استشراف المستقبل

المطلب الرابع: خطوات استشراف المستقبل

المبحث الأول: تعريف الاستشراف وصيغ المستقبل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول

معنى الاستشراف

أبدأ بتعريف المفردات والمصطلحات التي يستخدمها في دراسته، من حيث اللغة والاصطلاح ،حتى يكون ذلك مدعاة إلى تقريب المعنى وتحديد الإطار الذي يبغي الوصول إليه ويستعمله بالتالي في دراسته .

فالاستشراف لغة :مأخوذ من الفعل الثلاثي **(شرف)** والشين والراء والفاء أصل يدل على علو وارتفاع. فالشرف: العلو. والشريف: الرجل العالي. ويقال استشرفت الشيء، إذا رفعت بصرك تنظر إليه. والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه، ومشارف الأرض: أعاليها. واشتقاقه من الشرفة التي تشرف بها القصور، والجمع شُرف" [١] .

وفي "لسان العرب" : " تشرف الشيء واستشرفه : وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه، واسْتَشْرَفْتُ الشيء: إذا رفعت بصرك إليه وبسطت كفك فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)[٢] .

وأصله من الشرف العلو، كأنه ينظر إلى موضع مرتفع فيكون أكثر استعداداً لإدراكه **"**[٣].

" واستشرف فلان : رفع رأسه ينظر إلى شيء " [٤] .

" والاشتراف : الانتصاب ، واستشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه وبسطت كفك فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس **"**[٥] .

وبالمحصلة، يرفع رأسه واضعا يده فوق عينيه، ويقف على أصابع رجليه ويمد عنقه ويسدد بصره وهو تارة يقف وأخرى يرتاح، ذاك ما تعارف عليه الناس حال من يستشرف الطريق ويتطلع إلى ما ينتظر.

---

[١] . أحمد بن فارس، ت (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ط١، ج٣، تحقيق عبد السلام محمد، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٠٠.

[٢] . صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، جزء ٢١، صفحة ٤٧٣، حديث رقم (٣٣٣٤)، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، جزء ١٤ صفحة ٥٨، حديث رقم (٥١٣٦).

[٣] . محمد بن منظور، ت (٧١١ هـ)، لسان العرب، ط١، ج ٢، دار صادر، بيروت، مجلد ٩ صفحة ١٦٩،

[٤] . الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت (١٧٠ هـ) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي ،دار مكتبة الهلال بيروت ، مجلد ٢ صفحة ٤ .

[٥] . إسماعيل بن حماد الجوهري ت (٤٠٠ هـ) ، الصحاح في اللغة ،نسخة دار الكتاب العربي ، القاهرة ،١٩٥٦ ، جزء ١ ، صفحة ٣٥٤ .

أما الاستشراف اصطلاحاً فلم أجد فيما اطلعت عليه من دراسات بهذا الشأن من ذكر تعريفاً اصطلح عليه أو يمكن أن يسمى تعريفا اصطلاحيا ، اللهم إلا أولئك الذين تخصصوا في الدراسات المستقبلية الذين أشاروا إلى أن التطلع نحو صياغة المستقبل المراد هو هدفهم الذي يرجون الوصول إليه من خلال دراساتهم المستقبلية ، وهنا يمكن أن نتشارك معهم في هذه الدراسة أن الاستشراف هو عبارة عن التطلع للمستقبل ومحاولة امتلاك الأدوات المناسبة التي تعين على تحسين وتوضيح صورة المستقبل الذي ننشده .

وعليه فالاستشراف تفقد وتأمل وتطلع، وهذا المعنى للاستشراف هو المراد هنا في موضوع البحث محل الدراسة، حيث يحاول الباحث أن يستشرف وينظر في النصوص هنا وهناك حتى يكون أكثر إدراكا للمستقبل وتصوره من منظور القرآن الكريم.

وإذا ما كانت المقدمات واضحة وثابتة ومقررة بخصوص قضية معينة في القرآن الكريم ، فعندها والحالة تلك تصبح عملية الاستشراف لتلك القضية المتعلقة بتلك المقدمات أكثر وضوحا وأقرب إلى المصداقية،وأكبر احتمالاً لتكون متوافقة لما تم استشرافه إن أحسن قراءة المقدمات وفهمها الفهم المناسب الدقيق .

وهكذا فإن الاستشراف هنا يحمل في مضمونه اللغوي معاني النظر إلى شيء قادم من بعيد والتطلع إليه ومحاولة التعرف عليه واتخاذ أسباب التوصل إلى ذلك بدقة كالصعود إلى مكان مرتفع يتيح فرصة استطلاعه قبل وصوله ، ولا يختلف الاستشراف في معناه الذي نقصده في هذه الدراسة عن تلك المعاني اللغوية بل إنه يدور في إطارها وينطلق منها فهو: استطلاع مبكر للمستقبل في ضوء معطيات الحاضر والتحديات المستقبلية التي تفرضها طبيعة النمو والتحول والتطور والطموح ، وهو إلقاء نظرة فاحصة على المستقبل بمنظار تتكون عدساته من عبق تجارب الماضي ونتائج وثمرات الحاضر ومؤشرات التطلع المستقبلي، إنه عمليات علمية أساسها التخطيط ، تستهدف حشد الطاقات وتوفير الإمكانات اللازمة وترشيد استخدامها لمواجهة أعباء المستقبل وتحقيق الغايات المرجوة والمتوقعة فيه .

المطلب الثاني

معنى المستقبل

وأبين هنا وقبل البدء بتعريف المستقبل لغة واصطلاحاً، أن المستقبل بالنسبة للإنسان المسلم والكافر، ومن وجهة نظر القرآن الكريم، ينقسم إلى قسمين اثنين: مستقبل دنيوي، وآخر أخروي.

وموضوع دراستنا هنا هو المستقبل الدنيوي، مع ضرورة ربط ذلك كله بما ينتظر المسلم والكافر في الآخرة من ثواب وعقاب، حتى تكون الدائرة مغلقة يتبين من خلالها كل من الطرفين المصير الذي ينتظره.

وعليه فالمستقبل لغة : مأخوذ من الفعل الثلاثي (قبل) ، وقد قال صاحب مقاييس اللغة أن : " القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلها على مواجهة الشَّيء للشَّيء، ويتفرع بعد ذلك.

فالقبل من كل شيء: خلاف دبره، وذلك أن مقدمه يقبل على الشَّيء، والقبلة سميت قبلة لإقبال النَّاس عليها في صلاتهِم، وهي مقبِلة عليهم أيضا، ويقال: فَعل ذلك قبلا، أي مواجهة. وهذا من قبل فلان، أي من عنده، كأنه هو الذي أقبل به عليك. وقابلْتها: جعلت لها قبالةِ، لأن كل واحدٍ منهما يقبل على الآخر، والقابلة: الليلة المقْبلة. والعامُ القابل: المقبل، والقَبل: النشزُ من الأرض يستقبِلُك. تقول: رأيتُ بذلك القَبل شخصاً، وافعل ذلك إلى عشر من ذي قَبل، أي فيما يُستَأنف من الزَّمان. " [١] .

وفي اللسان [٢] : " قال الجوهري : قبل نقيض بعد ، والاستقبال : ضد الاستدبار . و استقبل الشيء و قابله : حاذاه بوجهه . وأَفعلُ ذلك من ذي قبل أَي فيما أَستَقْبِل . وافَعَل ذلك من ذي قبَل أَي فيما تستقبل . ويقال : فلان قُبالَتي أَي مستقبَلي .

ويؤكد هذا المعنى صاحب الصحاح فيقول: " قبل نقيض بعدُ. والقُبْلُ والقُبُلُ: نقيض الدبْرِ والدُبُرِ " [٣] .

والدنيا في نظر المسلم ممراً للآخرة ، وهي بهذا الاعتبار ليست دار قرار، وأن تطلعه وجهوده وجهاده منصب على قراره ومستقره في الآخرة ، ولا يعني هذا بحال أن نترك الإعداد للمستقبل والتخطيط للحياة الكريمة تحت هذا الاعتبار ، بل العكس تماما هو المراد ، فها هي آيات القرآن الكريم الكثيرة والأحاديث الشريفة تدعوان المسلم وتستحثانه لبناء الحياة الكريمة في حاضره ومستقبله ، وصياغتها بما يحقق العدل والأمان للبشرية جمعاء .

---

[١] . انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، جزء ٥، ص ٥٢.

[٢] . ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، جزء ١١، صفحة ٥٣٤.

[٣] الجوهري، الصحاح في اللغة، مصدر سابق، مجلد ٢، صفحة ٥٩.

أما المستقبل فيراد به هنا وبالنظر إلى ما سبق قابل الأيام وما ينتظرنا لنعيشه، وقد ذكر صاحب التعريفات أن المستقبل: هو ما يترقب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه، يسمى به، لأن الزمان يستقبله [١] .

وأكد على ذلك صاحب التعاريف حيث ذكر أن المستقبل : " ما يترقب وجوده بعد الزمن الحاضر سمي به لأن الزمان يستقبله "[٢].

المطلب الثالث

مفهوم استشراف المستقبل

من خلال ما راجعت من الكتب في معاجم اللغة فان الاستشراف هو تحديد النظر إلى الشيء بشكل يجعل الناظر أقوى على إدراكه واستبيانه، كأن يبسط الكف فوق الحاجب كالمستظل من الشمس، أو ينظر إليه من شرفة أو مكان مرتفع، أو يمد عنقه ويسدد بصره نحوه،بل ويقف على أصابع رجليه متطاولا ومبعدا النظر إلى ابعد مسافة قد يصلها كل ذلك يفعله للإحاطة بشكل الشيء والتدقيق في ماهيته. حتى تكون صورة ما ينظر إليه ويتطلع إليه ويبغي استشرافه أدق وأوضح وأبين.

وبالنظر إلى ما سبق نجد أن معاجم اللغة قد بينت أن الاستشراف يأتي بمعنى التطلع وتدقيق النظر انطلاقا من وضع معين يكون عليه المستشرف ،وأن المستقبل هو ما يأتي بعد الزمن الذي نعيشه ، وبناء عليه فيمكن تعريف استشراف المستقبل بأنه عملية منظمة ودقيقة تعتمد على إعمال البصر والفكر معا بالنظر إلى الزمن القادم ببصر ثاقب، وفهم عميق من خلال النظر إلى سابق الأيام وسننها من جهة وما آلت إليه الأمور في عالم الواقع من جهة أخرى ، ليتسنى وضع تصور واضح وبين للمستقبل وما يمكن أن يكون عليه ، وفق سنن الله تعالى الثابتة.

واستشراف المستقبل كونه عملية منظمة ، يعني أنها لا تخضع للتنبؤات أو العواطف التي تسير مجرى البحث ، بل هي عملية منظمة تسير بمنطق واضح وبين يبدأ من دراسة الماضي وسنن الله تعالى التي جرت فيها ، لتمتد إلى الحاضر المعاش ، ليرى كيف صارت الأمور وما آلت إليه الحال ، ولينطلق من خلال ذلك كله إلى رسم صورة للمستقبل .

وليس يقع في هذا المجال التنبؤ بالغيب وما شابهه من مصطلحات ، بل وكما ذكرت بأنها عملية منظمة تستند على أسس ولا تتخرص بالغيب ، وتجدر الإشارة هنا في هذه الدراسة أن نستخدم المصطلحات التي تتوافق مع ديننا وفي اللغة ما يتسع لهذا المعنى ولغيره .

---

[١] . علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨٦١ هـ ،(التعريفات) ، نسخة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٥ هـ. مجلد١ ص ٦٩.

٢ .محمد عبد الرؤوف المناوي ، ت (١٣٠١هـ)،التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر- بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

بل إن الناظر في القرآن الكريم يجد الآيات الكثيرة التي تحث المسلم أن يسير في الأرض ليكتشف آيات الله تعالى في هذا الكون وفي هذا ما يدله على ما يعينه في حاضره ومستقبل أيامه ، قال تعالى : (قلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[١] ، وضرورة أن يستعد للغد بكل ما يمكن أن يحتمل من معنى ، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ۝) [٢] .

والإمام الرازي رحمه الله تعالى يذكر في تفسيره أن المقصود بالغد هنا هو يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريباً له " [٣] ، وان الإمام القرطبي يضيف أن العرب تكني عن المستقبل بالغد [٤] ، بل أن أكثر المفسرين ذكروا أن المقصود بالغد هو يوم القيامة [٥]، إلا أن ذلك لا يمنع أن يفهم ويستفاد من هذه الآية الكريمة ما يمكن فهمه فيما يحتمله النص ، من باب أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [٦] ، إن جاز ذكر هذه القاعدة هنا .

وتوجه الآية الكريمة المسلم إلى ضرورة الانتباه إلى الغد من الأيام الذي يعني في المحصلة المستقبل، وقد ذكر سيد رحمه الله كيف يوجه هذه الآية بما يمكن أن نأخذ منه العبرة والعظة، حيث ذكر "... أن هذا التعبير له إيحاءاته وظلاله التي تتجاوز هذا اللفظ ، وأن التفكر في هذا المعنى كفيل أن يوقظ في نفس المؤمن الهمة إلى بذل المزيد من الأعمال التي تجعله يتجاوز ضعفه ونقصه وتقصيره ولا يكف بالتالي عن النظر والتقليب للوصول إلى الغاية " [٧].

وأضاف صاحب التحرير والتنوير رحمه الله أن القرآن الكريم أطلق لفظة غد على الزمن المستقبل من باب المجاز وحتى يتقرب المعنى ولتقريب الزمن المستقبل من البعيد لملازمة اقتراب الزمن لمفهوم الغَد ، لأن الغد هو اليوم الموالى لليوم الذي فيه المتكلم فهو أقرب أزمنة المستقبل لليوم الذي يعيشه المتكلم [٨].

---

[١]. سورة الأنعام ، الآية (١١) .
٣. سورة الحشر، الآية ١٨ .
٣. انظر محمد الرازي ت (٦٠٦) ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٤، جزء ١٥، ص ٣٠٩.
٤. انظر محمد القرطبي ت (٦٧١) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، جزء ١٨ ، ص ٤٣ ، وانظر محمد ابن علي الشوكاني ت (١٢٥٠) ، فتح القدير ، جزء ٧ ، ص ١٩٥ .
٥. انظرعبدالله بن عمر البيضاوي ت (٦٩١) ، انوار التنزيل وأسرار التأويل ، جزء ٥ ، ص ٢٨٥ .
[٦]. انظر جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، نسخة دار إحياء العلوم، ط ١ ، جزء ١، ص ٨٩ ، وانظر محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق هاني الحاج ،نسخة المكتبة التوفيقية، مصر ، جزء ١ ، ص ٩٣ .
٧. انظر سيد قطب ت (١٩٦٦)، في ظلال القرآن، ط ١٠، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦، ج ٧، ص ١٧١.
[٨]. انظر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ت (١٣٩٣هـ) ، التحرير والتنوير ، نسخة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، ط ١، ٢٠٠٠م ، ج ١٥،ص ١٠ .

وفي هذه الآية الكريمة أيضا ما فيها من ضرورة الإعداد للغد والاستعداد للمستقبل ليكون المسلم بهذا الإعداد والاستعداد مؤهلا لخلافة الله تعالى في أرضه وفق ما يريد الله تعالى.

وتتم عملية استشراف المستقبل من خلال دراسة الواقع ربط أحداثه وما يليه ويترتب عليه باستشراف الأحداث واستقبالها ، وبالتالي صياغة فهم يتناسب ومتطلبات النجاح وتجاوز الأزمات ويلي ذلك كله صناعة المستقبل بما يتناسب والدور الذي أناطه الله تعالى بالأمة الإسلامية من جهة ، وبما يتوافق مع مراد الله تعالى من خلق الكون من جهة ثانية . فكون الآيات القرآنية وهو موضوع بحثنا هنا ، أو الأحاديث النبوية نصت وطلبت من المسلمين العمل على الاهتمام بمستقبلهم الدنيوي، وصياغته وفق أوامر الله تعالى وإرادته ، لكسب مستقبل دنيوي آمن وسعيد ، والاستعداد والتهيؤ لمستقبل أبدي في النعيم المقيم ، فنحن بالنظر إلى هذا وذاك مأمورون أن نحكم العدة، ونتقن التطلع، ونتفنن في امتلاك أدوات الاستشراف التي تعين على جلاء الصورة ووضوح الطريق ، وعليه فان استشراف المستقبل بنية البحث عن ما تنشد البشرية من الخير وفق شرع الله تعالى ومن منظوره سبحانه ، عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى ، بل هي مدعاة إلى الحصول على عظيم الأجر في الدنيا والآخرة ، وأعظم بهما من كسب يناله المسلم .

ويمكن القول بأنه على الرغم من شعبية الأطروحات والنظريات المستقبلية وكثرتها وتعددها وتنوع أساليبها فإن أياً من هذه النظريات وتلك الأطروحات، لم يثبت بعد جدارته في القيام بدور المرجعية النظرية الداعمة للإستراتيجيات الحتمية الموصلة إلى اليقين الواضح .

المطلب الرابع

صيغ المستقبل في القرآن الكريم

ومن المفيد هنا أن اخصص في هذه الدراسة جانباً للحديث عن الصيغ التي استعملها القرآن الكريم والتي تعبر عن المستقبل والحديث عنه ، مع ضرورة البيان والتأكيد أن القرآن الكريم لكل زمان ومكان ، وهو بهذا المفهوم يتعامل مع كل الأوامر والنواهي على أساس أنها تعاملات مستقبلية يجب أن تحكم تصرف الإنسان في يومه وغده .

والأفعال في اللغة العربية على ثلاثة أضرب تنقسم بأقسام الزمان إلى ماض وحاضر ومستقبل " فالماضي ما قرن به الماضي من الأزمنة، نحو قولك قام أمس، وقعد أول من أمس، والحاضر ما قرن به الحاضر من الأزمنة نحو قولك هو يقرأ الآن، وهو يصلي الساعة، وهذا اللفظ أيضا يصلح للمستقبل إلا أن الحال أولى به من الاستقبال تقول هو يقرأ غدا ويصلي بعد غد، فإن أردت إخلاصه للاستقبال أدخلت فيه السين أو سوف، قلت سيقرأ غداً وسوف يصلي

بعد غد، والمستقبل ما قرن به المستقبل من الأزمنة نحو قولك سينطلق غداً وسوف يقوم غداً ، وسوف يصلي غداً ، وكذلك جميع أفعال الأمر والنهي نحو قولك قم غداً ولا تقعد غداً " [١] .

غير أن المهم هنا في هذه الدراسة أن أشير إلى استخدامات القرآن الكريم للصيغ التي يفهم منها في قواعد اللغة أنها تفيد المستقبل ، فقد تقرر في علم اللغة أن حرف السين مثلا يفيد المستقبل إذا دخل على الفعل المضارع ، مثل قوله تعالى : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [٢] ، وأن سوف كذلك تفيد المستقبل ، مثل قوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) [٣] ، وان لو مثلا إذا دخلت على الفعل المضارع تفيد الاستقبال ، مثل قوله تعالى :(لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) [٤] ،وغير ذلك من الألفاظ التي نجدها مقررة في قواعد النحو ، مع الإشارة إلى أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين .

ويمكن كما يذكر أهل اللغة " أن يأتي الفعل بلفظ الماضي وهو مستقبل وبلفظ المستقبل وهو ماض مثل قوله تعالى : (أتى أمرُ اللهِ) [٥] : والمعنى أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع [٦] .

وقوله تعالى: (فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى) [٧] أي لم يصدّق ولم يصلّ ، ومثل قوله تعالى في ذكر الماضي بلفظ المستقبل: (فَلِمَ تَقتُلون أنْبياءَ اللهِ من قَبلُ) [٨] ، أي لِمَ قَتَلتُم ؟ وقوله تعالى: (واتَّبَعوا ما تَتْلوا الشَّياطينُ) [٩] ، أي ما تلت ، وقد تأتي كان بلفظ الماضي ومعنى المستقبل، مثل قوله تعالى: (وكان اللهُ غَفوراً رَحيماً)، أي كان ويكون وهو كائن الآن جلّ ثناؤه " [١٠] .

---

[١]. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي ، اللمع في العربية ، تحقيق : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية - الكويت ، ١٩٧٢ ،جزء ١ ، ص ٢٣.
[٢]. سورة القمر ، الآية (٤٥) .
[٣]. سورة الانشقاق ، الآية (٧ – ٨) .
[٤]. سورة الأنبياء ، الآية (٣٩) .
[٥]. سورة النحل ، الآية (١) .
[٦]. انظر ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ت (٦٩١ هـ) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،جزء ٣ ،ص ٣٢١.
[٧]. سورة القيامة ، الآية (٣١) .
[٨]. سورة البقرة ، الآية (٩١) .
[٩]. سورة البقرة ، الآية (١٠٢) .
[١٠]. انظر عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ،ت (٤٢٩هـ) ، فقه اللغة ، ج ٢ ص ١١٠ .

ودراسة قواعد اللغة شرط أساس في فهم النص القرآني ، ذلك لان القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، قال الله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [١] ، ولا يقبل بحال تجاوز مقررات اللغة عند بيان المقصود بالنص القرآني .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فان النص القرآني يمكن أن يحتمل أكثر من معنى ، ويفسر على أكثر من وجه وفق ما تحتمله اللغة ، لذا يؤكد الباحث على ضرورة الرجوع إلى تلك القواعد لضبط وتحديد المعنى الذي يختاره في بحثه ودراسته ، مما يزيد الدراسة زخما وفائدة .

وعليه فإن الباحث معني في هذه الدراسة بأن يستشهد فيما يذهب إليه من أحكام مستقبلية وفق مقتضيات اللغة، حتى لا يخرج عن المألوف والمقبول من قواعدها.

المطلب الخامس

المقصود بالمنظور القرآني

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى للناس كافة ، وهو الكتاب الخاتم الذي ليس بعده كتاب ، وان الله تعالى ذكر فيه ما تحتاجه البشرية إلى يوم القيامة ، والذي صرّف الله تعالى فيه للناس من كل مثل ، لهذا ولغيره من الاعتبارات فإن للقرآن الكريم منظوراً يتوافق مع هذه الاعتبارات ويغطيها ، ويجعلها منهجاً معاشاً .

إن المنظور القرآني للأحداث باعتباره كلام الله تعالى يتصف بكل معاني الشمولية والتكامل والانسجام ، وهو يحمل في ثناياه كل المصداقية والوثوقية ، إن نحن أحسنا الفهم وأتقنا النظر في آيات القرآن الكريم ، بما ينسجم مع المقاصد العليا للقرآن الكريم ، والتي يمكن أن نجمل بعضها هنا بما يفيد في بيان المقصود من المنظور القرآني ، من هذه المقاصد :

المقصد الأول: الغاية من خلق الإنسان، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [٢] . وتتضح من خلالها الكثير من الإشكاليات التي يحار فيها غير المسلم ، في غاية خلقه ، ولماذا هو موجود ، والى أين يسير ، وبالتالي فان المسلم هو الوحيد في هذا الكون الذي يدرك كل هذا على الحالة التي يريدها الله تعالى وبالشكل الصحيح ، إن هذا الإيجاز المعجز في بيان الغاية من خلق الإنسان في كلمة واحدة (العبادة) ليحتوي على حقيقة ضخمة هائلة ، من

---

١. سورة الشعراء ، الآية (١٩٣ - ١٩٥) .
٢. سورة الذاريات ، الآية (٥٦) .

أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها، سواء كانت حياة فرد أم جماعة . أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وعصورها وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي، تندرج كلها تحت هذه الحقيقة الضخمة، التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة[١] .

والعبادة في المنظور القرآني تشمل كل حركة من حركات هذا الكون، فالدين عند الله تعالى كما ذكرت منهج حياة، يعيش الإنسان به، وله، وهو بهذا يحقق دوره في الوجود.

المقصد الثاني : الوظيفة التي قررها الله تعالى للإنسان في هذه الأرض وهي استخلافه فيها وعمارتها وفق ما أمر سبحانه ، حتى يكون الدين كله لله ، قال الله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [٢] ، والإنسان هنا في مفهومه الشامل للعبادة منوط به دور مهم يتمثل في عمارة الأرض بشرع الله تعالى ، وهذا يصب في تحقيق العبودية الشاملة لله تعالى ، وهذا يقتضي من الخليفة ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض ، والتعرف إلى قواها وطاقاتها ، وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها . كما يناط بالخليفة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام [٣] .

المقصد الثالث : إن هذا الكون يسير وفق نظام عام وقانون ثابت قرره الله تعالى ، وبين مفرداته في القرآن الكريم ، وما على الإنسان الذي ينشد العزة والكرامة والاستقرار والسعادة ، والأمن والأمان ، وغير ذلك من مقومات الحياة الكريمة ، إلا أن يعود إلى هذا الكتاب العزيز الذي يوضح له كل مبهم ويفصل له كل مجمل ، ويجيبه عن كل تساؤل ، بالتالي يكون على هدىً ونور ، ليس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها .قال تعالى : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [٤] .

---

١. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، ج ٧ ص ٣٨ .
٢. سورة البقرة ، الآية (٣٠) .
٣. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، ج ٧ ص ٣٨ .
٤. سورة الأنعام ، الآية (١٢٢) .

إن الكفر حجاب للروح عن الاستشراف والاطلاع ، فالكافر معزول عن مصدر النور الحقيقي ، فهو يتخبط ويتيه على الرغم من ادعائه العلم والمعرفة ، وعلى الرغم من امتلاكه التكنولوجيا التي ذللت له سبل الحياة المادية البحتة ، إلا أنه في مجال البحث عن السعادة والاستقرار تائه حيران ، شقيّ مرتين ؛ بعلمه ذاك والذي جر عليه النكبات والحروب والماسي ،وبعدم توظيفه للعلم في الغاية من اختراعه ، وبجهله عن حقيقة وجوده ، وحجبه عن مصدر النور ، " فهو في ظلمة وإن امتلك كل كهربائيات الدنيا ، وأما المؤمن فموصول بالنور الرباني ، وهو يملك الإيمان الذي يكشف له حقائق الوجود ، وحقائق الحياة ، وحقائق الناس ، وحقائق الأحداث التي تجري في هذا الكون وتجري في عالم الناس ، تتكشف له في مشهد كذلك رائع باهر ،مشهد السُّنَّة الدقيقة التي تتوالى مقدماتها ونتائجها في نظام محكم ولكنه فطري ميسر ، ومشهد المشيئة القادرة من وراء السنة الجارية تدفع بالسنة لتعمل وهي من ورائها محيطة طليقة ويجد الإنسان في قلبه هذا النور فيجد الوضوح في كل شأن وفي كل أمر وفي كل حدث ، يجد الوضوح في نفسه وفي نواياه وخواطره وخطته وحركِته . ويجد الوضوح فيما يجري حوله سواء من سنة الله النافذة ، أو من أعمال الناس ونواياهم وخططهم المستترة والظاهرة! ويجد تفسير الأحداث والتاريخ في نفسه وعقله وفي الواقع من حوله، كأنه يقرأ من كتاب، ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة والتطلع والاستشراف، وتكشف معالم الطريق للبشر وتعلن في الأرض ميلاد الإنسان الجديد **"** [١] **.**

نعم إن المسلم ليرى بنور الله تعالى ، وهو خليفة الله تعالى في أرضه ، وهو الجدير بحمل هذا النور للعالمين ، وبالتالي فقد هيأ الله تعالى له كل أسباب الخلافة ، وما عليه والحالة تلك إلا أن يجتهد في تحصيلها وامتلاكها ليقوم بدوره على أكمل وجه ، والله ناصره ومعينه .

وبالنظر إلى هذا يتبين كيف لنا أن نستشرف المستقبل من هذا المنظور ووفق هذه المقاصد ، وبالتالي فان استشراف المستقبل من المنظور القرآني يقوم على أسس ثابتة ومرجعية واضحة ، دون تخبط وضرب بالأزلام .

" وبهذا التصور المستمد مباشرة من القرآن، تكيفت الجماعة المسلمة الأولى. تكيفت ذلك التكيف الفريد. وتسلمت قيادة البشرية، وقادتها تلك القيادة الفريدة، التي لم تعرف لها البشرية – من قبل ولا من بعد- نظيراً. وحققت في حياة البشرية- سواء في عالم الضمير والشعور، أو في عالم الحركة والواقع- ذلك النموذج الفذ الذي لم يعهده التاريخ **"** [٢] .

---

[١]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ص (٣ / ١٣٩) .
[٢]. سيد قطب ، مقومات التصور الإسلامي ، ص ٤ .

المبحث الثاني

مدخل تعريفي بخصائص وخطوات استشراف المستقبل ،

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: التعريف باستشراف المستقبل

المطلب الثاني: خصائص استشراف المستقبل

المطلب الثالث:أهمية استشراف المستقبل

المطلب الرابع: خطوات استشراف المستقبل

المطلب الأول

التعريف باستشراف المستقبل

استشراف المستقبل والتطلع إلى كشف أسراره غريزة مركوزة في النفس البشرية وتدل على شغف الإنسان وولعه وتطلعه لمعرفة كل ما هو جديد من أحداث المستقبل ، تلك فطرة فطر الله الناس عليها .

هذه النزعة وهذا الشغف بل وحتى التطلع والتي نسميها اليوم الاستشراف عرفها المسلمون منذ القدم ، بل نكاد نجزم أن الإنسان الأول قد تعامل بها في حياته البدائية، فهو في كل مرحلة من مراحل حياته كان يسعى لتحسين ظروف حياته والبحث عن امتلاك الأدوات المناسبة والتي تعينه على البقاء والاستمرار وبناء حياة أفضل .

واستمر الأمر كذلك في تطور وتسارع مع مرور الأيام وتسارع الزمن ، وقد ذكر علماء الدراسات المستقبلية أن هذا التغير تحت هذا المفهوم مر بمراحل عدة ، ذكروا منها مرحلة التكهن والتي تعكس رغبة الإنسان الفطرية في معرفة المستقبل، ثم مرحلة التخطيط والتي واكبت

الثورة الصناعية ، ثم مرحلة النماذج العالمية والتي تخطى فيها الإنسان مرحلة التخطيط الجزئي إلى التركيز على المستقبل الدولي وحتى الإنساني [١].

وفي هذا إشارة إلى أن هذه النزعة الاستشرافية للمستقبل ملازمة للإنسان في كل أطوار حياته ، كيف لا وهو يسعى دوما إلى الأفضل والأحسن في كل شأن من شؤون يومه وغده .

وبلغ الأمر حتى صار علما من العلوم التي لا تكاد تستغني عنه أمة من الأمم ، والذي يسمى في مفردات اليوم بعلم استشراف المستقبل ، والذي له أسسه ومبادئه وقوانينه ، وتوضع من خلاله الخطط وتبنى الاستراتيجيات المستقبلية على المدى القريب والبعيد.

وهذا الاستشراف عرفه علماؤنا السابقون الذين كانوا رواداً في كل الميادين يوم كانوا متمسكين بعرى هذا الدين ويقومون بواجبهم تجاهه ، واعين لدورهم كمسلمين في بناء الحضارة وخدمة البشرية ، فها هو العلامة ابن خلدون[٢] رحمه الله يسميه (أي الاستشراف) في مقدمته المعروفة " التشوف " وهو كما يقول عنه : " أن من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة " [٣] .

وقد تكلم كثير من العلماء في هذا العلم ولكن بأسماء مختلفة تتناسب والعصر الذي كانوا فيه ، فمنهم من سماه التشوف كابن خلدون، كما ذكرنا ، ومنهم من سماه الوسفيات ، نسبة إلى سيدنا يوسف عليه السلام عندما فسر رؤيا الملك ووضع خططاً مستقبلية بلغت خمسة عشرة عاما . ومنهم من سماه الاستبصار والذي يعتني بإعمال البصر والبصيرة في الأحداث لفهمها وحسن التعامل معها [٤] ، وهذه وغيرها من المسميات تقارب المفهوم الذي يتداول به اليوم من علوم المستقبل واستشرافه .

بل إن الأنبياء والرسل عليهم السلام إنما بعثهم الله تعالى للناس ليغيروا الواقع الفاسد المضطرب الذي كان يعيشه الناس إلى مستقبل أفضل وفق أوامر الله تعالى وتعاليمه ، يقول الباحث (زهير الأسدي) في دراسة له بعنوان (نحو دراسات مستقبلية إسلامية) : (لو استعرضنا

---

[١]. انظر وليد عبد الحي ، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية ، ط ١ ، نسخة الجامعة الأردنية ٢٠٠٢ م ، ص ١٥ – ٢٣ .

[٢].هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المؤرخ ورائد علم الاجتماع الحديث الذي ترك للعالم تراثا مازال تأثيره ممتدا حتى اليوم ، ولد في تونس عام ١٣٣٢م (٧٣٢ ه) وعاش في أقطار تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، وقضى أغلب مراحل حياته في بلده تونس وكتب الجزء الأول من المقدمة بقلعة بني سلامة بالجزائر وفي آخر حياته تولى القضاء المالكي بمصر بوصفه فقيها متميزا خاصة انه سليل المدرسة الزيتونية العريقة ، ويعد من كبار العلماء الذين أنجبتهم شمال أفريقيا، إذ قدم نظريات كثيرة جديدة في علمي الاجتماع والتأريخ ، توفي في القاهرة سنة ١٤٠٦ م (٨٠٨ ه).

[٣] . ، أبن خلدون ، ت (٨٠٨ هـ) مقدمة ابن خلدون ، ، ط٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٠، صفحة ١٨٣.

[٤]. www.islamtoday.net

سيرة الأنبياء عليهم السلام نجد أن النبوة قائمة على التنبؤ، وهو العلم بأحداث المستقبل، ولا يوجد نبي بلا نبوءة أو تنبؤ، بل جميعهم يخبرون عن نبوءاتهم و الحوادث المستقبلية،ويستبقون الزمان بوضعهم الخطط و البرامج التي تحصن الناس من الفتن و المضلات التي سوف تحدث لهم في المستقبل قبل أوانها، و رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)... قد سجل لنا من خلال الأحاديث الشريفة و الروايات المنقولة الكثير من الأحداث التي سوف تحدث في المستقبل منذ ذلك الحين) [١] .

وقد سجل لنا القرآن الكريم الكثير من الأحداث التي أخبر أنها ستقع في المنظور القريب من وقت نزوله، وقد وقعت تماما وفق ما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز ، وسجل لنا أيضا من الأحداث التي ستقع على المدى البعيد ، لأن القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية وليس بعده كتاب ، ونحاول في هذه الدراسة أن نستعرض هذه الآيات الكريمة ، وندرسها بما ييسر لنا وضع تصور ونظرة استشرافية لما يمكن أن تؤول إليه الأحداث ومجريات الأمور في المستقبل ، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَاب)[٢] .

وإذا كان العالم الإسلامي اليوم وبسبب التيه والضياع الذي يمر فيهما غير معني بعلوم استشراف المستقبل ، فإن العالم الغربي استفاد كل الفائدة من هذا العلم وحصد الثمرة تلو الثمرة من امتلاك وتطبيق عمليات الاستشراف المستقبلية ، فها هو اليوم يملك زمام المبادرة والقيادة في كثير من العلوم التي تفيد البشرية ، وصار محط أنظار العلماء الذين يتوافدون عليه من هنا وهناك ، في حين كان دهراً من الزمن يقصد الشرق الإسلامي ليأخذ علوم الحياة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول من استعمل مصطلح (أحداث المستقبل) (**Mellontology**)هو عالم الاجتماع الأمريكي (جليفلين) (**S. Gilfillain**) في سنة ١٩٠٧م ، وأول من استعمل كلمة (علم المستقبل) هو الأمريكي ذو الأصل الألماني **(Ossip Fleichthien)** تحت اسم **(futurologie)** وكان ذلك في العام ١٩٤٣م ، والذي كان يعني به إسقاط التاريخ على بعد زمني قادم ، غير أن كثيرا من العلماء انتقدوه على هذه الفكرة من باب أن المستقبل مجهول فكيف نسقط علما على المجهول ، ومن هؤلاء العلماء الهولندي فرد بولاك

(**Fred Polak**) ، كما أن أول من استخدم كلمة (استشراف) (Prospective) هو العالم المستقبلي (**Gaston Berger)** [٣] ، وهو كما ذكرت سابقا معروف عند المسلمين كما ذكر العلامة ابن خلدون .

---

١. www.kitabat.com

٢. سورة يوسف: الآية ١١١.

٣. انظر وليد عبد الحي ، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية ، مصدر سابق ، ص ١٤، وراجع www.islamtoday.net

غير أنه لا بد من التنبيه هنا إلى أن المصطلحات التي قدمها علماء الغرب لا تعدو كونها تنبؤات أو حتى دراسات غير أنها ليست مبنية على أسس من دين أو مصدر موثوق به ، وتبقى فريسة للشكوك كما وصفها محمد جمال باروت في مقالة له في مجلة التجديد العربي ، حيث يقول : " مع ذلك سيبقى علم المستقبل فريسةً للشكوك، مع أنه قطع شوطاً كبيراً في التمييز بين الاستشراف وبين التخطيط القصير والمتوسط المدى وبين الرؤى الاستراتيجية، والحقيقة أنه يتضمن ذلك كله لكن في حركة تجاوزها، فالمستقبل يتطلب طريقةً في المعرفة هي غير الطريقة التي تعودنا عليها، ومساحات "اللايقينية" فيه فسيحة كثيراً، فاللاتيقن جزء من المستقبل قولاً واحداً. يصل ذلك علم المستقبل بما بعد الحداثة أكثر مما يصله بميتافيزيقا الحداثة، ويبدو هذا العلم بالتالي على نحوٍ ما وليد النقلة الهائلة من مجتمع الحداثة إلى ما بعده" [١] .

ومن الضروري هنا التفريق بين الدراسات المستقبلية والدراسات الاستراتيجية من جهة وبين استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم من جهة ثانية ، في أن الدراسات المستقبلية كما يعرفها علماؤها بأنها معنية بدراسة التغير في ظاهرة ما ، وبالتالي السعي إلى تحديد مجموعة من الاحتمالات في المستقبل ، وترجيح احتمال بعينه ، فيما تعنى الدراسات الاستراتيجية بتحديد هدف معين ، ثم البحث عن أدوات الوصول إليه ، وهي أيضا مجموعة من البحوث والدراسات المتعلقة بالتطور المستقبلي للبشرية الأمر الذي يمكن من استخلاص عناصر تنبؤية على ما يمكن أن يكون ، كل ذلك في إطار من الدراسات النظرية والتي كما مر يتنازعها الشكوك ويلفها الغموض وكثير من الاحتمالات التي يصعب ترجيح أحدها على الآخر ، وإذا ما تم الترجيح اليوم فالإمكانية قائمة في كل لحظة للانتقال إلى ترجيح آخر بمجرد مرور زمن أو حدوث أدنى تغير في المعطيات .

أما ما يميز الاستشراف الإسلامي فهو تجاوزه ذلك كله بعد الاستفادة من أدواته وتوظيفها في خدمة هدفه وأنه مستند إلى مصدر موثوق وأدلة يقينية ليس للتخرصات إليها سبيل ، لأنها مستمدة كما مر من كلام الله العزيز الحميد ، وهذا ما نحاول في هذه الدراسة أن نؤكده ونبينه ونضع له الأدلة والبراهين التي تجعله يرقى ليكون مناراً للناس في رسم مستقبلهم المنشود ، مع ضرورة الإشارة إلى أهمية الدراسات المستقبلة ودورها في خدمة الإنسانية والمساهمة في صياغة مفردات المستقبل .

إن العالم الإسلامي اليوم مدعو بكل قوة أن يراجع حساباته في تعامله مع علوم استشراف المستقبل ، فهو الأقدر إن أراد وخطط على الاستفادة من هذا العلم لأنه الأكثر امتلاكا لأدوات الاستشراف من غيره ، كيف لا وهو ينهل من معين القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

---

[١] . مجلة التجديد العربي ، تاريخ المادة:- ٢٠-١٠-٢٠٠٥ . وراجع www.alwatan.com

ويمكن القول أخيراً إن علم المستقبل رغم ما يتصف به من صعوبات ومشكلات ومحددات ، وتجدد مستمر لآلياته وأدواته ، إلا أننا مدعوون كما ذكرت إلى العمل على تطوير هذا العلم والاستفادة منه بالنسبة لنا كعالم إسلامي ، أفرادا وجماعات طالما أننا منتمون إلى دين أقر بنفعية كل العلوم وأوجب الأخذ بها بل وجعل ذلك مما يتقرب به العبد لربه طالما انه يسعى لتحقيق مراد الله تعالى من خلقه للإنسان بجعله خليفة له في الأرض .

المطلب الثاني

خصائص استشراف المستقبل

ليس المراد هنا باستشراف المستقبل علم الغيب ، فنحن لا نخوض فيه ولا ندعيه ، فهو لله وحده سبحانه ، قال الله تعالى : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [١] ،ولكننا ندرسه هنا باعتباره عملية تطلع لصياغة المستقبل بالنظر إلى سابق الأيام من جهة وبدراسة الحاضر من جهة ثانية ، للوصول إلى المستقبل المنشود ، وعليه فيكاد يجمع كل من تعرض لهذا العنوان بالإشارة والذكر أن المراد هو التطلع للمستقبل وفق منظومة من الخطوات والإجراءات التي توصل إلى المراد دون عبثية وتخبط .

وقد ذكر علماء الدراسات المستقبلية أن دور الاستشراف لا يتمثل في إصدار التنبؤات، غير المبنية على الأسس العلمية السليمة ، بل إن دور هذا العلم يكمن في تحديد وتخيل واقتراح ، تلك العمليات الثلاثة التي تتعلق بالاتجاهات أولا ، وبالمستقبل ثانيا وبرسم الاستراتيجيات ثالثا . " [٢] .

ومع عدم إنكار أهمية هذه المراحل في رسم التصور المناسب للمستقبل المنشود إلا أن الاستشراف موضوع هذه الدراسة يتمم ويوجه ويحدد هذا الطرح على اعتبار انه يستند في كل ما يذهب إليه من منظور القرآن الكريم ، الأمر الذي يجعل عملية استشراف المستقبل غير خاضعة إلى عملية تخيلية ، وبالتالي يتحدد فيها الخيارات المستقبلية في ضوء المنهج القرآني الواضح .

---

[١]. سورة النمل ، الآية (٦٥).

[٢] . انظر مهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، الجزائر دار الشهاب صفحة (٢٩٧)

وفي مقالة له في جريدة الوطن ، وتحت عنوان الاستشراف عمق في الانتماء أم لا انتماء ، يؤكد عبد العزيز الصاعدي مثل هذا الكلام في أن جوهر العملية الاستشرافية يتمثل في محاولة استكناه المستقبل ، وسبر أغواره ومحاولة تحسينه وتطويره وتثقيفه لمسايرة الجديد المتجدد ومعايشة المستجدات ومراجعة الأصول والأطر التي تحكم الواقع لاستنباط التأصيل للحادثات " [١] .

ويمكن القول وبالنظر إلى تعريفات علم الاستشراف أو حتى ما يصطلح على تسميته بعلوم المستقبل أن أغلب التعريفات ، تتفق أو تكاد ،بمجموعها على أن الاستشراف هو دراسة الماضي والحاضر مما يساعد في فهم المستقبل بشكل أفضل، من أجل أخذ الحيطة والاستعداد لما هو قادم ، بمعنى آخر هي دراسة لحال المجتمع من خلال ماضيه و حاضره لأجل الوصول لمستقبل منشود .

المطلب الثالث

أهمية استشراف المستقبل

من المتفق عليه في علوم اليوم أن الدراسات المستقبلية -استشراف المستقبل- أصبح علما ضروريا ومهما إن في حياة الأمم أو في حياة الأفراد ، وهو كذلك مهم لمن أراد أن يصنع مستقبله بنفسه ويقرر مصيره بيده ، دون أن يكون تبعا لغيره يرسمون له ما ينبغي أن يكون عليه في حياته وبالتالي يكون تابعا بدل أن يكون سيدا .

وتبرز أهمية هذا العلم بما يقدمه من تصورات لبناء مستقبل أفضل ، وهو من خلال ذلك كله يمر بمراحل تعني في مجملها النهوض والتحرر والانعتاق من الجهل والتبعية ، وبالتالي العمل على امتلاك الأدوات التي تعين على وضع التصور المراد.

إن أهمية استشراف المستقبل، لا يكاد يختلف عليها اثنان، غير أن الإرادة والعزم والتصميم هو ما يشكل نوازع العمل ويوقظ الهمم التي تبني وتخطط.

لقد أدرك العالم الغربي أهمية هذا العلم ودوره في صياغة السيناريوهات المستقبلية ، وبالتالي ساعدهم هذا في وضع الخطط الإستراتيجية القريبة والمتوسطة والبعيدة المدى لامتلاك زمام المبادرة لإدارة العالم وفق ما امتلكوه من أدوات العلم والتكنولوجيا ، ويكفي أن أشير وفي

[١] . انظر جريدة الوطن السعودية ، العدد ١٤٣٤ السنة الرابعة ، الخميس ١٧/رجب / ١٤٢٥هـ الموافق ٢ / سبتمبر / ٢٠٠٤ م .

الإحصاءات المنشورة أن عدد المراكز الاستشرافية في العالم الغربي يزيد عن ٢٥٥ مركزاً في السنوات العشر الماضية ، ومما يزيد في تبيان أهمية هذا العلم أنه وفي غضون السنوات القليلة الماضية أصبح في أمريكا ، مثلا، في الأسبوع يتم افتتاح من ٢ إلى ٥ مراكز متخصصة، وأن المعرفة تتضاعف كل ٧-٨ سنوات ، وأن هناك مقالاً علمياً ينشر في كل دقيقتين [١] ، وفي هذا ما فيه من الإشارة إلى الأهمية القصوى لهذا العلم [٢] .

ومما يؤسف له هنا أن هذه الدراسة كشفت من خلال البحث في هذا المجال أن عدد المراكز الاستشرافية في العالم العربي والإسلامي لا يتجاوز عدد أصابع اليدين في أحسن الأحوال ، وهذا مؤشر على عدم العناية بهذا العلم ، وعدم إدراك أهميته وبالتالي النكوص عن استلام الدور المناسب والتصدي لهذا الواجب ، والملفت للنظر هنا أن ٩٧% من الإنفاق على الدراسات المستقبلية يتم في الدول المتقدمة ، والتي أدركت أهمية هذا العلم ودوره ، في حين أن ٣% فقط ينفق على مثل هذه الدراسات في دول العالم الثالث [٣] .

وتكمن أهمية هذا العلم بالإضافة إلى ما مر في أنه:

- يعمل على استقرائنا للماضي ، وما في ذلك من فائدة في بيان أحوال الأمم التي سارت وفق شرع الله تعالى وتلك التي خالفت ، وبالتالي وضوح المصير في الحالتين ، قال الله تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [٤] .
- يحث على استقراء الحاضر، قال تعالى : (قلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [٥] ، وضرورة الوقوف على عناصر الضعف وأسباب انهيار الأمة ونكوصها عن

---

[١]. انظر وليد عبد الحي ، مدخل إلى الدراسات المستقبلية ، مصدر سابق ، ص ٩ .
[٢]. www.albayan-magazine.com
[٣]. انظر وليد عبد الحي ، مدخل إلى الدراسات المستقبلية ، مصدر سابق ، ص ١٠ .
[٤]. سورة غافر ، الآية (٨٢) .
[٥]. سورة الأنعام ، الآية (١١) .

قيادة وإدارة شؤون العالم بعد أن تسلمت هذا الدور ردحاً من الزمن ، قال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) [١] .

- يسهم في الاستعداد لكل ما هو جديد من مشكلات وتطورات ، ويضع الحلول المناسبة لها ، فيتم التهيؤ لمواجهتها ، قال الله تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إليكم وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُون) [٢] ،وشتان بين من يقرأ الأحداث ويضع لها المقترحات المناسبة ، وبين من يعيش حياة الفوضى والغفلة والسكون.
- يعمل هذا العلم على وضع الأمور في نصابها فيكون مساعدا للمسلم في إعادة اكتشاف ذاته ، ودوره ، و موارده، و طاقاته ، ويدعوه بالتالي إلى برمجة نفسه بما يتناسب والوضع الجديد ، الذي كان غافلا أو متغافلا عنه قبل استشرافه لهذا العلم ، قال تعالى : (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [٣] .
- يعمل هذا العلم على صياغة تصور للمستقبل من منظور القرآن الكريم ووضع الخيارات الممكنة وبالتالي اختيار ما يتناسب وكل حالة وظرف.

إن علماء الكون اليوم يكادون يجمعون على ضرورة وأهمية علم استشراف المستقبل ، لما له من دور في رسم التوقعات ،وافتراض المشكلات ، ووضع الاستراتيجيات المناسبة للتعامل مع الغد ومع كل جديد .

ونؤكد ونحن نتحدث عن أهمية علم استشراف المستقبل أننا نستشرف المستقبل ونتطلع إليه من منظور القرآن الكريم ، وبتوجيه مباشر من القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم يزخر بالآيات الكريمات التي توجه المسلم إلى ضرورة استشراف المستقبل ، والإعداد له ، والعمل على تحقيقه بالصورة التي أرادها الله تعالى ، من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

[١]. سورة الكهف ، الآية (٥٤) .
[٢]. سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .
[٣]. سورة الملك ، الآية (٢٢) .

اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [١] . ومنها قوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين)[٢] ، ومنها قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون) [٣] ،وفي هذا ما فيه من دعوة الإسلام للناس إلى أن يبذلوا جهدهم ويعملوا بصرهم وبصيرتهم في حيثيات هذا الكون لاستشراف المستقبل المنشود.

وأيضا فإن علم استشراف المستقبل لا يعد تدخلاً في شؤون الغيب ، أو أنه تخرصات كما يحلو لبعض هواة الكسل والجمود أن يسموه ، انطلاقا من فهمهم القاصر لقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٤] ، بل إن المراد خلاف ما ذكروه وفهموه ، وسنعمل إن شاء الله تعالى في هذه الدراسة على تجلية ذلك وبيانه ، وإزالة هذا التعارض الظاهري .

وعلى المسلمين اليوم أن يقوموا بواجبهم تجاه هذا العلم باعتباره أداة من أدوات الصراع في الزمن الحاضر ونحن مطالبون بالإعداد والاستعداد بكل ما أوتينا من قوة لامتلاك كل الأسلحة التي تعيننا للتمكين لهذا الدين ، تنفيذا لأمر ربنا تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إليكم وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [٥] .

وفي استشرافنا للمستقبل من منظور القرآن الكريم نقدم خدمة للإنسانية هي اليوم في أمس الحاجة إليها ، وهي فيما يُرى ويُشاهد متعطشة للخروج من المآزق والمشكلات التي تفتك بها وتطيح بمقدراتها ، عوضا عن أننا نقوم بواجبنا ونؤدي رسالة نبينا التي استأمننا عليها .

---

[١] . سورة الحشر ، الآية (١٨) .
[٢] . سورة الأنعام ، الآية (١١) .
[٣] . سورة الرعد ، الآية (٣) .
[٤] . سورة لقمان ، الآية (٣٤)
[٥] . سورة الأنفال ، الآية (٦٠)

والمسلّم به هنا أن المسلم بما يتميز به من حمله للقرآن الكريم كمصدر أساس من مصادر معرفته، أقدر الناس بهذا القرآن على رسم تصورات المستقبل.

إن منهج القرآن الكريم يربط ماضي البشرية بحاضرها ،وحاضرها بماضيها، ويشير من خلال ذلك كله إلى مستقبلها ،وهؤلاء العرب الذين وجه إليهم القول أول مرة لم تكن حياتهم ومعارفهم وتجاربهم قبل الإسلام لتسمح لهم بمثل هذه النظرة الشاملة لولا هذا الإسلام، وكتابه القرآن الكريم ، الذي أخرجهم به الله تعالى من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، وأنشأهم به نشأةً أخرى وخلق به منهم أمة تقود الدنيا .

إن النظام القبلي الذي كانوا يعيشون في ظله ما كان ليقود تفكيرهم إلى الربط بين سكان الجزيرة ومجريات حياتهم؛ فضلاً على الربط بين سكان هذه الأرض وأحداثها فضلاً على الربط بين الأحداث العالمية والسنن الكونية التي تجري وفقها الحياة جميعاً ، وهي نقلة بعيدة لم تنبع من البيئة ولم تنشأ من مقتضيات الحياة في ذلك الزمان،إنما حملتها إليهم هذه العقيدة ، بل حملتهم إليها، وارتقت بهم إلى مستواها في ربع قرن من الزمان ، على حين أن غيرهم من معاصريهم لم يرتفعوا إلى هذا الأفق من التفكير العالي إلا بعد قرون وقرون [١] .

يقول الأستاذ المنجرة في هذا المقام وفي نهاية حديثه عن قضايا المستقبل الإسلامي ، الدراسات المستقبلية : الضرورة والواقع والآفاق : " وطبيعي أن يرجع الشباب المسلم إلى الأصول للعثور على الأنماط التي تقود خطواته ، لان المستقبل الممكن والمنشود للعالم العربي والإسلامي يتركز أساسا على تجديد الفهم للإسلام ، إسلام الاجتهاد وليس إسلام التقليد ، ذلك الذي كان وراء سقوط حضارة ابتعدت تدريجيا عن مهمة الخلق والإبداع اللذين واصلهما المسلمون إلى يوم أعلن فيه بعض الفقهاء جزافا إغلاق باب الاجتهاد . إن الإسلام دين متفتح يترك للفرد مبادرة كبرى وحرية في التكيف والتغيير وتوقع التحولات ، فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لم يتوقعوا المستقبل في فجر الإسلام ، ما كان هناك اليوم مليار و٢٠٠ مليون مسلم "[٢] .

وصدق الله العظيم في وعده للمؤمنين المستضعفين في الأرض حيث قال : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

[١] . انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ٤٥١ .
[٢] . انظر مهدي المنجرة ، الحرب الحضارية الأولى، مصدر سابق ، صفحة ٢٩٧ .

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون)[١] ، وهو سبحانه وتعالى يعد الأمة المسلمة بالنصر والتمكين وامتلاك المستقبل كما وعد الجماعة المسلمة الأولى إن هي أحسنت التمسك ، والاتباع ، والإبداع في امتلاك مقومات نصر دين الله تعالى ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [٢] . وقال تعالى : (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [٣] .

يقول الإمام العلامة يوسف القرضاوي في محاضرة له تحت عنوان (مستقبل الأمة مرهون بالتغيير) أن مقولة "النظرة المستقبلية" لا يمكن أن تتعارض مع الإسلام، أو تكون مجرد اختراع غربي كما يراها البعض، وقال: "إن النظرة المستقبلية هي أمر قرآني ونبوي، فالأمة عليها أن تنظر للماضي، وتعايش الحاضر، وتستشرف المستقبل" [٤].

المطلب الرابع

خطوات استشراف المستقبل

أشرنا في بداية حديثنا في هذه الدراسة ، أن استشراف المستقبل هو عملية منظمة لا مجال فيها للتخرصات أو الضرب بالغيب ويمكن القول أن استشراف المستقبل في علوم اليوم قد تجاوز المراحل البدائية التي مر بها من الاعتماد على الخيال والضرب بالغيب ، بل والتكهن ، أقول انه تجاوزها ليصبح اليوم علما (مع تحفظ بعض العلماء على تسميته علما ؛ لأنه لا يفيد اليقين برأيهم ويخضع للمتغيرات غير المتوقعة) يستند إلى حقائق ووقائع مدروسة بطريقة علمية دقيقة ، وهو علم له خطواته وإجراءاته ، وسنحاول في هذا المطلب إن شاء الله تعالى أن نقف على بعض هذه الإجراءات وتلك الخطوات . ولكن لا بد أن نشير إلى صعوبة هذا الموضوع إذا ما ذكرنا أن علم استشراف المستقبل ما زال في مفهومه المعاصر علما جديدا ، بمعنى أن التنظير فيه غير كاف ، وان معالمه غير مستقرة تماما ، وان المراكز الاستشرافية في العالم تقف حائرة أمام

---

[١] .سورة النور ، الآية (٥٥)
[٢] . سورة محمد ، الآية(٧)
[٣] . سورة يوسف ، الآية (٢١) .
[٤] . راجع www.sawtakonline.com

مفردات المستقبل وكيفية التعامل مع متغيراته ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية أن المراجع الاستشرافية قليلة جدا إذا ما قورنت بأهمية هذا الموضوع وزخامته ، وان العالم الثالث والذي لم يعترف بعلم استشراف المستقبل إلا على نطاق ضيق ، وعلى استحياء ، يجعل من الصعوبة بمكان تحديد هذه الإجراءات والخطوات ، ومن جهة ثالثة، فان الحديث عن استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم يزيد الأمر مسؤولية في أن نكون دقيقين مع المفردات التي يمكن أن نطرحها في هذه الدراسة .

وعلى الرغم من هذا كله فان الخطوات والإجراءات لعملية استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم والتي لم أجد من فصلها تفصيلا يمكن اعتماده هنا واعتباره أساسا ومرجعا في هذه الدراسة ، تكاد تنحصر من خلال ما راجعنا خلال بحثنا عن الاستشراف وخطواته في مجموعة من الإجراءات التي لا بد من ربطها بالقرآن الكريم ، لان موضوع دراستنا هو من منظور القرآن الكريم .

ومن الإنصاف أن نسجل في هذا الموضع من الدراسة أن كثيرا من دعاة اليوم ، والذين يتبنون الفكر الإصلاحي والشمولي للقرآن الكريم باعتباره منهجاً للحياة ، يكادون يجمعون على دور استشراف المستقبل في صياغة مستقبل الأمة المنشود ، غير أني لم أجد أحداً منهم يذكر ، فيما راجعت وبحثت ، خطوات محددة للسير في عملية استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم ، في حين أكد جميع من عنيت أن من واجبنا تجاه هذا الدين أن نبذل ما بوسعنا لخدمة هذا الدين وبالتالي التعامل مع كل أوامره وتنفيذها بما يضمن المكانة القيادية للإنسانية والتي يجب أن يكون عليها حملة هذا الدين العظيم .

على الرغم من ذلك ، وبالنظر إلى دعوة علماء الأمة تلك وما تحمل من توجيهات وبيان ، وبما يسمح لنا الفهم من خلال البحث والدراسة فانه يمكن أن نسجل خطوات استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم ، متوكلين على الله تعالى أولاً وآخراً .

وتتلخص خطوات استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم فيما يلي :

- دراسة سنن الله تعالى في الأمم السابقة دراسة تحليلية للوقوف على أسباب انتصارها ، أو أسباب هلاكها ، والمقصود بالسنن الإلهية كل ما يجري في المجتمعات وفق نظام وسنة قررها الله تعالى ، من إثابة المحسن ، ومعاقبة المسيء ، ويشمل ذلك السنن الإلهية في الأسباب والمسببات وسننه تعالى في النواحي الاجتماعية والسياسية والعسكرية ، وغير ذلك ، وقد أفردت الفصل الأول من

هذه الدراسة للبحث في هذه السنن ورصد الآيات الكريمة ذات الصلة ودراستها والرجوع إلى أقوال أهل التفسير فيها ، لتتضح الصورة ويسهل الوصف .

- رصد الآيات الكريمة المتعلقة باستشراف المستقبل والتي تدعو المسلم إلى الإعداد والاستعداد للغد، ودراسة هذه الآيات الكريمة دراسة وافية بما يفيد خدمتها للموضوع محل البحث والدراسة.
- ربط الآيات الكريمة آنفة الذكر بأحداث الواقع سواء منها التي وقعت في الماضي لتكون دليلا على سنة الله تعالى الثابتة التي لا تتبدل ولا تتحول ، أو تلك التي لم تقع بعد مع الإيمان اليقيني بأنها ستقع في محاولة لدراستها أيضا بما يسمح بوضع تصور لما يمكن أن تكون عليه .
- استخراج عوامل ومقومات بناء المستقبل وامتلاك مقوماته سواء منها العوامل الدينية أو الاجتماعية أو النفسية أو المادية ، من منظور القرآن الكريم ، وتشكيل تصور عن هذه الأسباب ومدى امتلاك أمة القرآن لهذه الأدوات ، والاستفادة من ذلك كله في موضوع الدراسة محل البحث .
- الخروج بتصور لاستشراف المستقبل مبني على ما سبق مدعما بالأدلة والبراهين من القرآن الكريم ، يفترض أنه يراعي الموضوعية العلمية والشمولية الوصفية بعد عملية الاستقراء ، والبحث والرجوع إلى المصادر محل البحث .

الفصل الأول

السنن الإلهية في المستقبل الإنساني

ويتضمن تمهيداً وخمسة مباحث

المبحث الأول: تعريف السنن الإلهية.

المبحث الثاني:أهمية دراسة السنن الإلهية.

المبحث الثالث: خصائص السنن الإلهية.

المبحث الرابع: بين السنن الإلهية واستشراف المستقبل.

المبحث الخامس: أمثلة من السنن الإلهية.

الفصل الأول

السنن الإلهية في المستقبل الإنساني

التمهيد

اقتضت حكمة الله تعالى وإرادته أن يجعل لكل شيء سبباً ، وأنه لا يجري في هذا الكون شيء إلا وفق علم الله تعالى وإرادته وسننه ، تلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل، فهو سبحانه المتصرف بشؤون هذا الكون والمنظم لمجرياته وأحداثه .

يقول الله تعالى: (اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)[١] .

ويقول تعالى:(سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)[٢] .

والحالة هذه فان المتتبع لسنن الكون ومجرياته يجدها تسير في نسق منتظم يمكن أن يشكل تصوراً عن طبيعة هذه الحياة وماذا يراد منها وكيف ينبغي لها أن تكون.

ويقدم الباحث في هذا الفصل من هذه الدراسة ويستعرض مجموعة من السنن الإلهية التي قررها القرآن الكريم لتكون شواهد على ما يستشرفه من المستقبل في ضوء آيات القرآن الكريم ، وأشير هنا أن السنن الإلهية تكاد تكون شاملة لكل مجالات الحياة ، والباحث لا يريد من بحثه هنا أن يجمع كل تلك السنن ، ولكنه يجتهد في اختيار مجموعة من هذه السنن والتي

---

[١] . سورة فاطر ، الآية ٤٣ .
[٢] . سورة الإسراء ، الآية ٧٧ .

تفيد في مساندة بحثه ، وإلا فقد قيل أنه ما حدث شيء إلا وحدث قبله مثله، يقول الله تعالى : (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [١] .

ويقول تعالى: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) [٢] .

والآيات الكريمة متوافرة في هذا الباب ونكتفي بالتذكير هنا أن القرآن الكريم حض المؤمنين على السير في الأرض ،وعلى ضرورة التفكر في خلق الله تعالى والنظر بعين البصيرة إلى الآيات المبثوثة هنا وهناك ، وقرر القرآن الكريم أن المعنيين بالاستفادة من هذا الخطاب وهو السير في الأرض والتفكر والتدبر هم أولو الألباب والعقول المستنيرة ، فهم وحدهم القادرون على سبر أغوار هذه السنن ومعرفتها وفهمها وبالتالي إلى حسن توظيفها بما يساعد على استشراف وبناء مستقبل أمة الإسلام بل ويساهم في رفد الحضارة الإنسانية .

ويحق لنا أن نفخر نحن معاشر المسلمين بأن السنن الكونية مستمدة من كلام الله تعالى الكامل والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن علم الله تعالى المطلق الكامل، وليس من وضع الإنسان القاصر والناقص في كل شيء ، والمطلوب منا هو السير في الأرض بالبصر والبصيرة لندركها ونفهمها ونعتبر بها .

وأخيرا فإن الباحث يريد من هذا الفصل أن يكون موجها له في استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم وفق سنن الله تعالى في الأمم السابقة.

يقول الإمام سيد قطب في تعليقه على قوله تعالى (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ): "

والقرآن الكريم يرد المسلمين هنا إلى سنن الله في الأرض، يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها الأمور . فهم ليسوا بدعاً في الحياة ؛ فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف والأمور لا تمضي جزافاً ، إنما هي تتبع هذه النواميس ، فإذا هم درسوها ، وأدركوا مغازيها ، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث ، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع ، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث ، والى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام ، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق ، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين ، لينالوا النصر والتمكين ؛ بدون الأخذ بأسباب النصر ، وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول " [٣] .

---

١ . سورة آل عمران، الآية ١٣٧.
٢. سورة فاطر، الآية ٤٣ .
٣ . سيد قطب ،في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ٤٥٠.

ونحن في هذا الفصل نحاول أن نستشرف خط السير على ضوء ما كان في الماضي ، من باب حسن الأخذ بالأسباب ، على اعتبار أن سنن الله تعالى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وهذه السنن مذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، لا يعرفها إلا عالم بالكتاب والسنة ، ومن استكشفها وعلمها استطاع أن يعرف الماضي وأن يتحسس المستقبل [١] .

المبحث الأول

تعريف السنن الإلهية

يجدر بنا هنا أن نحدد المعنى المراد من السنة ، باعتبار تنوع تخصصات العلم الشرعي ، الأمر الذي يقتضي تغير المعنى من علم إلى آخر ، فالسنة عند المحدثين تختلف عنها عند علماء أصول الفقه ، وتختلف كذلك عنها عند الفقهاء ، وكل من المفسرين وعلماء العقيدة الإسلامية ، ونشير هنا أن هذه التعريفات بينها تداخل واضح وبين ، الأمر الذي يعيننا في الوصول إلى المعنى الذي سنختاره في هذه الدراسة .

فالسنة لغة: مأخوذة من " سن " ولها أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة ويسر" [٢] ، والأَصل فيه الطريقة والسِّيرَة " [٣] . وجاء في التعريفات أن السنة في اللغة هي: الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضية " [٤] .

و في التوقيف أن " السنة بالضم طريقة المصطفى التي كان يتحراها ،وسنة الله طريقة حكمته ،وطريقة طاعته " [٥] .

والسنة هي: " الطريقة المستقيمة والمثال المتبع " [٦].

أما السنن اصطلاحاً ، فلها علاقة واضحة بالمعنى اللغوي ، والمراد بالسنن :(ما سنّه الله في الأمم من وقائعه ، أي : قد خلت من قبل زمانكم وقائع سنّها الله في الأمم المكذبة ، وأصل السنن جمع سنة : وهي الطريقة المستقيمة)[٧].

---

[١]. انظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، نسخة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥، جزء ٢ ص .٨٨٠
١.ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج ٣ ص .١٦
[٢]. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، جزء ١٣، ص ٢٢٠.
[٣]. علي الجرجاني ، ت (٨٢٦) التعريفات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٤٠٥ هـ ، جزء ١ ص ٤٠ .
[٤].محمد المناوي، ت (١٣٠١ هـ) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ ،١٤١٠ ، جزء ١ ، ص ٤١٥ .
٥.محمد الرازي ، ت (٦٠٤هـ) ، مفاتيح الغيب ،ط ١ ، دار الفكر بيروت ، ١٩٩٥هـ ،جزء ٤، ص ٣٩٢ .
[٦]. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير ، مصدر سابق ، جزء ٢ ص ٢٨ .

والسنةُ هي الْعادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بِنظيره الأول؛ ولهذَا أَمر سبحانه وتعالى بِالاعتبار وقال : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [١] .

والاعتبار أَن يقرن الشيءُ بِمثْله فيعلم أَن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس: هلا اعتبرتُم الأصابع بِالأَسنانِ ؟ فإذَا قال تعالى: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) [٢] ، وقال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [٣] ، أَفاد أَن من عمل مثل أَعمالِهِم جوزي مثل جزائهم ؛ ليحذَر أَن يعمل مثل أعمال الكفار ، وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين أتباع الأنبياء) [٤] .

و السنن ، بحسب سيد قطب رحمه الله هي (النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة ، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين)[٥] .

وقد خلص الدكتور شريف الخطيب في السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، إلى تعريف واضح للسنن بعد أن استعرض الكثير من أقوال العلماء ، ابتداءً بالمحدثين ،ومروراً بعلماء الفقه وأصوله ، وصولاً إلى المفسرين وعلماء العقيدة ، حيث اختار تعريفاً للسنن الإلهية بأنها : (منهج الله تعالى في تسيير هذا الكون ، وعمارته ، وحكمه ، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية ، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله) [٦] .

وهي بهذا التعريف تعد منهجاً لله تعالى في تسييره لأمور الخلق ، وأن هذا المنهج يطبق وفق علم الله تعالى وحكمته دون أن يلزم الله تعالى بشيء سبحانه وتعالى ، ولكن هذا المنهج يعتبر علامات كلية يستنير بها المسلم في حياته ليكون على بينة ونور .

فيما يرى الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، أن السنن الإلهية هي: " الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة " [٧].

---

[١] . سورة يوسف، الآية (١١١).
[٢] . سورة الحشر، الآية (٢).
[٣] . سورة يوسف، الآية (١١١).
[٦] . احمد بن تيمية ، ت (٧٢٨هـ) ،مجموعة فتاوى ابن تيمية، ط٢ ، نسخة دار ابن حزم ، الرياض ، جزء ٣،ص ١٤٥ .
[٧] . سيد قطب في، ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ص٤٨٠ .
[٦] . شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٤ م. صفحة .٢٧
[٢] . عبد الكريم زيدان ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، مؤسسة الرسالة ،ط ٣ ، ٢٠٠٢م ، صفحة ١٣ .

ويتضح من هذا أن كتب اللغة وأهل التفسير توافقوا على أن السنة هي الطريقة ، فإذا ما أضيف إليها لفظ الجلالة لتصبح سنة الله ، صار معناها طريقة الله تعالى ، ويخلص من ذلك أن سنة الله تعالى أي طريقته سبحانه في تسيير أمور الكون وفق قانون عام فيه معنى التماثل في النتائج إذا تماثلت المقدمات .

ويكفينا في هذا الفصل أن نقف على هذا التعريف الذي وصلنا إليه ليكون دليلاً لنا في السير نحو استشراف القادم في ما نتصوره من أحكام بالنظر إلى سنن الله تعالى في الأمم الغابرة.

المبحث الثاني: أهمية دراسة السنن الإلهية

تشغل السنن الإلهية حيزا واضحاً من مفردات هذا الدين، ولا أكون مغاليا إن قلت أن فهم السنن الإلهية يشكل دعامة أساسية من دعائم الفهم الشامل للإسلام.

إن الناظر في آيات القرآن الكريم يجد الآيات الكريمة الكثيرة التي تغطي الحديث عن السنن الإلهية ، وفي هذا ما فيه من أهمية لهذا الموضوع ، وتلك العناية والرعاية بهذا الموضوع من القرآن الكريم ، إشارة واضحة لضرورة أن يعتني به المسلمون ، وان يولوه من الأهمية ما يستحق كباقي مواضيع القرآن العظيم .

وتظهر أهمية الحديث عن السنن الإلهية في كونها " السبيل لمعرفة سنة الله هو الرجوع إلى كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فما فيهما هو القول الفصل " [١] ، وأعظم بها من غاية وأعظم بها من سبيل تلك التي تدلنا على الله تعالى .

وتظهر أهمية البحث في السنن الإلهية ، ومعرفة شروطها وخصائصها ، وانتظامها وتناسقها ،في أن تكون هذه المعرفة لتلك السنن منارا لنا وهاديا لتسخير الكون بكل ما فيه من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة ، وبالتالي لامتلاك الأدوات المساعدة على استشراف المستقبل من خلال تلك السنن والتي كما ذكرنا تتميز بالثبات والديمومة ، إلا بما يقدره الله من أجل الابتلاء والامتحان للإنسان في هذه الأرض.

وتتبين أهمية دراسة السنن في بحثنا هذا كذلك ، في أن دراسة تلك السنن تبعث الطمأنينة والوضوح في نفوس أتباع هذا الدين ، خاصة وأننا نتحدث عن هذه السنن من منظور القرآن الكريم ، والذي يثبت لنا تاريخ البشرية وما مر بها من أحداث ومجريات تجعل الإنسان قادرا على أن يأخذ من هذه الأحداث تجارب صالحة تفيده في رسم مستقبله وتمنعه وتحميه من الوقوع فيما وقع فيه غيره من البشر في سالف الأيام .

---

[١] . عبد الكريم زيدان ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، مصدر سابق ، صفحة ١٥.

وتتبين أهمية العلم بالسنن الإلهية من خلال عناية العلماء بهذا العلم وحثهم عليه ، وقد عد الإمام الغزالي العلم بالسنن الإلهية من القسم المحمود فقال : " وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وسنته في خلقه. وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما تيسر لهم، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم " [١] ، لتنبه هذه الدراسة إلى ضرورة العودة إلى هذه السنن وحسن العناية بها .

وكذلك فان العلم بسنن الله تعالى الكونية العامة يعتبر طريق إلى العلم بسنن الله الخاصة في المجتمع البشرى ومعرفة تقلبات الحياة به ، ومعرفة تطوره ، ومعرفة عوامل هذا التطور ، ومعرفة مدى سلطان السنن الإلهية على هذا المجتمع ، لأن العلم بهذه السنن عامة وخاصة هو القيم على توجيه الحياة وتصريفها بما وضع الله في خصائصه من طاقات لتصوير الظواهر الكونية ودوافعها القريبة أو البعيدة ، وهذا العلم بالسنن الإلهية هو الذي وضع المجتمع الإسلامي في مكان الصدارة من الحياة يوم أن كان العلم بأوسع معانيه هو القائد لهذا المجتمع ، فطاف آفاق السماوات والأرض نظاراً باحثاً يستشف الحقائق الكونية من وراء السجف ، يكشفها له القرآن ويهديه إلى أصولها [٢] .

يقول سيد رحمه الله تعالى في بيان أهمية السنن وتعهدها " إن هنالك سنناً ثابتة لهذا الكون؛ يملك الإنسان أن يعرف منها القدر اللازم له، حسب طاقته وحسب حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض. وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية؛ وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها " [٣].

إن الحديث عن السنن الإلهية يعد منارة للمسلم اليوم في ظلمات هذا العصر بما فيه من تعقيدات ومعضلات يكون فيها الحليم حيران ، غير أن المسلم الواعي الذي يتعهد كتاب ربه بالقراءة والعناية والتدبر والفهم هو وحده الوحيد القادر على أن يكون واعيا ومستوعبا لكل ما يجري في هذا الكون من أحداث .

يقول صاحب المنار رحمه الله: " إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً ، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم ، لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه ، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه ، كما

---

[١] . محمد الغزإلى ، ت (٥٠٥ هـ) ، إحياء علوم الدين ،دار قتيبة ،دمشق ، جزء ١ ص ٤٢ .
[٢] . انظر محمد الصادق عرجون ، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن ، ص (٨)
[٣] . سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ٣ ص ٦٧.

فعلوا في غير هذا العلم من العلوم و الفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال ، وقد بينها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده ، كالتوحيد والأصول والفقه ، والعلم بسنن الله ـ تعالى ـ من أهم العلوم وأنفعها ، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة ، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم ، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ، ومعرفة حقيقتها " [١] .

نحن مدعوون إلى العودة إلى هذه السنن ودراستها وتبيينها للناس في كل مناسبة حتى نخرج الناس من الاضطراب والحيرة ، إلى عالم النور والهداية ، والمسؤولية كبيرة على عاتق علمائنا اليوم أكثر من أي وقت مضى لاستلام هذا الدور والقيام به حق قيام ، وإلا فنحن مقصرون أمام الله تعالى في خدمة هذا الدين العظيم .

والناس في تعاملهم مع السنن الإلهية صنفان، منهم من اهتم بها ودرسها وتعامل بها، ومنهم من غفل عنها ولم يدرك أهميتها، وبالطبع فهما ليسا سواء، يقول سيد رحمه الله " وللكون والحياة والأحياء سنن ماضية لا تتخلف ولا تحابي. فمن اتبع هذه السنن أفلح وفاز، ومن حاد عنها ضل وخسر " [٢] .

المبحث الثالث: خصائص السنن الإلهية

تتميز السنن الإلهية كما مر معنا في بداية الدراسة أنها من عند الله تعالى، والأمر كذلك فإن هذه السنن الإلهية تختص بخصائص تتناسب مع كونها من عند الله تعالى.

وسنن الله تعالى من منظور القرآن الكريم لها خصائص عديدة ، فالناظر والمتفحص في آيات الله تعالى وسننه وعادته سبحانه في تسيير شؤون الكون ، يرى أن هذه الخصائص لازمة لا تنفك عن هذه السنن تحقيقا لعدل الله تعالى وحكمته وعظمته ، وسأكتفي بذكر ثلاثة من هذه الخصائص ، مستشهدا عليها بالدليل القرآني ، مستعرضاً لبعض أقوال المفسرين في الآية موضع الاستشهاد ، وإلا فان الخصائص كثيرة ينصح بالرجوع إليها من مظانها [٣] .

الخاصية الأولى: عدم التبدل أو التحول (الثبات):

وقد أخذت هذه الخاصية من قوله تعالى ": (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) [٤] وقوله تعالى : (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) [٥] .

وهذا من تمام الحق ، وكمال العدل ، وعظمة التشريع ، فالثبات صفة تتميز بها السنن فهي ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ، وعليه فيمكن القياس على نتائجها بالنظر إلى مقدماتها ،

---

[١] . محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١٨ ص ١٢٥ .
[٢] . سيد قطب ، في ظلال القرآن (١٧١/٤) .
[٣] .أنظر شريف الخطيب، السنن الإلهية ، مصدر سابق ،جزء ١، ص ٤٥ ، وانظر عبد الكريم زيدان ، السنن الإلهية، مصدر سابق ، صفحة ١٤ .
[٤] . سورة الأحزاب، الآية (٦٢).
[٥] . سورة فاطر، الآية (٤٣).

فالمسلم مأمور أن يِ ُعمل بصره وبصيرته في سير الأولين لتكون له العبرة ، وهو مطمئن لثبات تلك السنن وبأنه يمكن له أن يستفيد منها في أيامه ومستقبله .

"ولن" في قوله تعالى تفيد النفي مع التأبيد ، فيما يعني بالضرورة الثبات لهذه السنن ،وليكون في ذلك زيادة في التأكيد " أن الله لا يخالف سنته لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سَنن واحد ، والمعنى : لن تجد لسنن الله مع الذين خَلَوْا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلاً " [١] .

وهذا الثبات يمكن أن نلاحظه إذا ما استعرضنا سريعا أحداث التاريخ وكيف كانت انتصارات الأمم السابقة، وكيف كان انهزامها، من خلال تعامل هؤلاء وهؤلاء مع سنن الله تعالى.

يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على هذه الآية: (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) [٢]: " وهكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنته الكونية الثابتة التي لا تتبدل . فأية سكينة؟ وأية ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم؛ وهم يسمعون من الله أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود؟ وهي سنة دائمة لا تتبدل " [٣] .

وعدم التبدل أو عدم التحول بمعنى واحد عند الرازي ، والحكمة من التكرار كما يراها تتمثل في أن " عدم التبديل يفيد حصول العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره ، وأن عدم التحويل يفيد حصول العلم بأن العذاب لا يتحول عن مستحقيه إلى غيرهم " [٤]، فتكامل المعنيان .

فإذا اقتضت سنة الله تعالى نصر المؤمنين العاملين بمنهجه ، والمنفذين أوامره ، فإن هذه السنة ثابتة إلى أن يشاء الله تعالى لها ذلك ، فهي بهذا ثابتة لا تتغير ، وبالمقابل إذا اقتضت سنة الله تعالى معاقبة المجرمين والمفسدين في الأرض المتنكبين لشرعه تعالى ، والعاصين لأوامره ، فان هذه السنة كذلك ثابتة لا تتغير ، والعبرة دائما بالعاقبة والخاتمة .

وليس المجال هنا للبحث في حيثيات الثبات ومعناه التفصيلي ، إنما الذي يعنينا هنا أن نذكر أن الله تعالى لا يفرق بين المتماثلين كما أنه سبحانه لا يساوي بين المتناقضين [٥].

والقرآن الكريم يضرب لنا الأمثلة من الأمم السابقة لتكون لنا نبراسا وهاديا في صياغة مستقبل الأمة وما يجب لها أن تكون عليه بين سائر الأمم ،قال الله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ

---

[١] . انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ١١ ص ٣٢٦ .
[٢] . سورة فاطر ، الآية (٤٣) .
[٣] . سيد قطب ،في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٦ ص٤٨١ .
[٤] . انظر الرازي ،مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ١٢ ص ٤٩٣ .
[٥] . ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية ، ، جزء ٤، ص ٢٠٧.

الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [١] .

وهكذا فان سنن الله تعالى في الحياة ثابتة لا تتغير ولا تتحول ، أما ما نلاحظه اليوم من علو أهل الكفر على أهل الإيمان فان ذلك مرده إلى حكمة يريدها الله تعالى بنا بعد أن تركنا التمسك بالنهج القويم ، وما أن نعود إلى كتاب ربنا ، ونلتزم أوامره حتى تتحقق فينا سنته تعالى في تغيير هذا الوضع إلى الوضع الصحيح السليم .وهذه سنته سبحانه التي قد خلت من قبل وهي " طريقة الله سبحانه وعادته السالفة في نصر أوليائه على أعدائه " [٢].

الخاصية الثانية: حتمية الوقوع والنفاذ:

وقد دل على هذه الخاصية عموم قوله تعالى : (...إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون)[٣]، وهذه الخاصية تنبني على ما سبقها ، فقوله تعالى : (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) [٤] يقضي بان هذه السنة متحققة لا محالة .

وسننه سبحانه وتعالى كما هو قضاؤه متحققة لا محالة ، لان السنن جزء من القضاء ، ولا راد لأمر الله ولا لقضائه ، ولن يستطيع البشر بكل ما أوتوا من قوة وجبروت أن يحولوا دون وقوع سنن الله تعالى وتحققها ونفاذها ، فكل القوى أمام قوة الله لا شيء ،" فوعده صادر عن إرادته الطليقة ، وعن حكمته العميقة . وهو قادر على تحقيقه ، لا راد لمشيئته ، ولا معقب لحكمه ، ولا يكون في الكون إلا ما يشاء " [٥] ،(وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [٦].

وسنن الله بهذا نافذة لا تتخلف ، فحيث ما وجد مقدمات الأمر كانت نتيجته متلازمة معه ، لهذا قص الله تعالى علينا قصص الأمم السابقة لتكون لنا عبرة وعظة ، حتى لا نفعل مثل ما

---

[١] . سورة النور ، الآية (٥٥) .
[٢] . انظر محمد القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ،جزء ١٦ص ٢٨٠ .
[٣] . سورة آل عمران ، الآية (٤٣) .
[٤] . سورة فاطر ، الآية (٤٣) .
[٥] . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٥ ص٤٧٩ .
[٦] . سورة الروم ، الآية (٦) .

فعلوا فنهلك مثل ما هلكوا ، بل يريد الله تعالى منا أن نأخذ بأسباب الحيطة والحذر أن يصيبنا ما أصابهم ، وفيه إفادة أن الأمر متحقق الوقوع .

وقد بين الله تعالى في غير موضع من القرآن الكريم أنه من يعمل سوءًا يجز به، ومن يعمل خيرا يلاقيه، قال الله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [١] .

ومفاد ذلك أن الجزاء والنتيجة متعلقتان بالمقدمة (لأن الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه، فسنة الله تعالى ثابتة ومطردة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على قوم دون قوم. ولولا ثباتها واطرادها وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة وطلب الاعتبار بما حل بهم ، ولكن لما كان ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم ،حسن ذكر قصصهم وطلب الاعتبار والاتعاظ بها) [٢] .

الخاصية الثالثة: الشمولية

وقد أخذت هذه الخاصية من عموم الآيات الكريمة التي تتحدث أن كل من يعمل شيئا فهو ملاقيه أن خيرا فخير وان شرا فشر ولا يستثنى من هذه القاعدة أحد ، قال تعالى: (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً *) [٣] .

وهذه الخاصية تعني أن السنن الإلهية شاملة لكل البشر ، لا تحابي أحداً على أي أساس ولا تستثني أمة من هذه القاعدة الكلية الشاملة ، فسنن الله تعالى لا تنخرم ، فهي عامة لكل من يقع في جانب من جوانب السنن الإلهية ، فلا اعتبارات لفرد على فرد ، ولا لأمة على أمة ، ولا لجماعة على جماعة ، فهي سنن مطردة ، وهي بهذا تنطبق على كل أمة بما يناسب فعلها والتزامها بحيثيات تلك السنن .

وهذه قاعدة كبرى في الإسلام متعلقة في العمل والجزاء كما يصفها سيد رحمه الله عند تعليقه على الآية السابقة وهي" أن ميزان الثواب والعقاب ليس موكولاً إلى الأماني. إنه يرجع

---

[١] . سورة الزلزلة ، الآية (٧- ٨) .
[٢] . عبد الكريم زيدان ، السنن الإلهية ، مصدر سابق ،صفحة ١٥ .
[٣] . سورة النساء ، الآية (١٢٣ – ١٢٤) .

إلى أصل ثابت، وسنة لا تتخلف، وقانون لا يحابي. قانون تستوي أمامه الأمم - فليس أحد يمت إلى الله سبحانه بنسب ولا صهر - وليس أحد تخرق له القاعدة ، وتخالف من أجله السنة ، ويعطل لحسابه القانون . . إن صاحب السوء مجزى بالسوء؛ وصاحب الحسنة مجزى بالحسنة . ولا محاباة في هذا ولا مماراة " [١] .

والشمولية من مقتضى العدل والحكمة ، فلو انخرمت سنة من السنن لقوم دون غيرهم لصار ذلك مدعاة إلى الركون عن هذه السنن وبالتالي إلى عدم الاطمئنان إلى عموميتها وشمولها ، أما والحال غير ذلك فان الاطمئنان كل الاطمئنان والثقة كل الثقة ، في هذه السنن بما يلبي الحكمة من معرفتها والعمل بمقتضاها .

وقد ذكر الجمهور أن " لفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجازى بعمله " [٢] .

والذي يؤكد شمولية السنن الإلهية أن الناظر في التاريخ البشري يجد أن ما انطبق على أمة أخذت بالسنن ينطبق على آية أمة أخذت بتلك السنن ، بل إن الناظر في التاريخ يجد أن السنن لا تحابي أحدا ، حتى المسلمين عندما يتنكبون هذه السنن فانه مصيبهم ما أصاب غيرهم ممن تنكب تلك السنن ، ومثال ذلك ما حصل للمسلمين في غزوة أحد .

إذن فسنة الله تعالى عامة شاملة ، لا تستثني أحدا ولا تحابي أحدا ، بل " إن الله تعالى ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، فالباغي يصرع في الدنيا، وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة، وذلك لأن العدل هو نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها عند الله تعالى من خلاق" [٣].

المبحث الرابع

العلاقة بين السنن الإلهية واستشراف المستقبل

إن دراسة السنن الإلهية المستقاة من منظور القرآن الكريم لهو من الواجبات العظيمة التي ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يلموا بها ويعرفوها؛ ليستفيدوا منها في تفسير الأحداث وبالتالي لتوظيف هذه المعرفة في استشراف المستقبل الذي ينبغي أن يكونوا عليه ، على اعتبار أن هذه السنن تحدث وفق علم الله تعالى وحكمته التي جعلت للأحداث والمتغيرات سننًا لا تتبدل ولا تتحول، وهي متحققة ونافذة ، على العموم بحيث لا تستثني أحدا ولا تحابي أحدا .

---

[١] . انظر سيد قطب ،في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٢ ص ٢٤٣ .
[٢] . انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٥ ص ٣٩٦ .
[٣] . انظر ابن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، ، جزء ٢، ص ٥٦.

والسنن الإلهية بما تتصف به من خصائص مر بيانها ، تمثل مادة غنية وأدوات لا بد منها لاستشراف المستقبل ، فالمسلم إنما يستمد علمه من هذا القرآن الكريم ، وهو بهذا المصدر، كما ذكرنا ،الوحيد الذي يمتلك المصداقية في علومه ومعارفه، لأنه يستمدها من كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو بالتالي الأقدر والأصدق في التعبير عن استشراف المستقبل وفق ذلك كله دون ادعاء أو افتراء .

وعملية استشراف المستقبل كما بينا في موضعه ، تعتبر عملية منظمة تبدأ من دراسة الماضي بكل ما فيه من أحداث وسنن ، لتمر بالحاضر المعاش ، لتقيم الأمة موقعا بالنظر إلى ذلك ، ثم هي مدعوة بإعمال البصر والبصيرة في استشراف المستقبل الذي تنشد، ولا تتم هذه العملية بالشكل الصحيح إلا إذا درسنا سنن الله تعالى فيما سبق من الأقوام ، ونظرنا إلى التاريخ بعين الناقد البصير .

وعليه فإن دراسة السنن الإلهية تعتبر الخطوة الأساسية الأولى ، ولا أقول الوحيدة ، في سبيل استشراف مستقبل زاهر للأمة الإسلامية .

إن علماء اليوم مدعوون كما يرى الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله [١] إلى ايلاء علم السنن الإلهية كل عناية ورعاية ، وهم مدعوون لاستلام دورهم في صياغة المستقبل .

والسنن الإلهية من منظور القرآن الكريم تبعث كما ذكرت سابقا في نفس المؤمن الطمأنينة والرضى ، هذه الطمأنينة وذاك الرضى ينبعان من ثبات واطراد وشمول تلك السنن وجريانها بسنة لا تتبدل ولا تتحول ، حيث يبقى المسلم منتظرا لوعد الله تعالى له إن هو أخذ بالأسباب وسار على تلك السنن ، فيجاري هذه السنن، وينتفع بها ويستفيد منها ليقينه بأن الله تعالى لا يخلف وعده .

ويمكن القول أيضاً أن معرفة المسلم للسنن الإلهية من منظور القرآن الكريم تؤهله بإذن الله تعالى لاستشراف المستقبل ، وتمنحه القدرة على ربط النتائج بالأسباب، من خلال أخذه للدروس والعبر من الأمم السابقة والتي ذكرت قصصها في القرآن الكريم ، لتكون لنا دليلا وهاديا في مستقبل أيامنا .

ومن الضروري أن اذكر بكلام الإمام سيد قطب في هذا المقام حيث قال : " فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف والأمور لا تمضي جزافاً ، إنما هي تتبع هذه النواميس ، فإذا هم درسوها ، وأدركوا مغازيها ، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث ، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع ، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث ، والى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام . واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق .

---

[١] . انظر محمد رشيد رضا ، ت (١٣٥٤ هـ)، تفسير القرآن الحكيم ، نسخة دار المنار ، ط ٢ ، ١٩٤٧ م ، جزء ٢ ،ص ١٤٥ .

ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين ، لينالوا النصر والتمكين ؛ بدون الأخذ بأسباب النصر ، وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول" [١] .

إذن فالعلاقة وطيدة بين دراسة السنن الإلهية وعملية استشراف المستقبل ، فإن المستقبل الإسلامي مرهون فيما وصل إليه الباحث في دراسته بحسن التعامل مع سنن الله تعالى في خلقه ، ومرهون كذلك في حسن توظيف تلك المعرفة لصالح المشروع المستقبلي للعالم الإسلامي ، وهذا وذاك منوط بحسن فهم آيات الله تعالى ، وحسن تدبرها ، وعبقرية الانطلاق منها إلى صياغة المستقبل الذي نريد ونحب .

يقول الإمام المراغي في تفسيره المعروف باسمه : (إن النظر في أحوال من تقدمكم من الصالحين والمكذبين يهديكم إلى الطريق المستقيم ، فإن أنتم سلكتم طريق الصالحين فعاقبتكم كعاقبتهم ، وإن سلكتم سبيل المكذبين فحالكم كحالهم) [٢] .

المبحث الخامس

أمثلة من السنن الإلهية

عرفنا فيما سبق السنن الإلهية، واخترنا لذلك تعريفا يخدم دراستنا ونراه الأقرب إلى موضوعنا، ثم بينا **أهمية دراسة السنن الإلهية**، وبعد ذلك استعرضنا عددا من خصائص السنن الإلهية، ثم كان الربط بين السنن الإلهية وعملية استشراف المستقبل.

وسيكون حديثنا في هذا المبحث عن مجموعة من السنن الإلهية كأمثلة نقف عليها وندرسها بما يغذي دراستنا ويوضح لنا الطريق في كيفية توظيف هذه السنن في خدمة هدف هذه الدراسة.

والسنن الإلهية كثيرة ومتنوعة ، مبثوثة في كتاب الله تعالى ، والباحث هنا لا يريد في هذا الفصل حصر هذه السنن ، فليس المحل محل حصرها ، ولا المدعي بقادر على فعل ذلك ولو أراد .

وسأحاول في هذا المبحث ، إن شاء الله تعالى ، أن أذكر ثلاثة من السنن الإلهية كأمثلة أسوقها بين يدي الاستشهاد بها في كيفية توظيفها في خدمة عملية استشراف المستقبل ، من باب أن السنن ثابتة ومتحققة وشاملة ، وهذه السنن هي :

المطلب الأول

سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات

وعند حديثنا عن سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات ، نقول في تعريف السبب:

---

[١] . سيد قطب ،في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ٤٥٠ .

٢. محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي ،ط١ ، ١٩٤٦م، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ج ٤ ص ٦١ .

أن السبب هو: " كل شيء يتوصل به إلى غيره وفي نسخة كل شيء يتوسل به إلى شيءٍ غيرِه وقد تسبب إليه ، والجمع أسباب وكل شيءٍ يتوصل به إلى الشيءِ فهو سبب وجعلت فلانا لي سبَباً إلى فلان في حاجتي ، والسّبب هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماءِ ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيءٍ " [١] .

والسبب الحبل والطريق لأنك تصل به إلى ما تريد[٢]، وهو عند الزمخشري " ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة " [٣] .

ونكتفي هنا بما ذكره أهل اللغة ، والزمخشري من أهل التفسير لان كتب اللغة وأهل التفسير توافقوا على هذا المعنى .وسنزيد الأمر وضوحا وتفسيرا إن شاء الله عند رجوعنا إلى ذكر الآيات الكريمة في هذا الباب .

أما عن سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات، فسأتحدث عنها في هذا المبحث ضمن الفروع التالية:

الفرع الأول: استعراض بعض الآيات الكريمة ذات الصلة والعلاقة.

الفرع الثاني : الوقوف على أقوال بعض المفسرين في هذه الآيات بما يكفي لبيان المقصود وتوضيحه .

الفرع الثالث: ما يستفاد من هذه السنن في استشراف المستقبل.

الفرع الأول

استعراض بعض الآيات الكريمة ذات الصلة والعلاقة بالأسباب والمسببات

والقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تتحدث عن الأسباب وضرورة الأخذ بها والتعامل معها لتكون عبرة لأولي الأبصار ، ومن هذه الآيات الكريمة ، على سبيل المثال لا الحصر :

قوله تعالى : (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً)[٤] .

وقوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[٥] .

---

[١] . ابن منظور ، لسان العرب، مصدر سابق ، حرف الباء ، مادة سبب ، جزء ١ ،ص ٤٥٥ ، وانظر الزبيدي، تاج العروس ، مادة سبب جزء ١ ، ص ٥٧١.

[٢] . انظر الجوهري ، الصحاح في اللغة ، مصدر سابق ، جزء ١ ،ص ٢٩٩ ، وانظر الفراهيدي ، كتاب العين ، مصدر سابق ، باب السين والباء ، جزء ٣، ص ٥٣ .

[٣] . محمد بن عمر الزمخشري، ت (٥٣٨هـ) تفسير الكشاف ،ط١، نسخة دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، جزء ٤ ، ص ٤٦ .

[٤] . سورة الكهف ، الآية (٨٤) .

[٥] . سورة البقرة ، الآية ٢٢ .

وقوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [١] . وقوله تعالى : (... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) [٢] .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة في موضوع الأسباب ، وسنة الله تعالى في الأسباب والمسببات تشغل مساحة واسعة وكبيرة بالنسبة للسنن الأخرى ، بل إن السنن الأخرى تقوم كلها على سنته تعالى في الأسباب بصورة مباشرة أو غير مباشرة " حتى لتبدو للمتأمل فيها كأنها من مفردات سنة الله في الأسباب وليست سننا مستقلة ، وكل السنن تبقى مع ذلك قائمة على سنة الله تعالى في الأسباب ومعتمدة عليها " [٣] .

الفرع الثاني

الوقوف على أقوال بعض المفسرين في هذه الآيات بما يكفي لبيان المقصود وتبيينه وتوضيحه

وسأكتفي ببيان أقوال بعض أهل التفسير في الآية الأولى موضع الاستشهاد، وتبقى الآيات الأخرى - وغيرها كثير - كشواهد عامة يمكن الرجوع إليها عند الحاجة، في هذا المقام أو في غيره.

قوله تعالى : (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً) [٤] .

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن ذي القرنين ، الرجل الصالح الذي حكم الأرض بشرع الله تعالى حتى دان له المشرق والمغرب ، فبأي شيء كان له ذلك بعد إرادة الله تعالى ، يعلمنا القرآن الكريم أن ذي القرنين أخذ بالأسباب وعمل جهده في سبيل تسخيرها للهدف الذي كلفه الله تعالى بتحقيقه ، فها هو بعد أن أعطاه الله تعالى الأسباب ، اتبع هذه الأسباب بالبحث عن كيفية توظيفها واستغلالها بما يحقق له هدفه ، فتجد القرآن الكريم يقول معلقا بعد أن آتاه الله تعالى الأسباب ، بقوله ، ثم أتبع سببا .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى معلقا على قصة ذي القرنين بأنه : (النموذج الطيب للحاكم الصالح ، يمكنه الله في الأرض ، وييسر له الأسباب؛ فيجتاح الأرض شرقاً وغرباً؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر ، ولا يطغى ولا يتبطر ، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي ،

---

[١] . سورة الأنفال، الآية ٢٩ .
[٢] . سورة التحريم ، الآية ٣.
[٣] . انظر عبد الكريم زيدان ، السنن الإلهية، مصدر سابق، ص ٣٣ .
[٤] . سورة الكهف ، الآية (٩٨) .

واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان ، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق؛ ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه . . إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به ، ويساعد المتخلفين ، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل؛ ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعبير والإصلاح ، ودفع العدوان وإحقاق الحق) [١] .

ذلك هو بيان قوله تعالى، ثم أتبع سبباً ، أي أن ذا القرنين وظف كل ما وهبه الله إياه من أسباب في خدمة هدفه وغايته .ومعناه عند الإمام الرازي " أنه تعالى لما أعطاه من كل شيء سببه فإذا أراد شيئاً أتبع سبباً يوصله إليه ويقربه منه ، وأنه إذا أراد بلوغ المغرب فإنه يتبع الأسباب التي توصله إليه حتى يبلغه " [٢] .

إن متابعة الأسباب والبحث عنها مدعاة إلى النجاح والوصول إلى الهدف المنشود ، وها هو الزمخشري في كشافه يذكر أن ذا القرنين أتبع سبباً لكل غاية أرادها، يقول الإمام الزمخشري رحمه الله :

" فأراد بلوغ المغرب فَأَتْبَعَ سَبَباً يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق، فأتبع سبباً، وأراد بلوغ السدّين فاتبع سبباً " [٣] .

إن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعاً لا ينافي التوكل على الله بحال ، ألم نقرأ قوله تعالى إلى مريم وهي في أضعف حالاتها ، (وَهُزِّي إليك بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) [٤] ، وهذا في حق العباد ظاهر ولازم في أن يبذلوا الأسباب للوصول إلى النتائج .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام نفيس في الأسباب ،فهو يرى أن " السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لا بدَ معه من أسباب أخر ومع هذا فله موانع ، فان لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود " [٥] .

وينبني على هذا أن المطلوب يحصل بتحقق جميع أسبابه ، وانتفاء جميع ما يمنع من حصوله ، والمسلم مأمور في ذلك أن يبذل كامل وسعه وجهده وطاقته لتوفير الأسباب وإبطال موانع حصولها ، وتبقى بعد ذلك النتائج على الله تعالى ، الحكيم الخبير العدل .

وسنة الله تعالى في الأسباب والمسببات أن جعل سبحانه لكل شيء سبباً ، وعلى هذا لا يصح القعود عن العمل والإنجاز بحجة أن الله تعالى يفعل ما يريد وان الإنسان لا ينفعه عمله

---

[١] . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٥ ص ٨١ .
[٢] . انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ١٠ ص ٢٤٧ .
[٣] . الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، جزء ٤ ص ٤٦ .
[٤] . سورة مريم ، الآية (٢٥) .
[٥] . انظر ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ٢٨ .

ولا يضره تركه ، بل إن المسلم مأمور أن يبذل الجهد والوسع كما ذكرت ثم بعد ذلك يحسن التوكل على الله تعالى ، فانه لا يصير في هذا الكون إلا ما أراد الله تعالى .

الفرع الثالث

ما يستفاد من هذه السنة في استشراف المستقبل

أعجب ظاهرة في تاريخ الحياة البشرية، كما يراها سيد قطب رحمه الله، هي ظاهرة انبثاق أمة من خلال نصوص كتاب! به عاشت. وعليه اعتمدت في الدرجة الأولى " [١] . ويمكن لهذه الأمة أن تعاود الانبثاق من جديد إن هي أحسنت التعامل مع نصوص الكتاب مرة أخرى ، وان هي عاشت به ، واعتمدت عليه كما في المرة الأولى ، وهي مؤهلة لذلك بكل ما أوتيت من هذا الكنز العظيم وبما حباها الله تعالى من الفهم السليم ، والفطرة السليمة الصافية النقية .

ودراسة السنن الإلهية خير زاد لهذا الانبثاق وتلك الانطلاقة ، فعندما ندرك أن الأخذ بالأسباب مدعاة لحصول الفوز والنجاح فنحن مطالبون بفعل ذلك إن أردنا الفوز والنجاح ، وأيما أمة فهمت السنن الإلهية والتزمتها وتعاملت معها بجدية ويقين وأولتها العناية والرعاية المناسبة كان لها ما تريد وفق سنن الله تعالى الثابتة.

وفي هذا يقول الإمام الزحيلي في تفسيره المنير: " السنة في الماضين واللاحقين هي أن من سار على منهاج الطائعين المؤمنين الموفقين حظي بالسعادة والنصر والفلاح ، ومن سار في طريق العصاة المذنبين كانت عاقبته خسرا ودمارا وهلاكا ،ففي أحوال المسلم أن من سار على الأصول المطلوبة والنظم العلمية والخبرات المعروفة في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها ، نجح وظفر بمراده ، وان كان ملحدا أو وثنيا أو مجوسيا ، وإن جانب المعقول ، وخرج عن المألوف ، كان من الخاسرين وإن كان صالحا تقيا ، ثم يقول : " ومن سار في الأرض ، وتعقب أحوال الأمم ، وتدبر التاريخ ، وعرف الأخبار ، يجد مصداق تلك السنن الإلهية الثابتة ، وهي الفوز لمن أحسن ، والخيبة لمن أساء " [٢] .

إن الاستفادة من سنة الله تعالى في الأسباب تتمثل في دراسة الأسباب الموجبة للنهوض والنصر والتمكين، ورفض كل مفردات الهزيمة والنكوص والخمول، لينطلق منها إلى وضع برنامج عملي بعد حصر أسباب الغلبة والقوة والتمكين، من منظور القرآن الكريم ووفق هديه.

إن الأخذ بالأسباب لا يتعارض مع الإيمان بالقدر ، بل النشاط الحركي للانبثاق والانعتاق من الواقع لتغييره إلى واقع أسمى من حسن الفهم لهذا الدين . وما من أمة أخذت

---

[١] . انظر سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ، ط١ ، نسخة دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٦٠ .

[٢] . انظر وهبة الزحيلي ، التفسير المنير ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩١م ، المجلد الرابع ، جزء ٤ ، ص ٩٨ .

بأسباب القوة وحرصت عليها قولا وعملا ، إلا كان لها مع القوة صولات وجولات ، وما من أمة ركنت إلى الدعة ، وتركت أسباب القوة إلا كان مصيرها الذل والهوان ولو تعدى تعدادها المليار .

وأكثر من ذلك فان الاستعداد والإعداد يعتبر أمراً ربانياً ، يحاسب المسلم إن هو قصر في تحصيله بما آتاه الله تعالى من وسائل وأساليب ، وذلك ظاهر في قوله تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إليكم وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)[١] ، وأعدوا هنا تفيد الأمر ، والأمر للوجوب إلا إذا وردت قرينة تحوله من ذلك الحكم إلى حكم آخر ، وحتى إن قلنا بعدم الوجوب العيني بالإعداد فان الوجوب الكفائي يقضي بان الأمة مقصرة في هذا الواجب إذا لم تقم ثلة منهم بالأخذ بهذا الأمر وتنفيذه ، لتكون الهيبة لأمة الإسلام في قلوب عدوها إلى يوم القيامة ، بل إن سيد قطب رحمه الله تعالى ، يذكر أن " الاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد؛ والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها؛ ويخص رباط الخيل لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً" [٢] .

إن من حسن استشرافنا للمستقبل أن نعود إلى سنة الله تعالى في الأسباب من منظور القرآن الكريم ، وضرورة أن نوظف هذه السنة الإلهية في صياغة أفكار عملية تساعد الأمة على النهوض ، وتحررها من ذل التبعية للباطل ، وبالتالي تعينها على استعادة دورها الريادي والقيادي في إدارة شؤون العالم .

المطلب الثاني

سنة الله تعالى في نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين

وسأغض الطرف عن بيان المقصود بكل من المؤمن والكافر لوضوحهما.

النصر لغة:

---

[١] . سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

[٢] . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٣ ص ٤٣١ .

" النون والصاد والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إتيان خَيرٍ وإيتائه. ونَصَر اللَّهُ المسلمين: آتاهُم الظّفرَ على عدوّهم، ينصرهم نَصْرًا، وانتصر: انتقم، وهو منه؛ وأمَّا الإتيانُ فالعرب تقول: نصرت بَلَد كذا، إذا أتيتَه" [١] .

والنصر مأخوذ من الفعل الثلاثي نصر، والذي يعني كما جاء في اللسان " إِعانة المظلوم، وقال الأزهري، يكون الانْتصَارَ من الظالم الانْتِصاف والانْتِقام وانْتَصَر منه انْتَقَم " [٢]

وقد يأتي النصر في القرآن الكريم، ويراد به واحدا من هذه المعاني: " النصر بمعنى المنع، أو بمعنى العون، أو بمعنى الظفر، أو بمعنى الانتقام " [٣] .

وأياً كان المراد من النصر فكلها محمودة ومطلوبة للمسلم وقد أرادها الله تعالى للمسلم وتكفل بها في سنته سبحانه في نصر المؤمنين .

الهزيمة لغة :

" هزم :الهاء والزاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على غَمْز وكَسْر. فالهَزْم: أن تَغْمِزَ الشيء، بيدك فَيَنْهَزِمَ إلى داخل، كالقِثّاءَةِ والبِطّيخة؛ ومنه الهَزِيمة في الْحَرْب " [٤] .

فهي مأخوذة من الفعل الثلاثي هزم، والهَزِيمةُ في القتال تعني كما جاء في اللسان: " الكسر" [٥] .

ولم أجد فيما رجعت إليه من كتب اللغة من زاد على ذلك إلا تفصيلا للكسر، والمراد به هنا، الكسر في القتال وهذا ما يعنينا هنا.

وإذا كان النصر في القرآن كما مر جاء ليخدم أربعة معان ، وإذا قلنا أن الهزيمة تقابل النصر في المعنى افدنا من ذلك أن الهزيمة تعني الاندحار والنكوص وهذه معان مذمومة أرادها الله تعالى للكافر ووعده إياها ضمن سنته سبحانه وتعالى الجارية في هزيمة الكافرين .

أما عن سنته تعالى في نصر المؤمن وهزيمة الكافر ، فسأتكلم فيها ضمن فروع ثلاثة ، غير أنه لا بد لي من الإشارة هنا إلى أنني لست في معرض التوسع في هذه السنة الإلهية ، لأنني سأفرد لها فيما سيأتي من الدراسة فصلا عن عوامل النصر لهذه الأمة ، وأيضا يجب أن أشير إلى أن الحديث عن النصر للمؤمنين يعني في المقابل الحديث عن الهزيمة للكافرين ، غير أن التوسع مطلوب وضروري ولكني أكتفي هنا بهذا ، والفروع الثلاثة كما ذكرت ، هي كما يلي :

الفرع الأول

استعراض بعض الآيات الكريمة ذات الصلة والعلاقة

---

[١] . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، مادة نصر ، كتاب النون جزء ٥ ،ص ٣٤٩ .
[٢] . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة نصر ، حرف الرا (٥ / ٢١٠) . وانظر الجوهري ، الصحاح في اللغة ، مصدر سابق ، جزء ٢، ص ٢١١ .
[٣] . انظر شريف الخطيب ، السنن الإلهية، مصدر سابق ، ص ١١٦ .
[٤] . ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، مادة هزم ، ج ص .
[٥] . انظر ابن منظور ، لسان العرب ،مادة هزم ، حرف الميم (٦٠٨/١٢) . وانظر الصحاح في اللغة ، باب هزم (٢٥١/٢) .

وقد اعتنى القرآن الكريم بهذه السنة أيما عناية ، لما لها من دور بالغ في بث الطمأنينة في قلوب أتباع هذا الدين ، ولما لها من فاعلية في توجيه سير الإنسان الذي يلتزم بأوامر الله تعالى ، وبالتالي الثقة المطلقة بالنصر الأكيد ولو بعد حين.

والآيات في هذه السنة الإلهية كثيرة، نذكر منها:

قال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون) [١].

قال تعالى : (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [٢].

وقال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [٣].

وقال تعالى : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [٤].

والآيات الكريمة في نصر المؤمنين سواء كانت صريحة أم ضمنية، كثيرة جداً، أكتفي هنا بما ذكرت.

أما الآيات الكريمة في سنة الله تعالى في هزيمة الكافرين وإهلاكهم، فهي أيضاً كثيرة، أذكر منها:

قوله تعالى:(وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ) [٥] .

وقوله تعالى (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) [٦] .

وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ اليم شَدِيدٌ) [٧].

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [١] .

---

[١] . سورة الصافات ، الآية (١٧١-١٧٣) .
[٢] . سورة المجادلة ، الآية (٢١) .
[٣] . سورة الروم ، الآية (٤٧) .
[٤] . سورة غافر ، الآية (٥١) .
[٥] . سورة الأنبياء ، الآية (١١) .
[٦] . سورة يونس ، الآية (١٣) .
[٧] . سورة هود ، الآية (١٠٢) .

والآيات الكريمة في هزيمة الكافرين وإهلاكهم سواء كانت صريحة أم ضمنية، كثيرة جدا، وأكتفي هنا بما ذكرت.

الفرع الثاني

الوقوف على أقوال بعض المفسرين في هذه الآيات بما يكفي لبيان المقصود وتبيينه وتوضيحه

وسأقف هنا في هذا الفرع على أقوال بعض المفسرين، مستعرضا أقوالهم في آية في سنة الله تعالى في نصر المؤمنين، وفي أخرى في سنته تعالى في هزيمة وإهلاك الكافرين.

أما آية النصر التي سأستعرض فيها أقوال المفسرين فهي قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [٢]. وسوف أكتفي ببيان الجزء الأخير من الآية موضع الاستشهاد .

" أية طمأنينة ، وأي سكون ، يبعثه هذا الوعد الإلهي بالنصر في قلوب المؤمنين به ، وأية قوة دافعة محركة دون خوف ولا وجل يشعر بها أتباع هذا الدين وهم يسمعون هذا الوعد الإلهي بالنصر وهم واثقون بربهم ومطمئنون بوعده ، وتلك سنة الله مع عباده في كل زمان ومكان إن هم حققوا نصرة الله تعالى وكانوا خير خدم لدينه ، والوعد مقرون بأن نكون على العهد مع الله تعالى ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [٣] .

وليس أصدق من ذلك الوعد وعد ، ومن أصدق من الله حديثا ، وعد المؤمنين به ، المتمسكين بشرعه ، المنفذين لأوامره ، المجتنبين لنواهيه ، بل وعد خلفاءه في الأرض ، أن ينصرهم ، وجعل نصره لهم حقا عليه سبحانه ، وهو سبحانه يفعل ما يشاء ويختار .

إنها سنة الله تعالى الثابتة في نصر المؤمنين، بل إن القرآن الكريم ليذكر أن الله تعالى " يجمع في هذه الآيات بين إرسال الرياح مبشرات، وإرسال الرسل بالبينات، ونصر المؤمنين بالرسل، وإنزال المطر المحيي، وإحياء الموتى وبعثهم " [٤] .

يضيف سيد رحمه الله تعالى : " وسبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين ، وجعله لهم حقاً ، فضلاً وكرماً ، وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكا ولا ريبا وكيف والقائل هو الله القوي العزيز الجبار المتكبر ، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، يقولها

---

[١] . سورة هود ، الآية (١١٧) .
[٢] . سورة الروم ، الآية (٤٧) .
[٣] . سورة محمد ، الآية (٧) .
[٤] . سيد قطب، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ن جزء ٥ ص٤٩٣ .

سبحانه معبرة عن إرادته التي لا ترد ، وسنته التي لا تتخلف ، وناموسه الذي يحكم الوجود " [١] . وهذا الوعد بالنصر يترقبه المسلم بثقة ويقين .

وفي قوله تعالى وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ، يقول الزمخشري أن هذا " تعظيم للمؤمنين ، ورفع من شأنهم ، وتأهيل لكرامة سنية ، وإظهار لفضل سابقة ومزية ، حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم ، مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم " [٢] .

وعند الإمام الالوسي رحمه الله تعالى أن هذا الوعد " فيه مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم وإشعار بأن الانتقام لأجلهم ، والمراد بهم ما يشمل الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وظاهر الآية أن هذا النصر في الدنيا ، وفي بعض الآثار ما يشعر بعدم اختصاصه بها وأنه عام لجميع المؤمنين " [٣] .

إذن فسنة الله تعالى في نصر المؤمنين لا تتخلف، فهي وعد من الله (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [٤] ، بالطبع لا أحد .

على أنه يجب أن يعلم أن سنة الله تعالى في النصر قد تتأخر في المنظور البشري ، ولكنها في علم الله تعالى تأتي في وقتها المناسب المحدد ، الذي لا يصلح أن يكون في غيره ، وعليه ينبغي للمسلم الواثق بوعد الله تعالى بالنصر أن لا يستعجل هذا النصر ، بل عليه أن يحقق أسبابه ويعمل بمقتضاه ثم يترك الأمر لله يفعل ما يشاء ويختار .

وعلى أن يدرك المسلم أيضا أن سنة الله تعالى ووعده بنصر المؤمنين ، هو دعوة واضحة وبينة بان للنصر أسباباً ومقومات أولها الإيمان بالله تعالى وطاعته وطاعة نبيه ، وليس آخرها الإعداد والاستعداد ، والأخذ بالأسباب ، بل إن بين هذا وذاك من التمحيص والابتلاء والمشقة والعنت ، ما يجعل النصر فقط لمن يستحقه ممن ينجح في هذا الاختبار وذاك التمحيص (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [٥] .

---

[١] . المصدر نفسه ، جزء ٤ ص ٢٧٧٤ .
[٢] . انظر الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، جزء ٥ ص ٢٦٤ .
[٣] . انظر محمود الالوسي ، ت (١٢٧ هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،دار الفكر ، بيروت،١٩٨٧م ، جزء ١٥ ص ٣٨٤ .
[٤] . سورة التوبة ، الآية (١١١) .
[٥] . سورة العنكبوت ، الآية (١ – ٣) .

إن النصر له أسبابه ، كما أن للهزيمة أسبابها ، فأيما أمة امتلكت الأسباب لأحدهما باءت بالنتيجة الحتمية لذلك ،غير أن هذا الامتلاك للأسباب يقع في مقدور واختيار الأمم ، ولهذا من سعى للعزة وسلك طريق النصر واستجمع أسبابه ، استحق النصر من الله تعالى ، وإلا باء بالثانية .

أما الهزيمة والهلاك للكافرين ، فهذا مقرر من الله تعالى وفق سنة لا تتبدل ولا تتحول ،وسأقف عند آية واحدة من الآيات التي ذكرت سابقاً ، مستعرضاً أقوال بعض المفسرين لها ، وهذه الآية هي قوله تعالى:(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [١] .

وفي هذه الآية الكريمة بيان لعدل الله ومنته ، وأنه سبحانه لا يظلم أحداً ، فما كان ليعذب قوماً أو ليهلكهم وهم لا يستحقون هذا العذاب والإهلاك ، حاشا لله .

إن مفهوم المخالفة في هذه الآية يفيد أن الله لا يهلك القرى المصلحة بل يهلك القرى التي استحقت هذا الإهلاك.

وفي هذا يقول الإمام الرازي " اعلم أنه تعالى بين أنه ما أهلك أهل القرى إلا بظلم " [٢] .

وسنة الله تعالى ثابتة في هزيمة الظالمين وإهلاكهم ، ما دام أنهم طغوا وتجبروا وظلموا وأفسدوا ، وهذه القاعدة جارية على كل الأمم ، سواء كانت مسلمة أم كافرة ، ذلك أن العدل أساس الملك ودوامه وسبب في عدم الاستئصال والهلاك ، فلو أن أمة كافرة أقامت العدل بين رعاياها ولم يظلم بعضهم بعضاً لم تكن السنة جارية عليهم بالهلاك وهم على ذلك ، والعكس صحيح ، فلو أن أمة مسلمة انتشر فيها الفساد وغاب عنها العدل وانتشر الظلم بين أفرادها لجرت عليهم سنة الله تعالى في إنزال العذاب بالشكل الذي يقرره الله تعالى ، وجاء في رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية أن " الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام" [٣] .

ولابن عاشور رحمه الله في تحريره وتنويره " ... لو أن قوماً غير مسلمين عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم بمثل ما أمر الله به المسلمين من الصالحات بحيث لم يعوزهم إلا الإيمان بالله ورسوله لاجتنوا من سيرتهم صوراً تشبه الحقائق التي يجتنيها المسلمون ،لأن تلك الأعمال صارت أسباباً وسنناً تترتب عليها آثارها التي جعلها الله سنناً وقوانين عمرانية ،سوى أنهم لسوء معاملتهم ربهم بجحوده ،أو بالإشراك به ،أو بعدم تصديق رسوله يكونون بمنأى عن كفالته وتأييده إياهم ودفع العوادي عنهم ، بل يكلهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد . ألا ترى

---

[١] . سورة هود ، الآية (١١٧) .
[٢] . انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٨ ص ٤٨٦ .
[٣] . انظر ابن تيمية، رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جزء١ ص٢٦ .

أن القادة الأوروبيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه بما مارسوه من شؤون المسلمين في خلال الحروب الصليبية ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي، والفقه الإسلامي، والسيرة النبوية قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان والمواساة وكراهة البغي والعدوان، فعظمت دولهم واستقامت أمورهم، وإن كان ذلك على الأقل في الظاهر " [١].

يقول الألوسي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : " أي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكها وبلغتك أنباؤها أو ما يعمها وغيرها من القرى الظالم أهلها ، والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك على أبلغ وجه وإلا فلا ظلم منه تعالى فيما يفعله بعباده كائناً ما كان لما علم من قاعدة أهل السنة " [٢].

الله تعالى يفعل ما يشاء ، ولا يقع منه ظلم سبحانه ، ولا يسأل عما يفعل ، ولكنه سبحانه يقرر سنة إلهية ليكون المؤمن في سكون وطمأنينة ، وليكون الكافر في خوف ورعب ، وتلك سنة الله تعالى .

سيد رحمه الله تعالى يعلق على هذه الآية الكريمة، " إنها تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم. فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله، في صورة من صوره، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير. فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون ، ويفسد فيها المفسدون ، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد ، أو يكون فيها من يستنكر ، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد ، فإن سنة الله تحق عليها ، إما بهلاك الاستئصال . وإما بهلاك الانحلال والاختلال!

فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحده ، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره ، هم صمام الأمان للأمم والشعوب ، وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحده ، الواقفين للظلم والفساد بكل صوره ، إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب ، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله ، واستحقاق النكال والضياع " [٣] .

نعم ، إن مهمة المسلمين اليوم أن يبذلوا جهدهم في دفع الظلم والفساد ، وليعذروا أنفسهم أمام الله تعالى في قول الحق والجهر به ، دون خوف ولا وجل على دنيا تافهة ، وعَرَض قاصر ، وحتى ينقذوا أمتهم من أن يستحقوا العذاب والنكال والضياع .

الفرع الثالث

ما يستفاد من هذه السنة في استشراف المستقبل

---

[١]. انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق ، جزء ١٠ ص٢٣ .
[٢]. انظر الالوسي، روح المعاني ، مصدر سابق ، جزء ٨ ص ٤٠٦ .
[٣]. سيد قطب، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٤ ص٢٧٣ .

على المسلمين اليوم أن يدركو أكثر من أي وقت مضى أن للنصر أسباباً يجب عليهم أن يباشروها، وأنهم مؤاخذون إن هم قصروا في امتلاكها، وأن النصر إنما يكون مع الإيمان والعدل، ولا يكون مع الظلم والطغيان والقهر.

سنة الله تعالى في النصر للمؤمن تجعل المؤمن واثقا بنصر الله تعالى ، إن آجلا أو عاجلا ، وهذا يجعله دائما متيقظا متأهبا ، آخذا بالأسباب كلها بحسب قدرته وطاقته ، متوكلا على ربه ، واثقا بنزول النصر ، كما أنه يرى نزول القطر .

إن من يحمل مثل هذه الطمأنينة ، ومن أهل نفسه للوعد بنصر الله تعالى لا ترهبه كل قوى الدنيا ولو اجتمعت ، فهو متصل مع القوة العظمى التي لا تقف أمام قوتها أية قوة ، تلك هي قوة الله تعالى ، وشعار المسلم الذي يردده أبدا ، إن الله لا يخلف الميعاد ، وما النصر إلا من عند الله ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

نحن مدعوون ، أيضا اليوم ، أكثر من أي وقت مضى لامتلاك أدوات النصر وأسبابه حتى يتغير حالنا ولنعين أنفسنا على تغيير الواقع المرير الذي تمر به أمتنا اليوم ، وسأفرد للحديث عن هذا الجانب المهم جزءاً مهماً من هذه الدراسة ، في ما يستقبل منها والله المستعان .

وكذلك فان الظلم إذا حل بقوم فان الهلاك الذي يقع بأهله لا يفرق بين صغير وكبير ولا بين صالح وطالح ، بل إن العذاب هذا يكون كالنار التي تأكل ما تجده دون تفريق بين أخضر ويابس ، ونحن مدعوون لمحاربة الظلم وأهله بكل ما أوتينا من قوة ، لننقذ أنفسنا وأمتنا من أن تستحق غضب الله تعالى عليها بإنزال عذابه وعقابه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المطلب الثالث

سنة الله تعالى في التدافع والصراع بين الحضارات

بعد أن بينا فيما سبق سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات ، وسنته سبحانه في نصر المؤمنين وإهلاك الظالمين ، يجدر بنا أن نركز على سنة ذات علاقة وصلة مباشرة بموضوع دراستنا إلا وهي سنة الله تعالى في التدافع بين الحضارات والصراع الأبدي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بين الحق والباطل ، وقد قررنا مسبقا بتوجيه من النصوص القرآنية أن الغلبة والنصر في النهاية ستكون للمؤمنين الذين استلموا راية خلافة الله تعالى في الأرض وعملوا وفق أوامره وطبقوا تعاليمه ، واجتنبوا نواهيه .

إذن فسنة الله تعالى في الصراع ، والتدافع ماثلة اليوم ، وفي عصرنا ، أكثر من أي وقت مضى ، مما يحدونا إلى الوقوف على هذه السنة الإلهية بما يدعم الفائدة في هذه الدراسة .

وقد أخرت الحديث عنها بعد الحديث عن السنن السابقة على الرغم من ترتب هذه السنة على ما قبلها ، ذلك لأنني أعتقد أن الحديث اليوم جار عن التدافع بين الحضارات ، وما يتبعها من

غزو فكري ثقافي منظم ، وما يراد للإسلام في هذا الصراع من أن يكون موجها لصالح الفكر الوضعي الجديد المنسلخ عن عقيدة الأمة ، وبالتالي إلى تغييب الإسلام كدين حضاري عن عالم اليوم ، في مجال الحركة والتطبيق ، والاكتفاء بأن يكون على مستوى القناعة والشخصنة .

التدافع لغة :

دفع : " الدال والفاء والعين أصلٌ واحد مشهور، يدلُّ على تنحيَة الشيء. يقال دَفَعْتُ الّشيء أدفعُه دَفْعاً، وَدافع الله عنه السُّوءَ دِفاعاً؛ وَالمدفَّع: الفقير، لأن هذا بدافعه عند سؤالِهِ إلى ذلك. " [١] .

وفي اللسان : " : الدَّفْع: الإزالة بقوّة. و تَدَافَعُوا الشيءَ: دَفَعَه كلّ واحد منهم عن صاحبه، و تدافَع القومُ أَي دَفَعَ بعضُهم بعضاً " [٢] .

" والـمُدَافَعَةُ: الـمماطلةُ، واسْتَدْفَعْتُ اللَّهَ الأَسْواءَ، أي طلبتُ منه أن يَدْفَعَها عنِّـي. وتَدَافَعَ القومُ، أي دَفَعَ بعضُهم بعضًا " [٣].

" وَدَفَعْتُ الْقَوْلَ رَدَدْتُهُ بِالْحُجَّةِ " [٤]." ، وكل ذلك مشتقٌّ من أنّ بعضَه يدفَعُ بعضا "[٥].

ويمكن أن يُخلص هنا إلى أن الدفع فيه معنى المغالبة على أمر أو الصراع عليه بين اثنين ، سواء كان بين شخص وشخص أو بين أمة وأمة ، أو حتى بين حق وباطل ، وبين خير وشر ليتقرر أحدهما ولو بالقوة ، فهو " صراع وقتال بين الناس " [٦].

وما نقصده هنا هو الحديث عن هذه السنة الإلهية التي تقرر أن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى أن يشاء الله تعالى ، وأهل الحق مطالبون وفق هذه السنة أن يدركوا ما عليهم تجاهها فيما يفيدهم في إدارة دفة الصراع لصالح الحق الذي يحملون .

وكما سبق في السنتين السابقتين فسيكون الحديث عن هذه السنة وفق الفروع التالية:

الفرع الأول: استعراض بعض الآيات الكريمة ذات الصلة والعلاقة.

الفرع الثاني : الوقوف على أقوال بعض المفسرين في هذه الآيات بما يكفي لبيان المقصود وتبيينه وتوضيحه .

---

[١]. ابن فارس ، المقاييس في اللغة ، مصدر سابق ، كتاب الدال ، مادة دفع ، جزء ٢ ، ص ٢٣٥.
[٢]. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، حرف العين ، مادة دفع، جزء ٨ ، ص ٨٧ .
[٣]. انظر الجوهري، الصحاح في اللغة، مصدر سابق، حرف الدال ، مادة دفع، جزء ١ ، ص ٢٠٨.
[٤]. انظر أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار المؤيد للنشر والتوزيع ٢٠٠٥ ، ج ٣ ، ص ٢٣١.
[٥]. انظر ابن فارس، المقاييس في اللغة، مصدر سابق، مادة دفع، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .
[٦]. انظر شريف الخطيب، السنن الإلهية، مصدر سابق، جزء ١ ص ١٠٧.

الفرع الثالث: ما يستفاد من هذه السنة في استشراف المستقبل.

الفرع الأول: استعراض بعض الآيات الكريمة ذات الصلة والعلاقة.

والآيات الكريمة متوافرة في هذا الباب وهي تشكل بمجموعها منهجاً للتعامل مع الآخر ، وتوضح الطريق أمام المسلم ليكون على بينة من صراعه مع أعداء الحق والدين .

من هذه الآيات الكريمة :

قوله تعالى : " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * " [١] .

وقوله تعالى : " وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [٢] .

وقوله تعالى : (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) [٣] .

والآيات كثيرة كما ذكرت بداية، ويمكن أن يندرج معها آيات النصر للمؤمنين والتي فيها بيان هلاك الظالمين، لان النصر والهزيمة إنما يأتيان بعد مغالبة ومدافعة، وأكتفي بما ذكرت.

---

[١]. سورة الحج، الآية (٣٩- ٤٠).
[٢]. سورة البقرة، الآية (٢٥٠- ٢٥١).
[٣]. سورة آل عمران، الآية (١٤٠- ١٤١).

الفرع الثاني

الوقوف على أقوال بعض المفسرين في هذه الآيات بما يكفي لبيان المقصود وتبيينه وتوضيحه

وعلى منهجي نفسه في اختيار آية أستقرى فيها ومن خلالها أقوال المفسرين ، للوصول إلى توضيح هذه السنة الإلهية .

وهذه الآية هي قوله تعالى : " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[١] .

والسنة الإلهية في التدافع واضحة هنا، أيما وضوح، ذلك أن الله تعالى قضى بان التدافع سنة إلهية، وأن هذه التدافع لا بد منه ليبقى الصالح ويندثر الطالح، ليحيا من حي عن بينة، ويهلك بالتالي من هلك وخسر عن بينة، فلا ظلم يقع هنا ولا هناك، بل كل يجني حصاد ما اختار إن في صف الفائزين وإن في صف الخاسرين الخائبين.

والناظر في الآية الكريمة يرى ويحس بذلك الشعور الدافئ ، وتلك الطمأنينة التي تسري في أعماق المسلم عندما يتلو هذه الآية الكريمة ، التي تبدأ بتقرير النصر للذين ظُلموا ، وأن الله على هذا الوعد بالنصر لقدير ، وتنتهي إذا انتهت بتقرير القاعدة الكلية في أن الله تعالى

ينصر من ينصره، وينصر من انحاز إلى صف المؤمنين، وسلك دربهم، وان الله تعالى هو القوي العزيز.

يأتي هذا الوعد بالنصر أولاً ، ثم يأتي تعقيباً ، يأتي ذلك كله بعد أن تقرر الآية بداية أنه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا ، لتصب جميعها السكون والطمأنينة في قلب المؤمن فلا ترهبه قوة ولا يقف أمام نوره حاجز .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: " إن قوى الشر والضلال تعمل في هذه الأرض، والمعركة مستمرة بين الخير والشر والهدى والضلال؛ والصراع قائم بين قوى الإيمان وقوى الطغيان منذ أن خلق الله الإنسان.

ثم يقول : وقبل أن يأذن لهم بالانطلاق إلى المعركة آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم فهم في حمايته .

---

[١]. سورة الحج، الآية (٣٩- ٤٠).

والصوامع أماكن العبادة المنعزلة للرهبان ، والبيع للنصارى عامة وهي أوسع من الصوامع ، والصلوات أماكن العبادة لليهود ، والمساجد أماكن العبادة للمسلمين ،وهي كلها معرضة للهدم على قداستها وتخصيصها لعبادة الله لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها ، ولا يحميها إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض . أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها ، ويعتدون على أهلها . فالباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول " [١] .

ويجيب سيد رحمه الله تعالى عن الحكمة من تقرير الجهاد طالما أن الله تعالى ضمن انه يدافع عن المؤمنين ، وانه لا محالة ناصرهم ، فيقول : " والجواب أن حكمة الله في هذا هي العليا ، وأن لله الحجة البالغة . . والذي ندركه نحن البشر من تلك الحكمة ويظهر لعقولنا ومداركنا من تجاربنا ومعارفنا أن الله سبحانه لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من « التنابلة » الكسالى ، الذين يجلسون في استرخاء ، ثم يتنزل عليهم نصره سهلاً هيناً بلا عناء ، لمجرد أنهم يقيمون الصلاة .

لقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم كي يتم نضجهم هم في أثناء المعركة . فالبنية الإنسانية لا تستيقظ كل الطاقات المذخورة فيها كما

تستيقظ وهي تواجه الخطر؛ وهي تدفع وتدافع ، وهي تستجمع كل قوتها لتواجه القوة المهاجمة ، عندئذ تتحفز كل خلية بكل ما أودع فيها من استعداد لتؤدي دورها؛ ولتتساند مع الخلايا الأخرى في العمليات المشتركة؛ ولتؤتي أقصى ما تملكه ، وتبذل آخر ما تنطوي عليه؛ وتصل إلى أكمل ما هو مقدور لها وما هي مهيأة له من الكمال .

والأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها ، واحتشاد كل قواها ، وتوفير كل استعدادها ، وتجميع كل طاقاتها ، كي يتم نموها ، ويكمل نضجها ، وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها " [٢].

وفي هذا أيضا إجابة عن التدافع القائم بين الحق والخير من جهة ، وبين الباطل والشر من جهة ثانية ، فالمطلوب من الجانب الخيّر أن لا يراهن على إيمان بلا عمل ، وان النصر في تدافعه محكوم بنتيجته لصالحه دون غيره ، دون أن يبذل الأسباب ، ويقدم كامل الاستحقاقات ليكون مؤهلا لتنزل الحسم في هذا التدافع لصالحه .

ثم أن الإمام الرازي يذكر أن " عادة الله جل جلاله أن يحفظ دينه بهذا الأمر، ويقصد التدافع " [٣] .

---

[١]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج ٥ ، ص ١٩٨.
[٢]. المرجع السابق، ج ٥ ، ص ١٩٩.
[٣]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، ج ١١ ص ١٢٦ .

و في بحر العلوم: " انه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بالجهاد و إقامة الحدود وكف الظلم؛ ودفع المشركين بالمؤمنين، لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين " [١] .

ودفع الله بعض الناس ببعض ،يكون " بإظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ، ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم ، وعلى متعبداتهم فهدموها ، ولم يتركوا للنصارى بيعاً ، ولا لرهبانهم صوامع ، ولا لليهود صلوات ، ولا للمسلمين مساجد " [٢] .

إن أصحاب الحق ودعاة الخير مطالبون بان يمتلكوا أدوات التدافع التي تضمن لهم أن يديروا دفة الصراع لصالحهم، دون الاعتماد على الكلام المفرغ عن العمل وبذل الجهد.

ويعلق الإمام أبو السعود في تفسيره على وعد الله تعالى بنصر المؤمنين ، فيقول : " وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفعِ ، وتصريح بأن المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدي المشركين بل تغليبهم وإظهارهم عليهم . والإخبار بقُدرته تعالى على نصرِهم وارد على سننِ الكبرياء وتأكيده بكلمة التَّحقيقِ واللامِ لمزيد تحقيقِ مضمونِه وزيادة توطينِ نفوسِ المؤمنين " [٣] .

وهذا التدافع ضمن سنة الله تعالى يدفع الله به الأذى والخراب عن كل مظاهر الخير ، من صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، يقول الشوكاني في تعليقه على هذه الآية : " والمعنى : لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك ، وذهبت مواضع العبادة من الأرض، وقيل : المعنى : لولا هذا الدفع لهدّمت في زمن موسى الكنائس ، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفي زمن محمد المساجد . قال ابن عطية : هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية " [٤] .

ولابن الجوزي رحمه الله تعالى أن معنى الكلام قولان ،أحدهما : أن معناه : " لولا أن الله يدفع بمن أطاعه عمن عصاه ، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت بمن أطاعه ، لهلك العُصاة بسرعة العقوبة ، قاله مجاهد . والثاني : أن معناه ، لولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، لغلب المشركون على الأرض ، فقتلوا المسلمين ، وخربوا المساجد ، قاله مقاتل " [٥].

وأخيراً نستحضر قول الإمام النسفي في التدافع فيقول : " ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من

---

[١]. انظر السمرقندي ، بحر العلوم ، مصدر سابق ، ج ٣ ص ١٦٣ .
[٢]. انظر الزمخشري ، تفسير الكشاف ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ٢٩٥ .
[٣]. انظر أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، نسخة دار الفكر ، ط ١، ٢٠٠١ ج ٤ ص ٤٨٦ .
[٤]. انظر الشوكاني،فتح القدير ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ١٢٢.
[٥]. أبو الفرج ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ج ، ١ص ٢٥٦ .

الحرث والنسل ، أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد " [١] .

الفرع الثالث

ما يستفاد من هذه السنة في استشراف المستقبل

اقتضت سنة الله تعالى أن يبقى الصراع والتدافع قائماً بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، وأن الأيام في هذه الصراع وذاك التدافع دول بين الناس ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليتقرر أن الزبد بكل عنجهياته وجبروته وما يبدو للعيان من كثرته وسطوته يبقى زبدا سرعان ما يذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس وما خلق الناس من اجله ، وهو الحق يمكث في الأرض صامداً ، متحدياً كل أصناف الطواغيت على مر الزمان والمكان .

إن سنة التدافع والصراع تثير في نفس المؤمن مزيداً من المشاعر والشعور بالمسؤولية تجاه ما ينبغي عليه في واجبه نحو دينه وأمته ، فهو مدعو لامتلاك أسباب النجاح والفوز ، ومقدرات الحسم في تدافعه مع الباطل ، وإلا كانت الغلبة للشيطان وأعوانه ، ولفسدت الأرض وانتشر الظلم والطغيان ، وهذا ما نرى بوادره في عالمنا اليوم .

على المسلمين اليوم أن ينهضوا من سباتهم الذي طال والذي آن له أن ينكشف، ليستلموا دورهم الذي أراده الله تعالى لهم.

إن النظر في سنة الله تعالى في التدافع وصراع الحضارات من منظور القرآن الكريم يجعل المسلم على بينة من أمره في استشرافه للمستقبل عندما يشعر ويعيش ذلك التدافع وهذا الصراع ، ليدرك في المحصلة انه هو من يملك زمام المبادرة في توجيه دفة الصراع والسير به نحو النصر والحسم ، وبالتالي نحو المستقبل المنشود .

المسلم الوحيد في هذا الكون ، بما يملك من إيمان بالله تعالى ، وخصوصية بتلقيه العلم الرباني الذي لا ينخرم ولا ينثلم ، ولا يأتيه الباطل ولا الخلل لا من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل من حكيم حميد مجيد عالم قاهر ظاهر ، أقول المسلم هو الفائز في النهاية ، بما يملك من هذه الأدوات ، وقبل ذلك وبعده بما حباه الله من معيته في أنه يدافع عنه ، ووعده له سبحانه له بالنصر والتمكين .

إن استشراف المستقبل من منظور هذه السنة يبدو واضحاً وجلياً من خلال متابعة نهايات صراعات الحضارات والتدافع الذي سطره القرآن الكريم ، والتي اشتركت النهايات فيها جميعا بأن كانت الغلبة ، وكان النصر لمن كان مع الله تعالى .

---

[١]. انظر عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١ ، ط١، جزء ١ص ١٢٧، وانظر أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل ، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان : ١٩٩٥ ، ط ١ ج ١ ص ٢٧٣ .

ونحن مدعوون اليوم إلى أن نرجع إلى القرآن الكريم نستلهم منه الدروس والعبر فيما يخص سنة التدافع لنعرف ما علينا فعله حتى تكون نهاية أمرنا الفوز والنصر والخروج من مستنقع الذل والإهانة الذي يعيشه المسلمون اليوم بسبب ابتعادهم عن مصدر عزتهم وكرامتهم .

والعلماء معنيون ، وبشكل أخص في استلام دورهم في إدارة هذا الصراع وتوجيه ذاك التدافع فهم الأقدر على مقابلة الحجة بالحجة ، وهم الأنسب في مخاطبة أولى الأمر بالحكمة والبيان والموعظة والإحسان ، ليضعوهم أمام مسؤولياتهم أمام الله تعالى أولا ، ثم أمام شعوبهم الذين سيسألونهم أمام الله تعالى عن تفريطهم في صياغة حياة العزة والكرامة لأمتهم ، دون أن يكون العلماء بمنأى عن هذا السؤال وتلك المحاسبة .

على أنه يجب أن يكون في عقيدة كل مسلم أن الإسلام بكل مقوماته غالب لا مغلوب ، وأن حسم الصراع لا محالة من نصيب هذا الدين ، فلقد تعرض الإسلام إلى ضربات وتدافعات كثيرة وقاسية على المدى الضارب في التاريخ ، إلا انه كان يخرج من كل ذلك ، وفي كل مرة منتصرا ، لا تزيده الأحداث إلا تأكيدا وتقريرا بأنه الدين الخالد ، وبالتالي فان العودة إلى هذا الدين هو الضمانة الأكيدة على البقاء والاستمرار بكل عزة وقوة ، وفي هذا يقول الإمام سيد رحمه الله تعالى " إن الإسلام هو الذي حمى الوطن الإسلامي في الشرق من هجمات التتار؛ كما حماه من هجمات الصليبيين على السواء ، ولو انتصر الصليبيون في الشرق كما انتصروا في الأندلس قديماً، أو كما انتصر الصهيونيون في فلسطين حديثاً، ما بقيت قومية عربية، ولا جنس عربي ولا وطن عربي .. والأندلس قديماً وفلسطين حديثاً كلاهما شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض، فإنه لا تبقى فيها لغة ولا قومية، بعد اقتلاع الجذر الأصيل! " [١].

[١]. سيد قطب ، المستقبل لهذا الدين ، نسخة دار الشروق ، ط ٣، ص ٧٣ .

الفصل الثاني

استشراف مستقبل الأمة كما يصوره القرآن الكريم

المبحث الأول: استشراف مستقبل الأمة السياسي.

المبحث الثاني: استشراف مستقبل الأمة الاقتصادي.

المبحث الثالث: استشراف مستقبل الأمة الاجتماعي.

بعد أن بين الباحث المقصود بمفردات البحث وحدد لها الأطر المناسبة والتي يسترشد بها في بحثه ودراسته ، وبعد أن استعرض السنن الإلهية في المستقبل الإنساني ، واستشهد بالأدلة القرآنية ذات الصلة ، وبعد أن استفاد من هذه السنن في استشراف المستقبل ، ودور هذه السنن في توضيح صورة المستقبل من خلال ضرورة تطابق النتائج إذا تطابقت المقدمات ، يلزم الباحث هنا بعد ذلك كله أن يقف على استشراف المستقبل بجوانبه المتعددة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ليقف على الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة بهذه الجوانب ، والوقوف على أقوال المفسرين في هذه الآيات ، وتوظيف ذلك كله من أجل خدمة هدف هذه الدراسة في رسم الصورة المرجوة للمستقبل الذي نريد .

ولا بد من التأكيد هنا إلى أن هذه الجوانب ما هي إلا أمثلة مقترحة على مفردات المستقبل ، وإلا فان الميدان واسع ، وليس الغرض هنا إلا توضيح الصورة وضرب الأمثلة بما يحقق لنا الهدف الذي نطمح إليه من خلال هذه الدراسة ، فإن أحسنا فمن الله وإن كانت الثانية فمن نفسي الضعيفة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وعليه فإن منهجي في هذا الفصل أن أعرف المصطلحات المستخدمة ، في اللغة والاصطلاح ، ومن ثم استشهد على العنوان بالآيات القرآنية الكريمة ذات العلاقة والصلة ، سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة ، وبعدها أقف على أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة ، وأخيرا أذكر كيفية توظيف ذلك كله في عملية استشراف المستقبل على كل جانب من جوانبه على حده وفي موضعه الخاص به ، والله الموفق .

المبحث الأول

استشراف مستقبل الأمة السياسي

لأن الإسلام منهج حياة ،ولأن جوانب الحياة لا تنفصل عن بعضها ، فإن الجانب السياسي لا ينفك عن أن يكون من أولى اهتمامات هذا الدين ، ولأن السياسة قد تعني الحكم في صورة من صورها ، فإنها بهذا المعنى تشكل مفردة مهمة جداً من مفردات الإسلام ، ذلك لأن الكون كله محكوم لله ويجب أن يحكم باسم الله ووفق منهاجه سبحانه وتعالى .

ويقترف خطيئة من يدعي الفصل بين الدين والسياسة ، بأية حجة كان هذا الفصل ، حتى لو ادعى قائله المصلحة لهذا الدين ولأتباعه .

لقد حرص أعداء الإسلام بشتى أشكالهم وألوانهم على بث الأفكار المميتة والقاتلة بين أتباع هذا الدين ، فلا سياسة في الدين عندهم ، ولا دين في السياسة ، ومن المؤسف أن ترى اليوم في عالمنا الإسلامي من يردد مثل هذه الادعاءات الباطلة ممن يدعى وصلا بعلم ، والعلم منه براء

.

تبين هذه الدراسة من خلال استقصاء الآيات الكريمة ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة ، أن السياسة دين وان الحكم وتصريف شؤون الناس ينبغي أن يكون وفق تعاليم الله تعالى وأوامره ، وينبغي أن لا يكون مع الله تعالى شريك في الحكم بل أن الكل محكوم إليه ومسلم الأمر كله له سبحانه ، قال تعالى : (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [١].

وقد سبق لنا أن بينا المقصود باستشراف المستقبل فيما سبق من هذه الدراسة، ويجدر أن نقف على تعريف الأمة والسياسة موضوع هذا المبحث.

ويرى الباحث هنا ضرورة أن يبين المقصود بالأمة محل الدراسة ، فإن الأمة الإسلامية ضمنياً هي المعنية بهذه الدراسة وأن مستقبلها هو المنشود وهو ما يسعى الباحث للتطلع إليه ليقدم خدمة لدينه وأمته ، وبالتالي فإن تحديد المراد بالأمة لا بد منه حتى يستقيم البحث وتبين الطريق ، هذا من جانب ومن جانب آخر فان الباحث يرى أن الأمة الإسلامية وحدها هي الجديرة بالمستقبل وبإمكانية إدارته لما تتمتع به من مزايا ليست لأمة غيرها ، ولله الحمد والمنة .

الأمة في اللغة :

والأمة مأخوذة من الأم التي يتفرع منها الأشياء، ومرجعها إلى حرفين الألف المهموزة والميم وهما كما ذكر صاحب المقاييس " أصلٌ واحدٌ، يتفرَّع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجِع، والجماعة، والدِّين. وهذه الأربعَة متقاربة، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثة، وهي القامة، والحِين، والقَصْد " [٢]. وسيأتي تفصيل ذلك أن شاء الله تعالى عند الحديث عن معنى لفظ الأمة اصطلاحاً .

وللخليل أن " كلّ شيء يضمُّ إليه سائر ما يليه فإن العرب تُسمِّي ذلك الشَّيْء أُمّاً.. فمن ذلك: أمّ الرأس وهو: الدّماغ " [٣]. " وأُمُّ الشيء: أَصْلُهُ. كما جاء في الصحاح [٤] .

" و الأُمَّةُ: القَرْن من الناس؛ يقال: قد مَضَتْ أُمَمٌ أَي قُرُونٌ. و أُمَّةُ كل نبـي: مَن أُرسِل إليهم من كافر ومؤمنٍ. و كلُّ قوم نُسِبُوا إلى نَبـيّ فأُضيفوا إليه فَهُمْ أُمَّتُه، وأُمة مـحمد ، كلُّ مَنْ أُرسِل إليه مِـمَّن آمَنَ به أَو كَفَر، وكذا كل جيل من الناس هم أُمَّةٌ علـى حِدَة، حتى الـحيوان غير بنـي آدم أُمَّةٌ علـى حِدَة، و الأُمَّةُ: الـجِيل والـجِنْسُ من كل حَيّ. وفـي التنزيل العزيز:(وَمَا مِن

---

[١]. سورة النساء، الآية (٦٥).
[٢]. أنظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، كتاب الهمزة ، مادة أم جزء ١، ص ٥٠.
[٣]. انظر الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة أم جزء ٨ ، ص ٤٢٦.
[٤]. انظر الجوهري ،الصحاح في اللغة ، مصدر سابق ، مادة أم ، جزء ١،ص ٢١ .

دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [١] " [٢] .

الأمة اصطلاحاً :

تبين للباحث أن لفظة الأمة من خلال النظر في القرآن الكريم لا تحمل معنى واحدا حيثما وردت وأنه لم يرد في القرآن الكريم فيما يرى الباحث ، ما يمكن اعتباره معنىً محدداً واصطلاحاً ثابتا للفظة الأمة ، ذلك لان لفظة الأمة التي وردت في القرآن الكريم تختلف من موضع لآخر فهي في حين تعني مثلا الأمة من الناس قد تعني كذلك الحقبة من الزمن ، وعند الرجوع إلى المعاني التي تستخدم فيها لفظة الأمة ، يمكن للباحث أن يعددها ويقسمها إلى المعاني التالية ، مستشهداً على كل معنى بالدليل الشرعي من القرآن الكريم ، فأقول والله المستعان :

قد تأتي لفظة " أمة "بمعنى: دين، قال الله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [٣] .

أي يراد به أهل دين واحد [٤] .

وقد تأتي بمعنى الرجل الإمام الجامع للخير [٥] الذي يعد بالكثير قال الله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) [٦] .

وقد تأتي بمعنى زمن أو فترة منه [٧] ،قال الله تعالى : "وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ.."[٨]،

وقد تأتي بمعنى عصبة أو جماعة [٩] ، قال الله تعالى : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُوْنَ)[١٠].

وقد تأتي ويراد بها أهل الإسلام على وجه الخصوص فهي المخاطبة في هذا النداء ، وهذا خطاب لجميع الأمة أولها وآخرها ، من كان منهم موجوداً وقت نزول هذه الآية ومن جاء

---

[١]. سورة الأنعام، الآية (٣٨).
[٢]. انظر ابن منظور، لسان العرب ، مصدر سابق، حرف الميم ، مادة أمم جزء ١٢ ص ٢٢.
[٣]. سورة النحل، الآية (٩٣).
[٤]. انظر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠، ط ١، جزء ٤ ص ٢٧٦.
[٥]. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١٠، ص ١٩٧ .
[٦]. سورة النحل، الآية (١٢٠) .
[٧]. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ١٢٧ .
[٨]. سورة يوسف ، الآية (٤٥) .
[٩]. انظر البضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ،١٩٩٩ ، ط ١ ، جزء ٤ ص ٢٥٢ .
[١٠]. سورة القصص ، الآية (٢٣) .

بعدهم إلى قيام الساعة [١] ، قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [٢] .

وقال تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [٣] .

ولعله بإذن الله تعالى أن يكون لنا وقفات تفسيرية مع هاتين الآيتين لما لهما من مساس مباشر بالمفهوم الذي نريد للأمة في هذه الرسالة .

ويرى سيد قطب رحمه الله أن الأمة هي الجماعة التي تدين بعقيدة واحدة وتتجمع على آصرتها؛ وتدين لقيادة واحدة قائمة على تلك العقيدة - فهذه الأمة الثابتة على الحق؛ العاملة به في كل حين ، هي الحارسة لأمانة الله في الأرض ، الشاهدة بعهده على الناس ، التي تقوم بها حجة الله على الضالين المتنكرين لعهده في كل جيل [٤].

فإذا أضفنا إلى هذا المصطلح لفظة " الإسلامية " فسوف نكون أمام أمة من دون الناس ، مختصة بما يميزها عن غيرها من الناس ، أمة أسلمت وسلمت أمورها إلى الله تعالى لا تصدر إلا عن قوله ، غاية وجودها تنفيذ أوامره سبحانه ، تقف عند النص ولا تجتهد عنده ، وهي قادرة فيما عدا ذلك على الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة ، ومن أساليب القرآن الكريم أنه يتعامل مع المصطلحات بشكل شامل وواسع ومفتوح ، خاصة عندما يكون الحديث عن العالمية لهذه الأمة ودورها الذي ينبغي أن تكون عليه ،بحيث ينتمي للأمة الإسلامية بهذا المفهوم كل مسلم يشهد أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله ، بغض النظر عن أصله أو لغته أو لونه أو جنسه أو تاريخه.

وعليه فان مصطلح الأمة الإسلامية يمتد ليشمل كل من بعث لهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدق ، سواء كان من الإنس أو الجن ، قال تعالى : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [٥] .

" فالمفهوم القرآني للأمة المسلمة يشمل المسلمين كافة بغض النظر عن الاختلافات الجغرافية أو الخلفيات التاريخية أو الحضارية، وهذا المفهوم هو الكوكب الوضاء الذي ينير الطريق للبشرية ، وبالطبع يضم المفهوم الأشمل للأمة المسلمة أهل الكهف و نماذج يحتذى بها

---

[١]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٣٩٢ .
[٢]. سورة البقرة، الآية (١٤٣).
[٣]. سورة آل عمران، الآية (١١٠).
[٤]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣٢٧.
[٥]. سورة المؤمنون، الآية (٥٢).

للمرأة المسلمة مثل السيدة مريم أم السيد المسيح و زوجة فرعون و سائر الأمم المؤمنة التي ذكرها القرآن الكريم " [١].

ويرى الباحث أن مفهوم الأمة في ضوء القرآن الكريم قد تجاوز كونه يختص بجماعة تتفق في بعض المكونات والخصائص ، لينطلق إلى مدى أرحب وأوسع وأشمل حتى يشمل كل من يحمل فكرة هذه الأمة ، ويعلن انضمامه تحت لوائها ، مع اعتبار الخصائص والمكونات كعامل متمم ومؤكد دون أن تكون هذه الخصائص والمكونات هي الحكم الوحيد على اختصاص مفهوم الأمة الإسلامية .

والباحث يريد ، في بحثه ، هذا المفهوم للأمة ، الذي يعني أن أمة الإسلام أمة من دون الناس لها خصائصها وميزاتها ومكوناتها ، وهي بهذا المفهوم أمة منفتحة وتتسع لقبول كل من يحمل فكرتها ، ويستقيم على نهجها وباختصار يطلق مصطلح الأمة الإسلامية في بحثنا هنا على (الأمة) التي يوحد بينها الدين الإسلامي .

السياسة في اللغة:

مصدر ساس يسوس سياسة، وفي المقاييس أنها من (سوس) والسين والواو والسين أصلان: أحدهما فسادٌ في شيء، والآخر جِبلّة وخليقة. فالأوّل ساس الطّعامُ يَساسُ، وأساس يُسِيسُ، إذا فَسَدَ بشيء يقال لـه سُوس . ويقال إنَّ السَّوَسَ داءٌ يصيب الخيل في أعجازها.

وأمّا الكلمةُ الأخرى فالسُّوس هو الطّبع، ويقال: هذا من سُوس فلان، أي طبعه" [٢] .

وورد في قول العرب أن السائس هو الذي يقوم على أمر الدابة من العلف والسقي والترويض والتنظيف ، وغير ذلك مما يصلحها ويجعلها منقادة له ملبية لحاجاته .

ومع التحفظ في المشابهة إلا أن هذا المعنى لعله أو هو الأصل الذي أُخِذ منه سياسة البشر، والقيام على أمرهم بما يصلحهم. لذلك ورد في معنى السياسة عند أهل اللغة أنها " القيام على الشيء بما يُصلحه " [٣] .

وفي الصحاح : " سُسْتُ الرعيّة سِياسَةً. وسُوِّسَ الرجلُ أمورَ الناس، على ما لم يسم فاعله، إذا مُلِّكَ أمرهم " [٤].

وورد في كتب اللغة أن الإيالة بمعنى السياسة ، أي من الأول ، يقال: آلَ الأميرُ رعيّتَه يَؤُولها أَوْلاً، وإيالاً، أي ساسَها وأحسنَ رعايتها. والائْتِيالُ : الإصلاحُ والسياسة [٥] .

وقد يساق عليه ما يقوم به السائس من تطبيع المسوسين على طبع يراد لهم .

---

١. انظر info@futureislam.com

٢. ابن فارس معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، كتاب السين ،مادة سوس ، جزء ٣ ص٩١.

٣. انظر الجوهري ، تاج العروس ، مصدر سابق ، حرف السين ، مادة سوس ، جزء ١ ، ص٣٤٧، وانظر ابن منظور، لسان العرب، مادة سوس ، جزء ٦، ص ١٠٦ .

٤. انظر الجوهري، الصحاح في اللغة، مصدر سابق، مادة سست، جزء ١، ص ٣٣٩.

٥. المصدر السابق، جزء ١ ، ص ٢٧. وانظر الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، مادة ما أوله السين، جزء ٢، ص ٤٦٧.

أما السياسة اصطلاحاً :

فقد اختلفت التعريفات باختلاف المعرف لها ومن أية زاوية ينظر ، فقد كثر الحديث عن معناها ولكن ليس ثمة تعريف شامل للسياسة يحيط بالجوانب التي تغطيها ، وفي نظر الباحث أن كل التعريفات التي تتطرق للساسة صحيحة باعتبار أنهاتمثل الزاوية التي ينظر منها ، ولكن أشملها وأقربها للصواب هو مجموع تلك التعريفات كاملة ، فلا يصح بحال إغفال جانب دون جانب لأن السياسة أسلوب ومنهج حياة يعيشه الناس لا يكاد ينفصل عن شأن من شؤون حياتهم مهما كان صغيراً .

ومما يزيد الأمر صعوبة في الوقوف على معنى محدد للسياسة فيما يتعلق بمبحث الرسالة - على الأقل من وجهة نظر الباحث - أن كلمة سياسة لم ترد في القرآن الكريم بالحرف حتى يتسنى لنا الوقوف على أقوال المفسرين لها ، وعلى الرغم من هذا فقد وردت في المعنى في أكثر من موضع ، ولعل ذلك فيه إشارة إلى أنها تحتمل أكثر من معنى وتعالج أكثر من جانب من جوانب حياة الناس إن لم تكن كلها .

وتعرف السياسة بأنها (فن إدارة المجتمعات الإنسانية) .[١]

وغير ذلك من التعريفات التي يغطي كل جانب منها مجالا من مجالات الحياة.

أما السياسة عند علمائنا فقد ذكر الإمام النسفي مثلا أن السياسة هي " حياطة الرعية بما يُصلحها .. لطفاً أو عنفاً "[٢] . وهي بهذا التعريف تشمل كل ما من شأنه أن ييسر أسباب الحياة الطيبة للرعية وفق ما أراد الله تعالى .

وجاء كتعريف للسياسة شرعاً عند هيئة علماء المسلمين في العراق المادة ٢٣ " السياسة هي الرعاية بالحفظ والاهتمام والنظر في أعقاب الأمور وما تؤول إليه، والسياسة الشرعية هي رعاية شؤون الأمة داخلياً وخارجياً بالإسلام وتكون من قبل الدولة متمثلة بالحكومة ومن قبل الأمة متمثلة من الناس مواطني بلاد الإسلام فالدولة هي التي تباشر هذه الرعاية عملياً والأمة هي التي تحاسب الدولة عن طريق أهل الحل والعقد أي عن طريق أهل العلم والدراية والخبرة "[٣] .

يقول الإمام العلامة القرضاوي حفظه الله في مقال له بعنوان مفهوم السياسة ، على موقعه على الإنترنت : (كلمة (السياسة) لم ترد في القرآن الكريم، لا في مكيِّه، ولا في مدنيِّه، ولا أي لفظة مشتقة منها وصفاً أو فعلاً . ومن قرأ (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) يتبين له

---

[١]. انظر موسوعة العلوم السياسية الصادرة عن جامعة الكويت -نقلا عن معجم (روبير) .

[٢]. انظر النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، مصدر سابق ، جزء٢ ص ١٢٣ .

[٣]. راجع www.iraq-amsi.org

هذا، ولهذا لم يذكرها الراغب في (مفرداته). ولا (معجم ألفاظ القرآن) الذي أصدره مجمع اللغة العربية) [١] .

هذا وإن كانت كلمة سياسة لم ترد في القرآن الكريم، إلا أنها وردت بمعان كثيرة مثل: الملك، و الحكم، والولاية، وبمعنى التمكين، والاستخلاف.

أما ورودها في معنى الملك ، فمثلا منه قوله تعالى : (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) [٢] .

ومنه قوله تعالى : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) [٣] .

ومنه قوله تعالى :(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً) [٤] .

وغير ذلك من الآيات الكريمة .

وأما ورودها بمعنى الحكم فمثلا منه قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) [٥] .

وقوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [٦] .

وقوله تعالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)[٧] .

وقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[٨] .

وقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[١] .

---

١. راجع http://www.qaradawi.net .
٢. سورة النساء، الآية (٥٤).
٣. سورة يوسف، الآية (١٠١).
٤. سورة البقرة، الآية (٢٤٧).
٥. سورة النساء، الآية (٥٨).
٦. سورة المائدة، الآية (٥٠).
٧. سورة (المائدة، الآية (٤٩).
٨. سورة المائدة، الآية (٤٥).

وقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [٢] .

وغير ذلك من الآيات الكريمة والتي ورد فيها السياسة بمعنى الحكم أو بأي مشتق من مشتقاته الكثيرة .

أما ورودها بمعنى التمكين ، فمثلاً قوله تعالى : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [٣] .

ومنه قوله تعالى:(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [٤] .

والآيات كثيرة ومتنوعة في المراوحة بين معاني السياسة في القرآن الكريم ،وأكتفي هنا بأخذ مجموعة من هذه الآيات على سبيل المثال فيما يفيد البحث ، ويقف بالقارئ على المعنى المراد والفكرة المستهدفة من البحث ، لذلك فان الرجوع إلى أقوال المفسرين في هذه الآيات بما يجلي الصورة ويوضحها هو الخطوة التالية التي يريد الباحث الوصول إليها بإذن الله تعالى ، ليزين رسالته بأقوال المفسرين القدامى والمحدثين ليشكل بالتالي صورة واضحة وبينة عن المستقبل السياسي الذي يراد للأمة الإسلامية من خلال القرآن الكريم .

ومن الضروري أن أذكر بداية كلاماً قيماً للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن السياسة وأنها من الدين بل هي لبّه الذي لا ينفصم عنه ، وهو ما ذهب إليه كل فاهم ومدرك وعالم من علماء هذه الأمة، من أن السياسة لا تنفصل بحال عن الدين ، وأن فكرة فصله عن واقع الناس فكرة مبتورة مقطوعة لا ينادي بها إلا عدو حاقد أو جاهل غافل لم يفهم الإسلام على الوجه الذي ينبغي أن يفهمه عليه ، من كونه منهج حياة ودستوراً للأمة يقرر كل نواحي حياتها ويمر على كل ثانية من دقائق عمرها ، وهذا يدركه كما يقول ابن القيم : " من له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالاتها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها، وحسن فهمه

---

[١] . سورة المائدة ، الآية(٤٧) .
[٢] . سورة المائدة ، الآية (٤٤) .
[٣] . سورة الحج ، الآية (٤١) .
[٤] . سورة القصص ، الآية (٥ – ٦) .

فيها؛ لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشرعية، علمها من علمها وجهلها من جهلها'، إلى أن يقول: 'فلا يقال: إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل هي جزء من أجزائه، ونحن نسميها سياسة تبعًا لمصطلحهم، وإنما هي عدل الله ورسوله " [١] .

نعم سياسة بمصطلحهم ، وهي رعاية حقوق العباد ومصالحهم وشؤونهم وامتلاك كل ما من شأنه أن يرفع ذكرهم ويعلي رايتهم ، ويحقق غايتهم ، تلك هي السياسة بمفهومنا ، وهي تعني أن نمتلك مقومات إدارة الدنيا ، وسياسة البشر ، فنحن بما حبانا الله من نعم من خلال هذا الدين أساتذة الدنيا وساستها وسادتها .

بهذا نطق علماؤنا الأوائل ممن حملوا لواء هذا الدين عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، وعلى هذا نشأ من بعدهم أجيال حملوا الراية بهذا الفهم العميق لحركة هذا الدين وضرورة هيمنته لينير جوانب الدنيا بنوره الذي تكفل الله تعالى بحفظه ، وبأنه سيظهره على الدين كله ولو كره الكارهون .

والسلطان الذي ينفذ السياسة في المنظور الإسلامي خليفة الله تعالى في أرضه ويجب أن تكون هيبته كما يذكر الإمام الغزالي " بحيث إذا رأته الرعية خافوا ولو كانوا بعيداً، وسلطان هذا الزمان ينبغي أن يكون له أقوى سياسة وأتم هيبة لان أناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فإن زماننا هذا زمان ذوي الوقاحة والسفهاء، وأهل القسوة والشحناء. وإذا كان السلطان منهم ضعيفاً أو كان غير ذي سياسة وهيبة فلا شك أن ذلك يكون سبب خراب البلاد " [٢] .

وسأعمد في دراستي هذه – إن شاء الله تعالى – إلى عرض أقوال المفسرين الأوائل لبعض الآيات التي تتحدث عن السياسة بمفهومها العام ثم أعرج على أقوال المحدثين من المفسرين ،لبيان ذلك التناغم الدقيق والتناسق العجيب حتى بين المفسرين ممن فهموا نفس الفهم ونهجوا النهج نفسه ، ذلك أن هذا الدين يفهم بروح واحدة وثابتة وفق حكمة الله تعالى المطلقة لهذا الكون .

ولنأخذ بداية آيات الحكم الثلاث من سورة المائدة والتي تقرر ضمن مفهوم المخالفة أن المؤمنين هم فقط من يحكمون بما أنزل الله تعالى ، وهي إذ تدعو لتحكيم شرع الله ، وتخلص إلى أن من لم يحكم بما أنزل الله إما أن يكون فاسقاً أو ظالماً أو كافراً .

وتتراوح الأقوال في التفسير بين من يدخل تحت دائرة الكفر أو الظلم أو الفسق ، فيمن لم يحكم بما انزل الله ، حتى إن الإمام الرازي رحمه الله تعالى يذكر في تفسيره أن من أنكر بقلبه وجحد بلسانه فقط هو من يدخل في دائرة الكفر ، وأن من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه

---

[١]. انظر محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق : د. محمد جميل غازي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، جزء ١ ص ٥ .

[٢]. أبو حامد الغزالي ، التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٨ م ، جزء ١ ص ٢٥ .

كونه حكم الله ، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ، ولكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية ، وهذا هو الجواب الصحيح والله أعلم .

والباحث هنا يقف بحذر أمام الإمام الرازي في تقريره الرأي الصحيح في هذا المجال وفي هذه الخصوصية ، وفي هذا الموضع ، وإلا فلا يكفي من الحاكم أن يكون مقراً بلسانه ومعتقداً بقلبه بأنه شرع الله ثم يطبق على الناس شرعا آخر ، وإلا فما معنى أن يكون الإسلام عمل وتطبيق ، وهل يكتفى بالإقرار باللسان والاعتقاد بالجنان دون أن يتبع ذلك عمل بالجوارح ، وإذا لم يكن هذا التعطيل لشرع الله تعالى كفرا ، فكيف يكون الكفر ؟

يذكر الإمام الرازي هذه الأقوال عند تفسيره لهذه الآية الكريمة ، فيقول (والخامس : " قال عكرمة : قوله تعالى :(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله) إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله ، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ، ولكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية ، وهذا هو الجواب الصحيح والله أعلم " [١] .

ثم أن الإمام الرازي يجيب عن تساؤل يطرحه ترتيب الآيات على ما ذكرت سابقاً بأن الكفر أخطر الذنوب فما فائدة ذكر الظلم والفسق من بعده ، فيقول رحمه الله تعالى : " ثم قال تعالى : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وفيه سؤال ، وهو أنه تعالى قال أولاً : (فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) وثانياً : (هُمُ الظَّالِمُونَ) والكفر أعظم من الظلم ، فلما ذكر أعظم التهديدات أولاً ، فأي فائدة في ذكر الأخف بعده؟

وجوابه : أن الكفر من حيث أنه إنكار لنعمة المولى وجحود لها فهو كفر ، ومن حيث إنه يقتضي إبقاء النفس في العقاب الدائم الشديد فهو ظلم على النفس ، ففي الآية الأولى ذكر الله ما يتعلق بتقصيره في حق الخالق سبحانه ، وفي هذه الآية ذكر ما يتعلق بالتقصير في حق نفسه " [٢].

ولم يوضح الإمام رحمه الله تعالى في هذا الموضع معنى إنكار نعمة المولى وجحودها ، هل هو بالإنكار النظري أم بالإنكار العملي على ما مر ، فان أراد بالجحود وكفران النعمة عملاً وقولاً فهو كفر، فالباحث يوافقه على ذلك ، وإلا فإن نفي صفة الكفر عمن عطل شرع الله تعالى واستبدل به شرعاً آخر ، مع إقراره بلسانه وبقلبه ، فللباحث الحق في التحفظ على مثل هذا القول والوقوف عنده بل والميل عنه إلى غيره .

---

[١]. انظر الإمام الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٦ ،ص ٦٨ .
[٢]. المصدر نفسه ، جزء ٦ ،ص٧٠ .

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري في كشافه حيث أشار إلى أن من لم يحكم بما انزل الله مستهيناً به فهو كافر ،(فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) والظالمون والفاسقون " وصف لهم بالعتوّ في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة ، وتمرّدوا بأن حكموا بغيرها ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنّ الكافرين والظالمين والفاسقين : أهل الكتاب . وعنه: نعم القوم أنتم، ما كان من حلو فلكم، وما كان من مر فهو لأهل الكتاب، من جحد حكم الله كفر، ومن لم يحكم به وهو مقرّ فهو ظالم فاسق " [١] .

والكفر والظلم والفسق ، ذلك لأن الذين لا يحكمون بما أنزل الله يعلنون رفضهم لألوهية الله – سبحانه – ورفضهم لإفراده – سبحانه – بهذه الإلوهية ، كما يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله ، ومن ثم يصمهم القرآن بالكفر والظلم والفسق ، أخذا من رفضهم لألوهية الله ، حين يرفضون حاكميته المطلقة ؛ وحين يجعلون لأنفسهم خاصة الإلوهية الأولى فيشرعون للناس من عند أنفسهم ما لم يأذن به الله [٢] .

ويذكر الثعالبي في جواهره الحسان أن أمة عظيمة من أهل العلم فرقت بين الحاكم من هذه الأمة وغيره من الأمم الأخرى السابقة فهي بحق الأمم السابقة كفر محض وهي بحق أمراء هذه الأمة كفر معصية ، غير أنى لم أجد تفسيرا محددا لكفر المعصية غير أنه كفر لا يخرج من الملة ، وفيه نظر[٣] .

وللإمام حقي رحمه الله في تفسيره (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله) مستهيناً به منكراً له كائنا من كان (فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم بإنكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه [٤] .

وبالرغم من الإسهاب في هذا الموضوع إلا أنه ليس المقصود من هذا البحث إلا بالقدر الذي يوضح الصورة ويعين على كشف الطريق .

وعود على بدء فان استشراف المستقبل السياسي للأمة الإسلامية يتطلب الوقوف أمام النصوص القرآنية ذات العلاقة والصلة ، والآيات القرآنية ذات العلاقة والصلة قد تمتد لتشمل معظم سور القرآن الكريم وآياته ، ذلك لأن القرآن الكريم جاء ليحكم البشرية وفق إرادة الله تعالى

---

[١]. الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، جزء ٢ ،ص ٢٩ .

[٢]. انظر سعيد حوى، الأساس في التفسير، مصدر سابق، جزء ٣ ص ١٣٩٦.

[٣]. انظر الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق أبو محمد الغماري الإدريسي. ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٩٦٦ ، جزء ١ ص ٤١٥ .

[٤]. انظر حقي، ت (١١٢٩ هـ) ، تفسير حقي، ط ١ ، ١٩٩٩ ، جزء ٣ ، ص ٢٦٣ .

، ولا يقبل مع الله تعالى في الحكم شريكاً كائناً من كان ، وليس الأنبياء والرسل والملوك الذين حكموا باسم الله تعالى إلا منفذين لإرادته ومطبقين لأوامره ومقررين لشريعته .

وعليه فان الأمة مدعوة إلى معرفة أوامر الله تعالى ومراده في قرآنه العظيم ، وبالتالي تجلية هذه الأوامر ، وصياغتها على شكل قرارات وأوامر المراد منها التنفيذ والتطبيق والتحكيم ، حتى تكون السيادة للأمة الإسلامية باسم الله تعالى أولا وآخراً ، إن هي أرادت الخروج مما هي فيه من ذل وهوان ، بعد أن كانت سيدة الأمم وقائدة الناس ، يقول الله تعالى (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) [١] .

نعم إنه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وشرف له ولقومه من بعده ، ولأمته إلى يوم القيامة إن هم تمسكوا به وعملوا بمقتضاه ، ويترتب عليه في المفهوم المقابل والمخالف أن الأمة إذا تركته ولم تعمل بمقتضاه كانت أمة هملا لا ذكر لها بين الأمم ، ولا قيمة لها في الوجود .

والمقارنة متوافرة بين الجيل الأول الذين تمسكوا بالقرآن الكريم وكان لهم منهجاً للحياة ، حتى كان يوصف أحدهم بأنه قران يدب على الأرض ، وبين جيل اليوم الذي تنكب الطريق وضلها وابتعد عن النهج الأصيل وركض هنا وهناك يستجدي الحلول ويطلب القيمة والذكر من دون هذا الكتاب .

ويفهم أيضاً من الآية الكريمة أمر لا يقل في الأهمية عن ما سبق من الدروس ، في أن الإنسان المسلم مسؤول أمام الله تعالى عن هذا القرآن عمل به أم ضيعه (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) فالأمر هنا ليس متروكاً لرغبة الإنسان إن شاء أخذ وذكر وإن لم يشأ لا يضره هذا الترك وذاك الهوان، بل هو مسؤول أمام الله تعالى ومحاسب على ما استخلفه الله تعالى عليه ، على هذا التشريف الذي شرفه الله به ، وعلى تلك الخصوصية التي حباه الله تعالى إياها .

ومن الآيات القرآنية ذات العلاقة والصلة بموضوع البحث، قوله تعالى في سورة الأعراف (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [٢] ، ولنا في هذه الرسالة ، بإذن الله تعالى ، وقفة مع هذه الآية في حينها لشدة ارتباطها بها .

إن وراثة الأرض مرهونة بأمرين كما توضح الآية الكريمة :

---

[١]. سورة الزخرف ،الآية (٤٤) .
[٢]. سورة الأعراف ، الآية (١٢٨) .

أولا: الاستعانة بالله تعالى (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ) والتي تتطلب الأخذ بكل الأسباب الممكنة والتي تقع ضمن قدرة الإنسان وطاقته . ولنا مع هذا وقفة مفصلة في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

ثانيا : الصبر (وَاصْبِرُوا) ، فالأمر يحتاج إلى كثير من الجهد والمعاناة ، وهو بالتالي يحتاج إلى مزيد من الصبر والمصابرة .

كل ذلك محكوم بإرادة الله تعالى ذلك لان الأرض أولا وقبل كل شيء لله ، يورثها من يشاء ، ويفضل الله تعالى بعد ذلك وله القرار وحده سبحانه أن العاقبة للمتقين الذين ينفذون أوامره وتعاليمه .

يقول الإمام الالوسي رحمه الله معقبا على هذه الآية بان القهر والغلبة ستكون لمن صبر واستعان بالله ولمن وعده الله تعالى توريث الأرض وأن ذلكم الموعود الذي وعدكم الله تعالى به هو النصر وقهر الأعداء ووراثة الأرض [١].

وللرازي كلام نفيس في هذا حيث يفصل أن الله تعالى أمرهم في هذه الآية بشيئين وبشرهم بشيئين . أما اللذان أمر بهما؛ فالأول : الاستعانة بالله تعالى . والثاني: الصبر على بلاء الله. وإنما أمرهم أولاً بالاستعانة بالله وذلك لأن من عرف أنه لا مدبر في العالم إلا الله تعالى انشرح صدره بنور معرفة الله تعالى وحينئذ يسهل عليه أنواع البلاء، ولأنه يرى عند نزول البلاء أنه إنما حصل بقضاء الله تعالى وتقديره. واستعداده بمشاهدة قضاء الله ، خفف عليه أنواع البلاء ، وأما اللذان بشر بهما؛ فالأول : قوله : (إِنَّ الأرض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وهذا إطماع في أن يورثهم الله تعالى الأرض ، والثاني : قوله:(والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ) فقيل : المراد أمر الآخرة فقط، وقيل: المراد أمر الدنيا فقط وهو: الفتح، والظفر، والنصر على الأعداء، وقيل المراد مجموع الأمرين [٢].

ولابن عاشور رحمه الله في تحريره وتنويره (إِنَّ الأرض لِلَّهِ) تذييل وتعليل للأمر بالاستعانة بالله والصبر، أي: افعلوا ذلك لأن حكم الظلم لا يدوم، أي الاستعانة والصبر، ولأجل هذا المعنى فصلت الجملة. وقوله (إِنَّ الأرض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) كناية عن ترقب

---

[١]. انظر أبا الفضل شهاب الدين محمود الالوسي، ت (١٢٧٠) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الفكر ، ١٩٨٧ م ، جزء ٦ ، ص ٣١٦ .

[٢]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٧ ص ٢٢٠ .

زوال استعباد فرعون إياهم ، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه ، بأن الله الذي خوله ذلك السلطان قادر على نزعه منه لأن ملك الأرض كلها لله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعه [١].

وإن كان الحديث هنا عن فرعون وقصته مع موسى عليه السلام ، فإن العبرة بعموم اللفظ ، واللفظ هنا يحتمل أن يساق إلى كل الذين يعانون من ظلم ذرية فرعون ، وهم بالتالي مخاطبون بالاستعانة والصبر ، وهم واثقون بأن الأرض لله يورثها لعباده المتقين إن هم أحسنوا وتفننوا في أن يكونوا من عباده المتقين ، وأن عدوهم مقهور مهما بلغت قوته وعنجهيته ، فما أولئك إلا بشر لا يملكون من أمرهم شيئا، إن الأمر إلا لله من قبل ومن بعد .

ولسيد رحمه الله تعالى أن العاقبة للمتقين طال الزمن أم قصر فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير، ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد،فيحسبونهم باقين [٢].

إن " العاقبة للمتقين" لا تعني أن يكون المسلم خاملاً لا يبذل الجهد المستطاع لإعلاء هذا الدين ، بل إن هذه الآية تشكل له الدافع والمحفز والمنشط لاستلام دوره والقيام بواجبه في صياغة مستقبل هذه الأمة وفق ما يحب الله تعالى ويرضى ؟

إن استشراف المستقبل من خلال ما سبق يبدو جلياً وواضحاً ، فالمستقبل بيد الله تعالى ،والأرض لله تعالى يورثها لعباده المتقين ، وما على هؤلاء المتقين إلا أن يباشروا حياتهم وفق أوامر الله تعالى حتى يسخر الله لهم كل ما في هذا الوجود ، وباللحظة التي يتسنم فيها الإنسان مهمته كخليفة لله تعالى في الأرض فلن يقف في وجهه شيء ولن يعانده شيء بل إن الله تعالى سيؤتيه من كل شيء سبباً وسيسخر الله له إن شاء كل ما يعينه على مراده إن هو أخذ بالأسباب .

إن قصة ذي القرنين المذكورة في سورة الكهف نبراس مضيء وواضح للحاكم الذي يطبق حكم الله تعالى، الذي يطبق أوامر الله تعالى ويأخذ بالأسباب المقدور عليها ويحسن استعمالها وتوظيفها.

انظر إلى ذي القرنين وهو يأخذ بالأسباب، فييسر له الأسباب، كل الأسباب التي تعينه للوصول إلى غايته وهدفه.

آتاه الله تعالى من كل شيء سببا ، فما كان منه إلا أن اتبع السبب بالسبب بأخذه به وباتباعه ما ييسر له تحقيقه (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا *) [١] .

---

[١]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، جزء ٥ ص ٤٢١ .
[٢]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ٣ ، ص ٢٧٧.

وانظر إلى ذي القرنين وهو يجوب الأرض من مشرقها إلى مغربها ، بقرنيها ، وانظر إليه إذا وصل إلى وسطها ، فقد آتاه الله سبباً لكل شيء ،وعلماً يسبب به إلى كل ما يريده ويسير به في أقطار الأرض [٢] ،استمع إليه وهو يقرر العدل في ملكه وفي سياسته للناس، وهو بهذا يقعد لقاعدة مهمة بين يدي الحكام الذين يحكمون الناس ، وهو بهذا يرسل رسالة للحكام في أن الحكم الصحيح والحقيقي للناس يتمثل بداية في أن يكافئ المحسن ويعاقب المسيء وليس العكس فها هو (ذو القرنين) بعد أن خير بين أن يعذبهم أو يتخذ فيهم حسنا ، قَالَ (أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) [٣] .

وهذه السياسة التي يقررها القرآن الكريم تمثل منهجا يجب أن يتبعه الحاكم المسلم الذي يحكم باسم الله تعالى ، وتمثل مبدأ يجب أن يتعهده من يريد أن يضمن لحكمه النجاح والنصر ، وبذلك فان من استشرافنا لهذه الآية أن نعتني بمفرداتها في سياستنا الإسلامية ليتسنى لنا النجاح في المستقبل ، فأيما حاكم كافأ المحسن وعاقب المسيء فهو يضمن بداية أنه وضع قدمه على الطريق الصحيح في سياسة الناس وإدارة شؤونهم .

ثم يرسل برسالة مزدوجة إلى الحكام والمحكومين في آن معاً ، استمع إليه عندما طلب منه بعض الناس أن يجعل بينهم وبين من آذوهم سدا ، ماذا قال لهم ، قال: (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) فها هو يعلن شراكة الناس في الحكم وفي تنفيذ المطلوب ، وهو يفعّل الطاقات ويشغلها في المفيد من الأعمال التي تعود على المجتمع بالخير والنفع ، فهو يطلب من الناس الذين طلبوا منه أن يبني لهم سدا أن يعينوه على تنفيذ طلبهم ، وهو في كل مراحل البناء للسد يستحثهم على العمل والإنتاج (فَأَعِينُونِي ، انْفُخُوا ، آَتُونِي) وغير ذلك من أفعال المشاركة وذلك مصداق قوله تعالى : (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا *) [٤] .

---

[١]. سورة الكهف، الآية (٨٣ - ٨٥).
[٢]. انظر الشيحي ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، مصدر سابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣١ .
[٣]. سورة الكهف ، الآية (٨٧ – ٨٨) .
[٤]. سورة الكهف ، الآية (٩٥ / ٩٦) .

وهو (ذو القرنين) بعد ذلك كله ، يرجع الأمر إلى الله تعالى ، ليبرأ من حوله وقوته ، إلى حول الله تعالى وقوته ، (قالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي) [١] .

إن الحاكم المسلم الذي يريد لحكمه أن يكون وفق أوامر الله يجب أن يرجع إلى القرآن الكريم ويستلهم منه العبر، من أمثال حكم ذي القرنين، ولا يكون مثل فرعون الذي يحمل شعاراً أنانيا مقيتا ينبع من تسلط وتجبر وعنجهية.

وعليه فان المستقبل السياسي للأمة في ضوء القرآن الكريم مرهون بمدى تمثل الحاكم فيها لأمر ربه ، وبتنفيذ تعاليمه وهديه سبحانه وتعالى في الأمة ، فالله تعالى هو الأعلم بمن خلق وبما يصلح من تشريعات وأنظمة تقرر مصيرهم ، وهو سبحانه الذي يرسم طريق العزة والنصر والتمكن والتمكين ، وما على الحاكم المسلم إلا أن ينفذ أوامر ربه ويهتدي بهديه ، وله كل الحرية في اتخاذ الوسائل والأساليب التي تعينه على تحقيق ما أمره الله تعالى به ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان المستقبل كذلك مرهون بمدى اتباع الأمة لهدي ربها وبمقدار تمسكها بدينها ، وتنفيذها لتعاليم ربها ، فالكون لله تعالى وهو وحده المتصرف فيه (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [٢] .

ويمكن أن نستشرف المستقبل السياسي للأمة عندما نرجع إلى قوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [٣] .

ولابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره كلام قيم له عظيم الصلة بما نحن بصدد استشرافه هنا ، فها هو يقول في تعليقه على هذه الآية الكريمة : " هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، وأئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنّ بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك ، فإنه سبحانه

---

[١]. سورة الكهف ، الآية (٩٨) .
[٢]. سورة آل عمران ، الآية (٢٦) .
[٣]. سورة النور ، الآية (٥٥) .

وتعالى لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها. وأخذ الجزية من مَجُوس هَجَر، ومن بعض أطراف الشام، "[١].

كل ذلك مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: " إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها" [٢].

نعم، إن النبي صلى الله عليه وسلم يوضح ويبين ويفسر لنا ما يقرره القرآن الكريم، ولنا أن نستذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ "[٣].

وهذا وعد كما يقول الإمام الرازي ، رحمه الله ، للذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم الله تعالى في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم وأن يمكن لهم دينهم ،وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمناً بأن ينصرهم عليهم " [٤].

وهنا تتضح الصورة ويتجلى الاستشراف للمستقبل السياسي للأمة ، فهذا وعد صريح وواضح من جهة ، ووعد قاطع وجازم من جهة أخرى ؛ بأن من آمن بالله حق الإيمان ، وعمل عملا صالحا وأتقن عمله فإن الله تعالى سيستخلفه على الناس ، ويمكن له في الأرض .

ولنا أن ننظر إلى من كان قبلنا كيف كانوا أذلة مستضعفين في الأرض ، وعندما تمسكوا بالمنهج وحققوا شروطه استخلفهم الله تعالى ومكن لهم ، ونحن لنا مثل ما منحهم الله تعالى إن سرنا على ما ساروا وآمنا وعملنا كما آمنوا وعملوا ، وتلك – كما مر - سنة الله تعالى التي لا تتغير ولا تتبدل .

ومنه أيضا قوله تعالى:(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [٥].

---

[١]. انظر أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ابن كثير ، ت (٧٧٤ هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م ، جزء ٦ ، ص ٧٧ .

[٢]. الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض ،جزء ١٤صفحة ٦٨ ، حديث رقم (٢١٣٧).

٣. الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ،جزء ٦ صفحة ٢٤٥ ، حديث رقم (٢١٣٧) .

[٤]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ١١ ص ٣٦٣ .

[٥]. سورة القصص ، الآية (٥ – ٦) .

إنه الاستخلاف ، وإنها الوراثة ، على الناس كل الناس ،وللأرض كل الأرض ، فالاستخلاف بيد الله يضعه حيث يشاء ، والأرض لله يورثها لمن يشاء من عباده ،

إن مستقبلنا الإسلامي كأمة لها مقوماتها وخصائصها يتقرر عندما نرجع إلى كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ويتحقق لنا العزة والذكر والمكانة بين الأمم ، بل الصدارة على الأمم ، عندما نطبق تعاليم ربنا لتكون مصدرا أولا وأساسيا للحكم بين الناس وإدارة شؤونهم .

وعليه فان أردنا الملك ،و الحكم ، والولاية ، والتمكين ، والاستخلاف ، فإن الطريق في ضوء القرآن الكريم واضحة بينة ، وهي ممكنة ومتحققة كل الإمكان إن نحن أحسنّا التعامل وامتلكنا الأدوات ، وسرنا على الطريق ، وبذلنا الإمكانية والطاقة والقدرة ، وأحسنّا التوكل على الله تعالى .

نعم ، إن استشراف المستقبل السياسي للأمة الإسلامية ليس محلا لنقاش في ضوء القرآن الكريم ، ذلك لأن الله تعالى يقرر في أكثر من موضع في القرآن الكريم أنه ينصر من نصره ، وأن العاقبة للمتقين ، وأن هذا الدين سيظهر على الدين كله ولو كره الكافرون .

وليس من الصعوبة أن نستشرف المستقبل السياسي للأمة الإسلامية ، ولسنا بحاجة إلى النظريات الاستشرافية الحديثة في استنباط المستقبل الإسلامي ، فالآيات الكريمة واضحة بينه ، وما هذه النظريات – إن أردنا التعامل معها – إلا أدوات تقرر وتسهم في تبيان ما هو مقرر في دين الله تعالى .

إن المستشرف للمستقبل السياسي يدرك تماماً أن المستقبل للإسلام ، وأن ذلك ليس كلاماً عاطفياً ، وليس إدعاء لا يستند إلى دليل ، بل إن كل الأدلة تصب في هذا الخيار ، وهو الخيار الوحيد المنتصر في النهاية ، وقد جرب العالم الشيوعية ، التي ملكت في يوم من الأيام سدس الكرة الأرضية ، بالنار والحديد ، فماذا كانت النتيجة ، كانت أن انهارت على يد أبنائها ، هدموها بنفس الأيدي التي بنتها ، وتبرأوا منها ، ولجأوا إلى الإصلاح الذي يخرجهم من أزمتهم وورطتهم التي أغرقتهم بها ، وقل مثل ذلك في النظام الرأسمالي الحر الذي يسيطر على العالم اليوم والذي يحمل في طياته ، حبوب موته ، والذي اغرق الناس في ظلم وظلمات وتسلط وعنجهيات ، ونحن نرى بوادر موته ، برجوع الناس عنه وتخليهم عن كثير من تشريعاته الظالمة ومقرراته الفاسدة ، والتي زادت من شقاء العالم وبؤسه .

والغريب أن هذه الحقيقة يعرفها ويعقلها ويقتنع بها الغرب أكثر من كثير من المسلمين اليوم ، وهم يدركون تماماً أن الإسلام قادم وان الصولة والجولة له ولاتباعه المخلصين ،لذلك اتخذوه عدوا ، وألصقوا به كل الاتهامات التي تنفر الناس منه ، وما محاولاتهم البائسة تلك إلا جهود ضائعة ، لا يستفيدون منها بشي ، بل إن الله تعالى قد قرر مسبقا أن الذين كفروا سوف يبذلون كل جهد ممكن من أجل طمس معالم هذا الدين ، ولكنهم وكما ذكر القرآن الكريم سينفقون

أموالهم ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، في الدنيا ، ثم يحشرون في الآخرة في نار جهنم وبئس المصير ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [١].

ولن نستطيع أن نغفل ونحن تستشرف المستقبل السياسي للأمة الإسلامية حقيقة أن الأيام دول ، وأن تسلط الكفر وعلوه إنما هو تسلط مادي ، وعلو ظاهري ، وإلا فإن العاقبة للإسلام وللمسلمين ، وأن ما يتعرض له المسلمون اليوم من ألم وضنك وقهر لن يكون مبرراً للهوان والحزن ، بل إن ذلك يجب أن يكون مدعاة للتشمير عن سواعد الجد والجهاد والاجتهاد ، وفي ذلك يقول تعالى : (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) [٢] .

فالمسلمون ، وباستشراف هذه الآية ، هم الأعلون ، طالما أنهم يحققون شرط هذا العلو (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ، والحال ، كما يعلق الشهيد سعيد حوى رحمه الله على هذه الآية الكريمة ، أنكم أعلى منهم وأغلب إن صح إيمانكم ، وهذه بشارة للمؤمنين بالعلو ، والغلبة ، والنصر ، والظفر، في العاقبة والخاتمة إن صح الإتباع والإقتداء لهذا الدين والتمسك به ليصح إطلاق إن كنتم مؤمنين [٣] .

إن حال الكافرين اليوم وإن كان ظاهره الرخاء والسعادة ، إلا أنهم يعيشون في غربة مع أنفسهم ، ويكابدون الشقاء والتعاسة والضنك والخوف والرعب ، من أنفسهم وعلى أنفسهم ، مصداقا لقوله تعالى :(وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً) [٤] .

فهم يألمون كما نألم ، بل إن ألمهم أشد فتكاً وأبلغ أثراً ، لأن الألم الذي يرجو الإنسان من ورائه الأجر والثواب يكون متعة لا ألماً ، فنحن نرجو من الله الثواب والجزاء الحسن ، فهم يألمون كما نألم ولكننا نرجو من الله ما لا يرجون ، ولا سواء .

---

[١]. سورة الأنفال ، الآية (٣٦) .
[٢]. سورة آل عمران ، الآية (١٣٩- ١٤١) .
[٣]. أنظر سعيد حوى ، الاساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ٢ ،ص ٨٨٥ .
[٤]. سورة النساء ، الآية (١٠٤) .

ونحن مأمورون أن لا نهن أو نضعف طالما أننا مع الله تعالى ، قال تعالى : (فلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) [١].

الأيام يداولها الله تعالى بين الناس ليعلم الذين آمنوا ويعلم الظالمين ، ولكن العاقبة لن تكون إلا للمتقين ، مصداقا لقوله تعالى : (وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) .

ولنا أن نلاحظ أن هذه الآيات (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا) جاءت مباشرة بعد آية السنن الإلهية ، قال تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [٢].

وفي تعليقه على الآية الكريمة يذكر أبو السعود رحمه الله في أن في هذه الآية (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا) تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح وأن المؤمنين هم الأعلَوْن الغالبون دون عدوِّهم فإن مصيرَ أمرِهم إلى الدمار حسبما شاهدتم من أحوال أسلافِهم فهو تصريحٌ بالوعد بالنصر والغلبةِ ، وإذا كنتم مؤمنين فلا تهِنوا ولا تحزَنوا فإن الإيمانَ يوجب قوةَ القلب والثقةَ بصنع الله تعالى وعدمَ المبالاة بأعدائه ، أو إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلَوْن فإن الإيمانَ يقتضي العلوَّ لا محالةَ أو إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فأنتم الأعلَوْن[٣].

الإسلام قادم، ومنتصر، وحاكم، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [٤].

ولسيد قطب رحمه الله تعليق بليغ على هذه الآية أن لا تهنوا ولا تحزنوا - لما أصابكم ولما فاتكم ، وأنتم الأعلون وهو يرجع هذا لأسباب جوهرية ، فعقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه! ومنهجكم أعلى ، فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله! ودوركم أعلى ، فأنتم الأوصياء على

---

[١]. سورة آل عمران ، الآية (٣٥) .
[٢]. سورة آل عمران ، الآية (١٣٧) .
[٣]. انظر أبى السعود ، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، مصدر سابق، جزء ١ ص ٤٥٩ .
[٤]. سورة الصف ، الآية (٩) .

هذه البشرية كلها الهداة لهذه البشرية كلها وهم شاردون عن النهج ضالون عن الطريق ، ومكانكم في الأرض أعلى فلكم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها وهم إلى الفناء والنسيان صائرون ، فإن كنتم مؤمنين حقاً فأنتم الأعلون ، وإن كنتم مؤمنين حقاً فلا تهنوا ولا تحزنوا ،فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص [١].

تلك حقيقة ينبغي على من آمن بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ووقف على سيرة الخلفاء ومن سار على نهجهم وقرأ القرآن الكريم وأدرك أنه من عند الله تعالى ، ووعى آياته الكريمة وسنته تعالى في هذا الكون ، أقول أنه من كانت هذه حاله ينبغي أن يؤمن بها ، وأن يعيش بها ولها ، وأن يسعى لها ويتأمل أن يدركها ، ويحق له ذلك .

المبحث الثاني

استشراف مستقبل الأمة الاقتصادي

ليس المقصود هنا في هذا المبحث الحديث عن الجانب الاقتصادي المتعلق بالسلع والأوراق المالية العينية وغير العينية ، بل إن المقصود هو وعلى وجه الخصوص الحديث عن الجانب المتعلق بحياة الأمة واكتفائها الذاتي الذي يؤهلها لاستقلال قرارها السياسي ، وبالتالي تقصي الآيات الكريمة ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بحياة الناس المعيشية .

وقد لخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حاجات الإنسان الضرورية التي لا غنى له عنها في حياته ومعيشته ، فقال (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[٢] ، وفي هذا تلخيص للأولويات والضروريات في حياة الناس عامة، الأمن السياسي ، والأمن الاقتصادي ، والأمن الصحي ، ومن ملك هذه فهو في الحقيقة كمن حيزت له الدنيا ، وهو لم يخسر من هذه الدنيا شيئاً ، وفيه إشارة إلى أهمية الاقتصاد في حياة المسلمين .

ويلزم هنا أن أشير إلى أن القرآن الكريم لم ينزل لغرض شرح النظريات والقوانين العلمية والاقتصادية ، وليس هو محل لعرض المعارف الكونية ، ليس ذلك إلا بالقدر الذي يخدم الهدف الكلي والغاية الأسمى من نزول هذا القرآن العظيم وهو هداية الناس إلى الله تعالى ،وحسن

---

[١]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٢ .

[٢]. الإمام الترمذي ، صحيح الترمذي ، جزء ٨ ص ٣٤٤ ، قَال أَبو عيسى هذا حدِيث حسن غرِيب ، وانظر سنن البيهقي ، شعب الإيمان جزء ٢١ ص٢٩٨ ، وقال البيهقي : هذا اصح ما ورد في هذا الباب ،وقد ذكره الإمام البخاري رحمه الله في غير الجامع .

إدارة الكون وفق أوامره سبحانه ، قال تعالى : (إِنَّ هَذَا القرآن يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) [١] .

ولهذا فإننا نجد أن القرآن الكريم يتحدث في الأعم الأغلب في العموميات بالقدر الذي يوضح الصورة ويجلي الطريق أمام الهدف المنشود.

والاقتصاد والسياسة وجهان لعملة واحدة ، لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض خاصة في أيامنا هذه ، حيث تقارب الزمان والمكان ، وحيث أصبح من الصعوبة بمكان الفصل بين الاقتصاد والسياسة ، أو قل السياسة والاقتصاد ، لما لهما وفيهما من تداخل يكاد يكون كليا بحيث أن الحديث عن أحدهما يستلزم وجود الآخر وان لم يرد له ذكرا .

وعلى هذا فالمسلمون اليوم مدعوون إن هم أرادوا أن يتعاملوا مع معطيات الكون على الشكل الأمثل بما يمكن لهم النجاح والبقاء في الحلبة ، بل والتصدر بين الأمم ، عليهم إن هم أرادوا ذلك أن يحسنوا إدارة أمورهم السياسية والاقتصادية ، وأن يمتلكوا العلم المناسب والكافي والكفيل الذي يضمن لهم التصدر ، وعليهم حيال ذلك أن يعودوا إلى كتاب ربهم وهدي رسولهم صلى الله عليه وسلم ، يستلهموا منهما قراراتهم السياسية والاقتصادية وكل ما من شأنه أن يعينهم في إدارة الكون .

وبعد الرجوع إلى آيات القرآن الكريم والمتعلقة بالاقتصاد ، يجب أن يذكر الباحث هنا - وهذا من وجهة نظره - أنه ليس ثمة آيات مباشرة وخاصة اسمها آيات الاقتصاد في القرآن الكريم ، بل إن هناك آيات كثيرة كلها تتحدث عن مفردات علم الاقتصاد وما ينبغي أن يكون عليه تعامل المسلمين فيما بينهم في هذا المجال الهام .

وأنا على يقين ثابت وإيمان عميق أن الأمة مؤهلة وقادرة وجديرة بأن يكون المستقبل لها في كل مجالاته وفروعه، تلك حقيقة عقدية، وفي فهمي أن من يشك فيها فهو على غير هدى، بل ويجب عليه أن يراجع فهمه، وبالتالي إيمانه.

وسيعمل الباحث – إن شاء الله تعالى - على رصد هذه الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة ، ثم سيبين أقوال المفسرين الأوائل والمحدثين ، ثم يعرج على استشراف المستقبل الاقتصادي بما ييسر الله تعالى وينعم . كل ذلك بعد أن نعرف الاقتصاد لغة واصطلاحا .

الاقتصاد لغة :

---

[١]. سورة الإسراء ، الآية (٩) .

لغة: من مادة "قصد" وهي هنا في هذا المبحث ليست مأخوذة من قصد بمعنى توجه أو أراد أو نوى، ولكنها بمعنى اقتصد، والفعل قصد مكون من ثلاثة حروف كما يذكر صاحب المقاييس فيقول:

" قصد: القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدُها على إتيانِ شيء وأَمّه، والآخَر على كسر وانكسار، والآخِر على اكتنازٍ في الشيء" [١].

وقصد في الأمر: توسط فلم يفرط، والقصد في المعيشة أَن لا يُسْرِفَ ولا يُقَتِّر[٢].

والقصد استقامة الطريق وقوله تعالى :(وعلى الله قَصْدُ السبيل) [٣] ، أَي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاءُ إليه بالحجج والبراهين الواضحة .

وجاءت كلمة "قصد" ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع عدة، ومن هذه المواضع:

قوله تعالى : (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) [٤].

ومنها قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ) [٥] .

ومنها قوله تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [٦] .

وكل هذه المواضع فيها حض وحث على الاعتدال والتوسط .

ولأن خير الأمور أوسطها ، فإن الاقتصاد بمعنى التوسط هو خير الأمور، ويرى ابن جني[٧] مثلاً أن من الاقتصاد ما هو مَحْمُودٌ مُطْلَقاً وذلك فيما له طَرفانِ : إفراطٌ وتَفْرِيطٌ كالجُودِ فإنه بين الإسرافِ والبُخْلِ وكالشَّجاعَة فإنها بين التَّهَوُّرِ والجُبْنِ، واليه الإشارةُ بقولِه تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " [٨] . ومنه ما هو مُتَرَدِّدٌ بين المَحْمُودِ

---

[١]. ابن فارس معجم ، مقاييس اللغة ، مصدر سابق ، كتاب القاف ، مادة قصد ،جزء ٥ ،ص ٧٩ .
[٢]. انظر أبن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، حرف الدال ، مادة قصد ،جزء ٣، ص ٣٥٣.
[٣]. سورة النحل ، الآية (٩) .
[٤]. سورة لقمان ، الآية (٣٢) .
[٥]. سورة المائدة ، الآية (٦٦) .
[٦]. سورة لقمان ، الآية (١٩) .
[٧]. انظر أبي الفتح عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق : د.حسن هنداوي دار القلم – دمشق ١٩٨٥، جزء ٢ ،ص١٣٥ .
[٨]. سورة الفرقان ، الآية (٦٧) .

والمَذْمومِ وهو فيما يقع بين محمودٍ ومَذمومٍ كالوَاقِع بين العَدْلِ والجَوْرِ وعلى ذلك قولُه تعالى : " فمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِه وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ " [١] .

الاقتصاد اصطلاحاً :

تعددت التعاريف لهذا العلم ولكنها وبعد النظر فيها تبين أنها تنطلق من منطلق واحد لتنتهي إلى غاية واحدة ، ولكن الفرق بينها ، وبالتالي بما يتفرع عن هذه التعريفات من مدارس ومذاهب يبدو جليا في الوسائل والأساليب وحتى الغايات النهائية للاقتصاد .

ففي حين يرى البعض أن من الممكن أن نعرف علم الاقتصاد من خلال ربطه المباشر بالمعنى الاصطلاحي للفقه ، بحيث يكون علم الاقتصاد هو العلم الذي يبحث في الأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية في مجال التعامل بين الناس في الأمور المالية والمعيشية ، يرى البعض الآخر أن الأمر يمكن أن يفصل فيه أكثر ، فالإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى يرى في أضوائه مثلاً ، أن لعلم الاقتصاد أربعة أصول لا بد منها تتمثل فيما يلي :

" الأول: معرفة حكم الله في الوجه الذي يكتسب به المال، واجتناب الاكتساب به، إن كان محرماً شرعاً.

الثاني: حسن النظر في اكتساب المال بعد معرفة ما يبيحه خالق السماوات والأرض، وما لا يبيحه.

الثالث: معرفة حكم الله في الأوجه التي يصرف فيها المال، واجتناب المحرم منها.

الرابع : حسن النظر في أوجه الصرف ، واجتناب ما لا يفيد منها ، فكل من بنى اقتصاده على هذه الأسس الأربعة كان اقتصاده كفيلاً بمصلحته ، وكان مرضياً لله جل وعلا ، ومن أخل بواحد من هذه الأسس الأربعة كان بخلاف ذلك " [٢] .

وقد عرف علماء الاقتصاد علم الاقتصاد بأنه العلم الذي يدرس الإنسان في عمله اليومي ، وهو يبحث في ذلك الجزء من عمل الفرد والجماعة ،الذي ينصب على الحصول على الحاجات المادية وطريقة استعمالها لتوفير الرفاهية [٣].

وفي ضوء ذلك وبالنظر إلى أن علم الاقتصاد في ضوء الإسلام يحافظ على حاجات الأفراد والجماعات ، ويوازن بين الحاجات المادية والمعنوية لكلا الطرفين ، فإنه من الممكن

---

[١]. سورة فاطر ، الآية (٣٢) .

[٢]. انظر محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، مجمع الفقه الإسلامي بجدة ، جزء ٦ ، ص ١١٩ .

[٣]. انظر محمود أبو السعود ، خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي ، مكتبة المنار الإسلامية ،الكويت، ط٢، ، ١٩٨٣ م ص ٥٨ .

والحالة هذه أن نعرف الاقتصاد الإسلامي بأنه العلم الذي يبحث في معرفة حكم الله تعالى في كيفية كسب المال ، وبكيفية إنفاقه بما يعين المسلم في حياته لإعمار الأرض وفق ما أمر الله تعالى .

ويؤكد هذا المعنى وبتفصيل أكثر الأستاذ عبد الله المنيع في كتابه بحوث في الاقتصاد الإسلامي حيث يقول أن علم الاقتصاد الإسلامي هو العلم الذي يبحث في وجوه أنشطة الأفراد والجماعة بما يحقق منفعة معتبرة شرعا مع مراعاة الحفاظ على الخط التوازني بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة بحيث لا تطغى إحدى المصلحتين على الأخرى بما يعود على الأخيرة بالضرر والنقيصة [١] .

ومن خلال ذلك فإن الاقتصاد في الإسلام له خصائص وأحكام منضبطة بأوامر الله تعالى على خلاف الاقتصاد في الأنظمة المسماة بالحديثة من رأسمالية أو اشتراكية ، فالتشريعات الاقتصادية في الإسلام مرتبطة ارتباطاً مباشراً بأوامر الله تعالى لا يجوز لمسلم أن يحيد عنها ، فإن أخذ بها هدي وسعد ، وإلا عاش معيشة ضنكى وفوق كل ذلك وبعده لن تزول قدمه حتى يسأل عن هذا المجال ما عمل فيه .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : (إن الاقتصاد الإسلامي الناجح لا يقوم بغير أخلاق ، وأن الأخلاق ليست نافلة يمكن الاستغناء عنها ثم تنجح حياة الناس العملية) [٢] .

وسيد رحمه الله تعالى يؤكد في تعليقه على النجاح الباهر للمسلمين الأوائل في الناحية الاقتصادية بأنهم أدركوا السر في المنهج الرباني ، وأنه لا تستقيم عقيدة توحيد الله في القلب ، ثم تترك شريعة الله المتعلقة بالسلوك والمعاملة إلى غيرها من قوانين الأرض ، ويستغرب من الذين ينكرون بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد ، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد ، أو حتى بالأخلاق من غير اعتقاد ، فما للدين والمعاملات الربوية؟ وما للدين والمهارة في الغش والسرقة ما لم يقعا تحت طائلة القانون الوضعي؟ لا بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا تدخلت في الاقتصاد تفسده . وينكرون حتى على بعض أصحاب النظريات الاقتصادية الغربية النظرية الأخلاقية مثلاً ويعدونها تخليطاً من أيام زمان ،فلا يذهبن بنا الترفع كثيراً على أهل مدين في تلك الجاهلية الأولى، ونحن اليوم في جاهلية أشد جهالة ، ولكنها تدعي العلم والمعرفة والحضارة ، وتتهم الذين يربطون بين العقيدة في الله ، والسلوك الشخصي في الحياة ، والمعاملات المادية في السوق ، تتهمهم بالرجعية والتعصب والجمود [٣] .

---

[١] . انظر عبد الله بن سليمان المنيع ، بحوث في الاقتصاد الإسلامي ، نسخة المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٤ .
[٢] . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء١ ، ص ٣٠٣ .
[٣] . انظر المرجع السابق ، جزء ٤ ص٢٦١ .

ويمكن من خلال ذلك أن نستخلص بعضا من خصائص ومكونات النظام الاقتصادي الإسلامي :

إن الاقتصاد الإسلامي رباني المصدر أي انه موحى به من عند الله العزيز الحكيم الخبير العالم الذي يعلم ما يصلح البشر وبما يصلح لهم ، قال تعالى :(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [١] .

ومنه قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) [٢] .

والأمر كذلك فان الثقة كل الثقة واليقين كل اليقين بان ما يتقرر من قواعد في علم الاقتصاد من المنظور القرآني حري أن يلتزم به المسلم إن أراد أن ينجح ويسعد في حياته ، والشقاء كل الشقاء في البعد عن هذا المصدر الرباني .

إن الاقتصاد الإسلامي يتميز بأنه يراعي الأهداف الكلية للحياة الدنيا ويربط ذلك كله في المستقر الأبدي بالآخرة ، ومنه قوله تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إليك وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [٣] .

فالنظام الاقتصادي الإسلامي يراعي الحاجات المادية والروحية للإنسان في المجتمع الإسلامي، وهو في ذات الوقت يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، فهو بهذا يتصف بالواقعية من جهة، والقدرة على الموازنة والتطور ومراعاة التقدم من جهة أخرى.

وليس الحديث هنا عن خصائص الاقتصاد الإسلامي ، فله مجاله ، وله فرسانه ، ولكنها إشارة هنا إلى أن الاقتصاد الإسلامي يتميز عن غيره فيما لا يشاركه بهذه الميزات أي نظام آخر ، وهو بهذا جدير أن يمكّن أن يحكم العالم ويقوده إلى بر الأمان .

ومن الضروري أن أشير هنا إلى أن هناك الكثير ممن كتبوا في الاقتصاد الإسلامي ، أبدعوا في ذلك ، ولكن أياً منهم لم يوظف ذلك فيما وقف عليه الباحث في عملية استشراف

---

[١]. سورة الملك ، الآية (١٤) .
[٢]. سورة الكهف ، الآية (٥٤) .
[٣]. سورة القصص ، الآية (٧٧) .

المستقبل الاقتصادي للأمة ، وقد كان معظمهم يسعى لإثبات أن الاقتصاد الإسلامي قادر على مواكبة العصر ومتطلباته بالقدر الذي يحتاجه الإنسان المسلم في حياته اليومية ، وهو من خلال ذلك يؤكد على حقيقة أحقية هذا الدين وقدرته على استيعاب المشكلات المعاصرة وحلها .

ومن هؤلاء من عقد مقارنات بين النظم الاقتصادية المعاصرة ، والنظام الاقتصادي الإسلامي ، مبينا من خلال هذه المقارنات افتقار هذه الأنظمة إلى الشمولية ، والقدرة على الموازنة بين متطلبات الحياة ، ومؤكدا على غناء النظام الاقتصادي الإسلامي بكل ما من شانه أن يعين الإنسان على حل مشكلاته المتجددة وكيفية التعامل معها وفق ضوابط قررها رب العالمين الذي يعلم ما يصلح للإنسان .

ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب اقتصادنا لمحمد باقر الصدر ، و الاقتصاد الإسلامي للإمام الشيرازي وأضواء على الفكر الاقتصادي الإسلامي المعاصر و الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة و أصول الاقتصاد الإسلامي ليوسف كمال و مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام الدكتور سعيد سعد مرطان و دور القيم والأخلاق في الاقتصاد للدكتور الفاضل يوسف القرضاوي ولا يفوتنا هنا أن نذكر كتاب الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامي لعبد العزيز الدوري ، وكتاب اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة لمحمد حسن أبو يحيى ، وغير ذلك مما يتعذر حصره .

والاقتصاد من منظور القرآن الكريم يعمد إلى تحليل الأمور الاقتصادية التي تنشئها الأحكام الشرعية ،بحيث تكون مناسبة للحكم الشرعي الذي يرتضيه الله تعالى .

وسأعمد فيما يلي- بعون الله تعالى - إلى استحضار الآيات الكريمة ذات العلاقة بالاقتصاد ، ومن ثم استعرض أقوال المفسرين القدماء والمحدثين ، وأخيرا أحاول استشراف المستقبل الاقتصادي للأمة من خلال ذلك كله ، والله المستعان :

أما الآيات الكريمة فيمكن أن نذكر منها ما يوفق الله تعالى إليه:

منها قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[١].

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [٢].

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (٢٢) .
[٢]. سورة البقرة ، الآية (١٦٨) .

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [١].

وقوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [٢].

وقوله تعالى: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ) [٣].

وقوله تعالى: (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [٤].

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)[٥].

وقوله تعالى: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) [٦].

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (٢٦٧) .
[٢]. سورة آل عمران ، الآية (١٤) .
[٣]. سورة آل عمران ، الآية (٢٧) .
[٤]. سورة آل عمران ، الآية (١٨٠) .
[٥]. سورة الأعراف ، الآية (١٠) .
[٦]. سورة الأعراف ، الآية (٥٨) .

وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [١] .

وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ)[٢] .

وقوله تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ *الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [٣] .

ولعل ما ذكرناه عند حديثنا عن الآيات ذات العلاقة بالسياسة يمكن أن نذكره هنا ، من أن القرآن الكريم بعمومه يمكن أن يصلح للاستشهاد بما ينظم علاقة الإنسان الاقتصادية ، من جهة ، ومن جهة أخرى فان الباحث ليس بصدد عرض كل الآيات ذات العلاقة بالموضوع في هذا الفصل ، فالباحث يعلن هنا أن هذا ليس من أهدافه ، ويقرر انه لا يستطيع ذلك حتى لو أراد .

ولنا أن نقف بعد هذا على أقوال المفسرين على بعض الآيات الكريمة ، والتي يعتقد الباحث أن علاقتها وثيقة بالبحث الذي يريد .

ولنأخذ مثلا قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [٤] .

إن الناظر في هذه الآية يجدها قد اختصرت الكثير الكثير من الكلام عن الأسباب التي من شأنها أن تجعل الإنسان يعيش في بحبوبة من الحياة بعيدا عن ضيق العيش ونكد الحياة ، فبركات السماء والأرض تنزل من عند الله تعالى على من يريد الله تعالى ، وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أن الذين ينعمون بهذه النعم ويستحقون تلك المنح هم الذين يؤمنون به سبحانه ،وهم أولئك الذين يتقون الله تعالى ويخشونه ، ودلالة ذلك عملهم بأوامره ، وتمثلهم للقيم التي أرادها الله تعالى .

---

[١]. سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .
[٢]. سورة الأعراف ، الآية (١٠٠) .
[٣]. سورة قريش ، الآية (١- ٤) .
٤. سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .

فلو أن أهل القرى ، أيما أهل قرى ، آمنوا ، وحققوا إيمانهم ، واتقوا، وأخلصوا في تقواهم ، فإن الله تعالى سينزل عليهم بركاته من السماء ، ويخرج لهم بركاته من الأرض ، وهو القادر على ذلك سبحانه ، وكما يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق [١] .

وتدل هذه الآية الكريمة كذلك على أن الرخاء والرفاه الاقتصادي الحقيقي له طريق واحدة وهو طريق الإيمان والتقوى ، طريقه طاعة الله تعالى والالتزام بشرعه ، لا كما توسوس شياطين الإنس والجن الذين يوحون لبعضهم زخرف القول غرورا أنه يمكن إدراك الرخاء من خلال تطبيق مبادئ ونظريات أمم الكفر الاقتصادية مما يلغي شرع الله تعالى أو يعطله أو يخالفه [٢] .

ومن مفهوم المقابلة ، فأيما أهل قرية ، لم يؤمنوا ولم يتقوا الله تعالى ، وركنوا إلى نفوسهم وحظوظ عقولهم القاصرة ، فان بركات السماء - بمشيئة الله - لن تتنزل عليهم ، وان بركات الأرض لن تطل عليهم ، وسيعيشون في شقاء وضنك ، وذلك مصداق قوله تعالى :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليوم تُنْسَى) [٣] .

يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى في مفاتيح الغيب عند تعليقه على هذه الآية الكريمة – وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القرى ءامَنُواْ - إن الله تعالى بين فيها أن الناس لو أطاعوه لفتح عليهم أبواب الخيرات فقال : أي آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (واتقوا) ما نهى الله عنه وحرمه (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بركات مّنَ السماء والأرض) بركات السماء بالمطر ، وبركات الأرض بالنبات والثمار ، وكثرة المواشي والأنعام ، وحصول الأمن والسلامة ، وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب ، والأرض تجري مجرى الأم ، ومنها يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره [٤] .

---

١. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ٣، ص ١٤٣٨ .
٢. انظر المصدر السابق ، جزء ٤ ص ١٩٦١ .
٣. سورة طه ، الآية (١٢٤ – ١٢٦) .
٤. انظر الإمام الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٧، ص ١٩٥ .

يقول سيد رحمه الله أننا نقف أمام هذه الآية الكريمة وأمام هذا النص - والنص الذي قبله - أمام حقيقة من حقائق العقيدة وحقائق الحياة البشرية والكونية سواء وهي أن العقيدة الإيمانية في الله ، وتقواه ، ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة ، وعن خط تاريخ الإنسان ، إن الإيمان بالله ، وتقواه ، ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض ، وعدا من الله ، ومن أوفى بعهده من الله؟

والإيمان بالله قوة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، وتطلقها تستمد من قوة الله، وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها، وفي دفع الفساد والفتنة عنها، وفي ترقية الحياة ونمائها [١] .

والبركات التي يعد الله بها الذين يؤمنون ويتقون ، في توكيد ويقين ، ألوان شتى لا يفصلها النص ولا يحددها وإيحاء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل مكان ، النابع من كل مكان ، بلا تحديد ولا تفصيل ولا بيان ، فهي البركات بكل أنواعها وألوانها ، وبكل صورها وأشكالها ، ما يعهده الناس وما يتخيلونه ، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال .

ويطرح هنا تساؤل مهم يراود الكثير ممن لم يستوعبوا الحكمة من توزيع الرزق بين العباد فهم يتساءلون عن غنى الكافر وفقر المؤمن فهم لم يتشربوا حقيقة هذا الدين ويقفوا على أسراره ومنهجه ، فيدعي البعض بأنهم مسلمون ملتزمون وهم مع هذا مضيق عليهم في الرزق ، في حين نرى أن الكفار يتمتعون ويتنعمون في الرزق والقوة والنفوذ .

وهؤلاء لم يقفوا على الفهم الصحيح للحكمة من توزيع الأرزاق الذي هو بيد الله تعالى وحده ، فالدنيا تكفل الله تعالى فيها بالرزق للمؤمن والكافر ، ولكن الآخرة عند الله تعالى فقط لعباده المتقين ، وهي خير وأبقى ، قال تعالى : (كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) [٢] .

وعلى عكس ما يفهم هؤلاء فان القرآن الكريم يقرر حقيقة خطيرة ، تكاد تكون محل عجب وذهول لأولئك الذين لا يحسنون فهم هذا الدين ، ونظرته إلى الجوانب الاقتصادية ، والى متاع الحياة الدنيا ، كل الحياة الدنيا ، لتقف مندهشا أمام هذا الحزم الرباني والوضوح الباهر في العرض ، والقطع في القرار ، أن الذين ينسون آيات الله تعالى ويتركون شرعه إلى شرع هواهم بأنه سبحانه وتعالى ييسر لهم أسباب الدنيا والمعيشة الرغدة ، حتى إذا فرحوا بها واغتروا بأنهم ملوكها

---

[١] . أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٢ .
[٢] . سورة الاسراء ، الآية (٢٠ – ٢١) .

ومالكيها أخذهم العذاب بغتة وهم غافلون ، وهم مركنون إلى هذه الدنيا التافهة وظلها الذي سرعان ما ينقضي ويكون العذاب فجأةً ليكون أشدَّ عليهم وقعاً وأفظع هولاً فإذا هم مبلسون متحسرون ، قال الله تعالى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) [١] .

تقرر الآية الكريمة أن الذي ينسى ذكر الله وما أمر به الله يفتح الله تعالى عليه بركات كل شيء ، يا لهذا التصريح ؛ إنه يصدر عن صاحب الأمر المتصرف في هذا الكون ، فهو القادر على تنفيذه ،وهو العالم بأنه الأصوب في هذا الصدد ، حتى لو لم يدرك الناس بُعده ومراميه ، وللوهلة الأولى فإن الذي ينسى ذكر الله تعالى وأوامره سبحانه عرضة لأن يكون محل شقاء وبؤس في هذه الدنيا ، ولكن الله تعالى يقرر شيئا آخر فيه كل الحكمة ، وكل الدقة في التشريع ، ضمن الحقيقة الكلية من وراء خلق الناس ، ومن النظر إلى حقيقة الدنيا ومقدارها إذا ما قورنت بالآخرة ، وان الله تعالى ، أراد الدنيا للمؤمن وللكافر ، ولكنه لم يرد الآخرة إلا لمن أراد .

يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله في تفسيره لهذه الآية أنهم عندما نسوا الوحي ، وتناسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ، بحيث تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم وجعلوه وراء ظهورهم ، فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شيء من الصحة ، والسعة ، وصنوف النعمة ، ورخاء الدنيا ، ويسرها من جاه ورفاه ومجد ، استدراجا منه سبحانه وتعالى وإملاء ، حتى يقضي الله تعالى فيهم أمره من أنه سبحانه وتعالى أهلكهم عن آخرهم ولم يترك منهم أحد إذ عندما يقطع دابرهم لا يبقي منهم أحداً [٢] .

إن أولئك الذين اغتروا بمباهج الدنيا نسوا أو تناسوا أن الدنيا زائلة وأن متاعها قليل ، وأنها ليست معياراً للتفاضل ، أقول نسوا أو تناسوا أن الله تعالى مد الكافر والمؤمن من خيرات الدنيا ، وأن معيار التفاضل ليس بمقدار ما يجمع الإنسان من أموال ويتحصل على الثروات ، فالله تعالى يقول : (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [٣] .

بل إن القرآن الكريم يذهب إلى أبعد من هذا التصريح ، فالله تعالى لا يدع لمثل هؤلاء المتشككين مجالاً للمعايرة بأنهم الأفضل بما حباهم الله تعالى من نعيم وثروات من عرض هذه الدنيا ، وهم كفار لا يحسنون أداء شكر نعمة الله تعالى عليهم ، فيقرر الله تعالى أنه إنما أملى لهم وأعطاهم ليزدادوا إثما ، وليستحقوا عذابه بسبب كفرهم ، قال تعالى :

---

[١] . سورة الأنعام ، الآية (٤٤) .
[٢] . انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ٣ ص ١٦٣٠ .
[٣] . سورة الإسراء ، الآية (٢٠) .

(وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [١] .

والقرآن الكريم يوجه هنا إلى ضرورة عدم الاغترار والإعجاب بالكفار ولا بأموالهم لأنها ستكون عليهم وبالا في الدنيا، وفي الآخرة، يقول الله تعالى: (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [٢].

واستمع إلى قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ اليهمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) [٣] .

وليس بعد هذا الوضوح من وضوح وليس بعد هذا البيان من بيان ، مع التذكير هنا بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وانظر إلى التعبير القرآني في وعد من يسير على الطريق القويم ، قال تعالى : (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) [٤] .

إن استشراف المستقبل الاقتصادي للأمة واضح وبين ؛ فإن هي أرادت أن تأكل من خيرات وبركات الأرض والسماء فما عليها إلا أن تعبد رب الأرض والسماوات ، وما عليها إلا أن تنفذ تعاليم الله تعالى في الأرض ، وعندها ، وعندها فقط يسخر الله تعالى الأرض وما عليها والسماء وما فيها للإنسان الخليفة المؤمن التقي ، ولنا أن نقف على سيرة السلف الصالح من سلف هذه الأمة ، الذين كانوا مثالاً على حسن التعامل مع تعاليم الله تعالى وتنفيذها فكان أن سخر الله تعالى لهم بركات كل شيء ، وما سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس رضي الله عنه وأرضاه ، إلا أقرب مثال على ذلك ، فقد ذكر لنا أنه في عصره الراشدي رأى الناس بأعينهم الذئب يرعى مع الغنم ، ورؤي سيدنا عمر رضي الله عنه نفسه يخرج بمال الخراج منادياً للمحتاجين من المسلمين ، فيخرج ويطوف المدينة ويرجع في آخر النهار ولا ينقص من خرج ماله درهم [٥] .

---

[١]. سورة آل عمران ، الآية (١٧٨) .
[٢]. سورة التوبة ، الآية (٢٠) .
[٣]. سورة المائدة ، الآية (٦٦) .
[٤]. سورة الجن ، الآية (١٦) .
[٥]. انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة – مصر الطبعة الأولى ، ١٩٥٢م ، جزء ١ ، ص ٢٠١ .

وهذا الضنك الذي نعيش ، لن يرفعه إلا عودتنا إلى الله تعالى ، وتجديد الإيمان بالله ، وتحقيق البيعة لدين الله تعالى ، ولنا في قوم سيدنا يونس عليه السلام أعظم العبرة ، وأوضح الاستشراف ، فها هم عندما رجعوا إلى الله تعالى وآمنوا كشف الله عنهم ما هم فيه من هم وغم وضيق عيش ، إلى التمتع الحقيقي بالنعيم فأكلوا من بين أيدهم ومن خلفهم ،قال الله تعالى : (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) [١] .

وسيد رحمه الله تعالى يقف عند هذه الآية ليشير إلى عبرتين نستفيدهما من قصة يونس عليه السلام مع قومه ، أولى هاتين العبرتين الإهابة بالمكذبين أن يتعلقوا بخيوط النجاة الأخيرة ، فلعلهم ناجون كما نجا قوم يونس من عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، وهذا كما يقول سيد رحمه الله تعالى الغرض المباشر من سياقة القصة هذا المساق ، وثانيتهما: أن سنة الله لم تتعطل ولم تقف بكشف هذا العذاب، وترك قوم يونس يتمتعون فترة أخرى، بل مضت ونفذت ، لأن مقتضى سنة الله كان أن يحل العذاب بهم لو أصروا على تكذيبهم حتى يجيء. فلما عدلوا قبل مجيئه جرت السنة بإنجائهم نتيجة لهذا العدول [٢] .

ونحن كما ذكرت إن عدلنا عن الإعراض عن ذكر الله تعالى عدل الله تعالى، إن شاء ، عن تعذيبنا وكشف ما بنا من ضيق وضنك ونكد عيش .

ونحن مدعوون مع هذا إلى أن نتسلم زمام المبادرة في عمارة الأرض وفق شرع الله تعالى ،وضمن الفهم الخالص لحقيقة الكون وفكرة الوجود ،ولا يغترن أحد بهذه الدنيا فهي متاع قليل زائل ، إنما جعلت للآخرة ممراً ، فهي ليست مقصودة لذاتها ، إنما جعلت مزرعة للآخرة ، ففيها البذر والزرع ، وفي الآخرة الجني والحصاد ، والدنيا والحالة هذه ليست مما يؤسف عليها وليست مما يبكى من أجلها ، بل إن المؤمن الحصيف هو الذي يتقلل منها ، ويبعث ما يملكه فيها إلى داره الباقية ، وبهذا الفهم ، لا يضر المؤمن أن أقبلت الدنيا أو أدبرت ، وهو مع هذا معني بعمارتها ، وخلافة الله تعالى ضمن هذا الفهم ، ولا يعني هذا بحال عدم الاكتراث بها وإهمالها وعدم الأخذ بأسبابها ، فهذا مخالف للفهم الأول لوجود الإنسان بكونه خليفة الله تعالى في أرضه ، بل يجب عليه عمارتها وفق شرع الله وهديه .

وكل هذا لا يتأتى إلا إذا بادرنا نحن معاشر المسلمين إلى تغيير حالنا وأوضاعنا لتتلاءم مع شرع الله وتتوافق معه ، وتمشي على هداه ، إنه التغيير الذي يبدأ من عند الإنسان ،

---

[١]. سورة يونس ، الآية (٩٨) .
[٢]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٤ ،ص ١٨٣ .

حتى إذا نظر الله تعالى إليه وقبله غير الحال إلى الحال الذي يرضيه سبحانه ، قال الله تعالى : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) [١] .

بعد هذا ، العرض السريع للآيات الكريمة ، والتعرض لبعض أقوال المفسرين ، والوقوف على الدروس والعبر ، يمكننا ونحن نستشرف المستقبل الاقتصادي للأمة الإسلامية أن نضع بعض الملاحظات الهامة ، والمستخلصة والمستنبطة من الآيات الكريمة آنفة الذكر ، فنقول والله المستعان :

- إن المستقبل الاقتصادي للأمة من الأهمية بمكان بحيث يكون لزاماً على علماء الأمة الإسلامية أن يقفوا ملياً عنده ، وأن يولوه الأهمية التي يستحقها ، في إطار المشروع العملي لمستقبل الأمة بشكل عام .
- إن الاقتصاد يمثل دعامة أساسية في بناء أي مجتمع ، وهذا بالتالي يرتب على شعب ذلك المجتمع أن يحاولوا امتلاك أدواته وأساليبه الكفيلة بتوفيره دون الحاجة إلى اللجوء إلى هنا أو هناك .
- يتميز الاقتصاد الإسلامي بميزات تؤهله للنجاح والبقاء ، ذلك لأنه وكما ذكرت سابقا من خلال كونه نظاماً ربانياً ، وشاملاً ، ومراعياً لكل الظروف وموازناً بين الحاجات المتعلقة بالفرد ، والجماعة على حد سواء ، دون تعارض أو تصادم ، بل بكل تنسيق ودقة ، ونظام وحكمة .
- الآيات القرآنية الكريمة ذات العلاقة والصلة بالموضوع الاقتصادي ،سواء بشكل مباشر أم بشكل غير مباشر ، تصلح في مجموعها لأن تمثل نظاماً اقتصادياً متكاملاً ، إن أحسن العلماء استخراجها ودراستها ، والربط بينها من جهة وبين الآيات الكريمة الأخرى من جهة ثانية ، ذلك لأن القرآن الكريم يمثل في مجموعه وحدة واحدة ، يخدم هدفا كلياً واحداً ، يتقرر من خلاله تحقيق عبودية العبد لخالقه سبحانه .
- بسط الله تعالى الرزق وتكفل به ، لكل خلقه ، قال الله تعالى : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [٢] . فهو بهذا سبحانه متكفل بالرزق

---

[١]. سورة الرعد ، الآية (١١) .
[٢]. سورة هود ، الآية (٦) .

للمؤمن وللكافر ، ولجميع مخلوقاته ، ويستوي في ذلك المؤمن والكافر ، قال الله تعالى : (كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً) [١] .

- هناك ربط واضح بين السياسة والاقتصاد وأنهما وجهان لعملة واحدة ، وهذا المعنى بات واضحا أكثر في زماننا حيث طغت المادة ، وباتت شرياناً من شرايين الحياة ، والحالة هذه فإن الأمة التي تملك اقتصاداً قوياً أمة مؤهلة لأن يكون قرارها بيدها ، وأن الأمة التي تعتمد في اقتصادها على أعدائها يكون مصيرها مرهوناً بيد عدوها ، وبالتالي فإن الأمة لا يكون لها مستقبل إلا بما يسمح لها به عدوها ، والمشاهد في عالم اليوم يعد أكبر دليل على ما نقول به .
- المال في الدنيا ليس معياراً للتفاضل عند الله تعالى، وما المال إلا وسيلة للحياة، في منظور القرآن الكريم، وهو بهذا وسيلة لا غاية.
- إن أول ما ينبغي أن يعتقده المجتمع أفراداً وجماعات ، لكي يحسن التعامل مع الاقتصاد وفق منظور القرآن الكريم وبشكل فعال ومنطقي ، أن المال جميعه لله تعالى والبشر مستخلفون فيه، رزقهم الله تعالى إياه و أذن لهم بالانتفاع به وفق أحكامه تعالى وأوامره وشروطه ، قال الله تعالى : (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) [٢] ، وقال تعالى : (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فإليه تَجْأَرُون) [٣] .
- وعلى أساس القاعدة الكلية السابقة أن المال لله تعالى وأن الإنسان مستخلف فيه ، فإن الطاعة لله تعالى ، وكما مر ، تعني التنعم في ملكوت ونعم الله تعالى ، وتكون سبباً لسعة رزقه و مزيد عطائه، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [٤] . و قال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ

---

[١]. سورة الإسراء ، الآية (٢٠) .
[٢]. سورة الحديد ، الآية (٧) .
[٣]. سورة النحل ، الآية (٥٣) .
[٤]. سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .

أَنْهَارًا) [١] ، و قال تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [٢] ، وعكس ذلك يمكن أن يقال ، فعند المعصية والتعدي على أوامر الله تعالى ، يستحل المخالفون غضب الله ، في أن يذيقهم لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وفق علم الله تعالى وحكمته وإرادته ، فإن شاء عذب وإن شاء أمهل ، قال تعالى : (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) [٣] .

- الرزق كما قرر القرآن الكريم من عند الله تعالى وهو بيده سبحانه وتعالى وحده ، وهو يتصرف فيه كيف يشاء ، وقد مر معنا أن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم أن الإيمان والتقوى هما محل فتح خزائن الرزق ، قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [٤] .

ما يتمتع به الكفار اليوم من النعم في الدنيا ، يجري وفق سنة الله تعالى في أن الرزق مكفول من الله تعالى لكل المخلوقات ، وهو مكفول للكافر وللمؤمن ، قال تعالى : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [٥] ، وقال تعالى : (كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) [٦] ، وقال تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

---

[١]. سورة نوح ، الآية (١٠ – ١٢) .
[٢]. سورة الطلاق ، الآية (٢ – ٣) .
[٣]. سورة النحل ، الآية (١١٢) .
٤. سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .
[٥]. سورة هود ، الآية (٦) .
[٦]. سورة الاسراء ، الآية (٢٠ – ٢١) .

لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [١] ، إذن فهذا التفضيل في الدنيا والسعة في الرزق ليس خيراً لهم وإن كان في ظاهره كذلك ، بل هو شر لهم يريد الله أن يعذبهم به في الدنيا ، والآخرة ، وبسط الله تعالى لهم الدنيا ليس تفضيلا لهم بل هو استدراج وإملاء حتى إذا أخذهم وعذبهم جازاهم بما كسبت أيديهم من كفرهم وعنادهم وعدم شكرهم لنعمة ربهم عليهم ، قال تعالى : (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) [٢] ، وما أبلغ التصوير القرآني في ذلك عندما يقول الله تعالى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) [٣] ، وقال تعالى : (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [٤].

- الزكاة (مثلا) كمفردة وواحدة من مفردات النظام الاقتصادي في الإسلام لو طُبِّقت كما أرادها الله تعالى لما بقي هناك فقير وصاحب حاجة ، وما عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عنا ببعيد ، وذلك لأن أثر الزكاة سيتعدى هذا ليصب في إحياء المجتمعات والشعوب واستجلاب الحياة العزيزة والكريمة ، ويمكن القول بالإضافة إلى ذلك إن نظام الوقف لو طبق مثلا لكان كفيلاً بالخروج من الأزمات الاقتصادية التي يمر بها المسلمون ، فما بالنا والزكاة ونظام الوقف ما هما إلا مفردات اقتصادية من مفردات النظام الاقتصادي في الإسلام .
- وأخيرا وليس آخراً ، فإن استشراف المستقبل الاقتصادي للأمة الإسلامية من منظور القرآن الكريم ، واضح وبين فالآيات الكريمة شاملة تغطي كل ما يحتاجه المسلم في حياته المعيشية ، وكافية بالقدر الذي يغني عن استجداء الحلول والنظريات الاقتصادية الغربية والغربية ، والتي تبتعد في مضمونها وجوهرها عن حكمة الإسلام وروحانيته وفلسفته ، وغاية خلق الإنسان ، ذلك لأن المنطلقات مختلفة ، والوسائل والأساليب متباينة ، غير أن ذلك لا يعني بحال إغفال النظريات الاقتصادية الحديثة باعتبارها تجارب إنسانية ناجحة في عالم الاقتصاد ، وبالتالي ضرورة الاستفادة منها في صياغة تصور مستقبلي للأمة الإسلامية ، ولكن بتحفظ وكثير دراسة وعناية ، مع الانتباه إلى أن ما يصلح في تلك المجتمعات لا يجوز بحال أن يطبق كما هو في مجتمعات

---

[١]. سورة الزخرف ، الآية (٣٢) .
[٢]. سورة الزخرف ، الآية (٣٣) .
[٣]. سورة الأنعام ، الآية (٤٤) .
[٤]. سورة التوبة ، الآية (٥٥) .

المسلمين ، لأنه وكما ذكرت سابقاً فان هناك الكثير من الاختلاف في المنطلقات والغايات بين التصور الاقتصادي الإسلامي ، والنظريات الاقتصادية الأخرى ، مع التنبيه الأكيد على أن السيادة للنظرة الإسلامية عند أخذ أياً من هذه النظريات .

- يؤكد الباحث من خلال استرشاده بالآيات الكريمة أن لا خروج للعالم من مأزقه الاقتصادي إلا بالرجوع إلى شرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ذلك لأن الله تعالى هو خالق هذا الكون وهو وحده الأعلم وألاحكم بما يصلحه ويصلح له ، والمستقبل من خلال ذلك سوف يكون بإذن الله تعالى للاقتصاد الإسلامي أن أحسن المسلمون عرضه وصياغته بما يتناسب مع متطلبات الحياة العصرية .
- والباحث يؤكد هنا أيضا أن النظريات الاقتصادية الوضعية المختلفة قد عجزت كلياً عن إيجاد الحلول لمشكلات العالم الاقتصادية ، سواء كانت تلك النظريات رأسمالية حرة أو شيوعية اشتراكية مقيدة .

وعليه فان المستقبل الاقتصادي للأمة الإسلامية مرهون كما ذكرت بالعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وحسن التعامل مع هذه التوجيهات وفق إرادة الله تعالى ، والتاريخ الإسلامي بدأً بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام ، ومن سار على النهج القويم، مليء بالأدلة والشواهد القاطعة التي تدل على أن الإسلام بما يحمل من نظريات اقتصادية كفيل بإخراج العالم من أزماته ونكباته ، وأن القرآن الكريم بما يحويه من قيم فاضلة وتشريعات محكمة ومثل عليا إنما جاء من عند الله تعالى لإسعاد البشر جميعاً وفق شرعه تعالى في الدنيا قبل الآخرة، وقد أخذ به سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم فسادوا به الدنيا، وقادوا ركب البشرية ، وقدموا للحضارة البشرية نموذجا للحياة الهانئة والمستقرة ، وبذلك تقرر ، في عقيدة المسلمين على الأقل ، أن البشرية لن تفلح اليوم ولن تتجاوز ما هي فيه من عنت ومشقة وضنك إلا بالعودة إلى هذا الدين والتربي على قيمه وأحكامه ومثله ، ليصلح اقتصادها وكل شؤون حياتها .

المبحث الثالث

استشراف مستقبل الأمة الاجتماعي

والحديث عن المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية لا يقل أهمية عن سابقيه ، السياسي والاقتصادي ، بل هو مكمل لهما ، ويشكل مع هذين الجانبين تصوراً شبه متكاملا ، إن لم يكن متكاملا ، لأي مستقبل يراد أن يوضع له تصور واضح ودقيق .

ويهتم علماء الاجتماع بدراسة تاريخ وثقافات وسلوكيات الشعوب المتعاقبة من باب أن معرفة الماضي تسهم إلى حد كبير في فهم الحاضر، وبالتالي لاستشراف المستقبل.

وهو كذلك يعنى بالجماعات البشرية والعلاقات بين أفراد هذه الجماعات ، وتداعيات تلك العلاقات على المجتمعات .

وتساعد النتائج المنبثقة عن البحوث الاجتماعيةِ الساسة والمربين، والمشرّعين، وآخرين وخاصة أولئك الذين يهتمون بحل المشاكل الاجتماعية ويصوغون سياسات عامة، ويستشرفون القادم بناء على نتائج تلك البحوث، فالماضي أس للحاضر، وهو كذلك للمستقبل.

اهتم القرآن الكريم بتكوين مجتمع حر كريم، فحياة المجتمع ورقيّه تتكوّن عبر صياغته تبعاً للمنظور القرآني، قال الله تعالى:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [١].

فباتباع النور نكون من المفلحين ، الفائزين بكل خير والناجين من كل شر [٢] .

وباتباع المنهج الرباني تكون لنا الحياة ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إليه تُحْشَرُونَ) [٣].

ومن مؤشرات اهتمام الإسلام بالنظام الاجتماعي باعتباره جانباً مهما من تكوين المجتمعات على أسس مكينة ومتينة، فان الإحصائيات العددية في القرآن الكريم تشير إلى أن

---

[١]. سورة الأعراف، الآية (١٥٧) .
[٢]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠١٨ .
[٣]. سورة الأنفال، الآية (٢٤) .

الآيات التي تندرج تحت هذا العنوان العريض(النظام الاجتماعي) تصل أو تزيد عن (٨٤٨) آية [١].

وعلى هذا الاعتبار يندرج تحت هذا كل الآيات الكريمة التي تنظم شؤون المجتمع وترتبه وتضع الحدود المناسبة لكل أفراده، وتقرر كل ما من شأنه أن يصب في مصلحة ثبات ونجاح قيام المجتمع وبقائه.

ويندرج أيضا كل آيات الأخلاق بشقيه المأمور بها والمنهي عنها ، بحيث يجب أن تتوافر في المجتمع الصالح للبقاء كل الأخلاق المحمودة ، وبالوقت نفسه يكون ذلك المجتمع خاليا من تلك الأخلاق التي ينبغي أن لا تكون ، وإلا فلا يبلغ البنيان يوماً تماماً له إذا كانت عوامل الهدم متوافرة جنباً إلى جنب مع عوامل البناء .

وقد أولى الإسلام الأخلاق أهمية منقطعة النظير، باعتبار أن الأخلاق الثمرة الرئيسة للعبادات في هذا الدين، فلا خير مثلا في صلاة لا تأمر بمعروف أو لا تنهى عن منكر.

وكما هو منهجنا الذي اجتهدنا فيه في هذه الرسالة ، فإننا سنقف على تعريف المصطلحات المتعلقة بالعنوان ، وسنكتفي هنا بتعريف معنى الاجتماعي ، لغةً واصطلاحاً ، لأننا تحدثنا فيما سبق عن تعريف لفظة " استشراف " و " مستقبل " و " الأمة " ، ثم نستعرض الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة، ونقف على أقوال المفسرين القدامى والمحدثين ، ثم نجتهد وسعنا في استشراف المستقبل الاجتماعي للأمة من خلال ذلك كله ، وعلى ضوء من الآيات القرآنية الكريمة ، والله الموفق والمعين .

الاجتماع لغة

الاجتماع لغة: من جمع، و الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال جمعت الشيء جمعا [٢] .

والجمع: مصدر قولك جمعت الشيء. وقد يكون اسما لجماعة الناس والجميع: ضد المتفرق [٣]، و جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه وأَجمعه فاجتمع [٤].

والجمع كالمنع: تأليف المتفرق [٥].

وفي المفردات للراغب: الجمع ضم الشيءِ بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع والإجماع أي إجماع الأمة: الإتفاق، يقال: هذا أمر مجمع عليه: أي متفق عليه [٦].

---

١. www.quranway.net

٢. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مصدر سابق ،كتاب الجيم، مادة جمع ، جزء ١ ،ص ٤٢٦ .

٣. الجوهري ، الصحاح في اللغة ، مصدر سابق ، مادة جمع ، جزء ١ ،ص ١٠٠ .

٤. ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة جمع، جزء ٨ ، ص ٥٣ .

٥. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي ،تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة جمع ، جزء١ ،ص ٥١٥٨ .

٦. انظر الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن ، كتاب الجيم ، جزء ١، ص ١٨٩ .

الاجتماع اصطلاحاً

من الضروري عند الوقوف على المعنى الاصطلاحي للفظة " الاجتماعي " أن نذكر ونتذكر العلامة الإسلامي الكبير إبن خلدون، والذي يعتبر بحق مكتشف، ومؤسس، ومقرر علم الاجتماع.

يبين العلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، وتحت عنوان الاجتماع الإنساني ضرورة إن الحكماء يعبرون عن هذا بقولهم: " الإنسان مدني بالطبع "، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران، ويضرب لذلك مثالا موسعا ،قوت يوم من الحنطة، يثبت من خلاله حاجة الإنسان لأخيه الإنسان ، وأن لا غنى لأحدهما عن الآخر ، بل أن الحياة تكاد تكون مستحيلة دون هذا الاجتماع ، فهو ضرورة ، وضرورة قصوى للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين [١].

وبالنظر إلى ذلك فان علم الاجتماع يختص بدراسة السلوك الإنساني، أفراداً وجماعات.

ويذكر بعض المؤرخين [٢] أن علم الاجتماع يعنى بدراسة خصائص الجماعات البشرية والتفاعلات المختلفة والعلاقات بين أفراد هذه الجماعات، ويعتبر أوغست كونت من أهم الباحثين في علم الاجتماع .

وهو بهذا المعنى أو ذاك ، ليس مجالا للدراسة والبحث المفصل في هذه الرسالة ، إلا بالقدر المطلوب ، وإلا فالباحث معني بتشكيل صورة ولو مبسطة عما ينبغي أن يكون عليه المجتمع في المنظور القرآني ، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى إن إدراك الأسس التي يقوم عليها النظام الاجتماعي الإسلامي يضع حداً لهذا اللغط على الإطلاق [٣] .

إن تعريف النظام الاجتماعي يتقرر عندما نضع أيدينا على الموضوعات التي يعالجها هذا النظام ، فإذا ما تبين لنا أن كل الموضوعات التي تتعلق بالمجتمع وبتنظيمه يدخل في اختصاص هذا النظام ، فإننا ندرك حجم هذا الجانب ، من جهة ، وأهميته من جهة ثانية.

ولا يعنينا هنا كثيراً التقسيم الذي قال به الكسس أنجلز مثلا حين حدد ثلاث طرق لتعريف علم الاجتماع وهي: الطريق التاريخي والطريق الامپيريقي والطريق التحليلي أو النظري من خلال تحديد موضوع علم الاجتماع وموقعه بين العلوم الأخرى.

وبغض النظر عن تلك الطرق فإننا معنيون بتشكيل تصور واضح للنظام الاجتماعي في الإسلام ، الذي يبدأ بتربية الفرد ، ثم بتنظيم علاقاته مع أسرته ، مرورا بمجتمعه ، ووصولا إلى العالم الذي يعيش فيه ، ويسعى لإسعاده ، والذي يشمل كلا من الأخلاق الاجتماعية كما ذكرنا

---

١. انظر ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، نسخة دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان ، ص ٥ .
٢. ar.wikipedia.org/wiki
٣. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ١ ، ص ٩٨.

والآداب والسلوكيات الاجتماعية و المواثيق الداخلية والخارجية الاجتماعية و القوانين والأنظمة الاجتماعية وكذلك المواريث الاجتماعية إلى غير ذلك مما له مساس مباشر بحياة الناس في تعاملهم مع محيطهم الاجتماعي .

ويركز أكثر الذين تحدثوا في علم الاجتماع ، فيما رجع إليه الباحث ، على السلوكات البشرية كموضوع أساس لعلم الاجتماع .

وباعتبار أن الفرد هو أصغر وحدة في النظام الاجتماعي، المكون للأسرة، والتي تعتبر نواة تكون المجتمعات، فإن علم الاجتماع، أو حتى النظام الاجتماعي في الإسلام اعتنى بهما أيما عناية.

ويجب تسجيل بعض الملحوظات بين يدي تعريف النظام الاجتماعي اصطلاحا :

- إن المجتمع الإسلامي مجتمع مترابط ومتكامل في مبادئه العامة، ومنسجم تماما بين هذا، وبين التفاصيل الدقيقة المنبثقة عنه.
- النظام الاجتماعي يستمد حيثياته من المنظور العام للقرآن الكريم، ولا يخرج عن هذا المصدر قيد أنمله.
- الفرد، والأسرة، والمجتمع، كل ذلك يعتبر مادة من مواد علم الاجتماع.
- العقيدة أساس النظام الاجتماعي في الإسلام ولذلك يتميز النظام الإسلامي بتعريف خاص لكثير من المصطلحات تختلف عن تلك التي لا تنبثق عن النظرة الإسلامية ، ذلك لأن النظام الاجتماعي في الإسلام يتقرر وفق تعاليم الله تعالى وينسجم مع الحكمة الكلية من خلق الوجود كله ، وهو بهذا نظام رباني دقيق وثابت وحقيقي ، له صفة الثبات والصدق ، كيف لا وهو يصدر من حكيم خبير ، على خلاف من تلك النظريات الاجتماعية والتي ينسف فيها متقدمها متأخرها إلا بالنزر اليسير ، وإلا بما يتوافق مع المصالح والرغبات ، هذا مع عدم التقليل من أهمية النظريات الاجتماعية ، وضرورة دراستها والاستفادة منها ، وتوظيفها بما يعين على تجاوز الأخطاء ، ويحقق تراكم الخبرات ، بما لا يتعارض مع النظرة الإسلامية ، من باب أن الحكمة ضالة المؤمن .

ولعل ما ذكرناه عند حديثنا عن الآيات ذات العلاقة بالسياسة وتلك المتعلقة بالاقتصاد يمكن أن نذكره هنا ، من أن القرآن الكريم بعمومه يمكن أن يصلح للاستشهاد بما ينظم علاقة الإنسان الاجتماعية ، من جهة ، ومن جهة أخرى فان الباحث ليس بصدد عرض كل الآيات ذات العلاقة بالموضوع في هذا الفصل .

ولنا أن نقف بعد هذا على أقوال المفسرين على بعض الآيات الكريمة، والتي يعتقد الباحث أن علاقتها وثيقة بالبحث الذي يريد.

أما الآيات الكريمة المتعلقة بالجانب الاجتماعي فيمكن أن نذكر منها ما يوفق الله تعالى إليه :

قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [١] .

وقال تعالى : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [٢] .

وقال تعالى : (لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) [٣] .

قال الله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [٤] .

وقال تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى واليتامى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً) [٥] .

وقال تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [١] .

---

[١]. سورة آل عمران ، الآية (١٠٣) .
[٢]. سورة المؤمنون ، الآية (٥٢) .
[٣]. سورة النساء ، الآية (١١٤) .
[٤]. سورة الزخرف ، الآية (٣٢) .
[٥]. سورة النساء الآية (٣٦) .

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ اليهمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [٢].

وقال تعالى : (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [٣].

ولنا كما هو منهجنا في هذه الرسالة أن نقف على أقوال المفسرين على بعض الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة، ثم نحاول أن نستشرف من خلال أقوال المفسرين القدامى والمحدثين ما يمكن أن يكون عليه مستقبل الأمة الاجتماعي، والله الموفق.

قال الله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [٤].

سيد قطب رحمه الله يرى أن التسخير لا يعني الاستعلاء، استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد، كلا! إن هذا معنى قريب ساذج ، لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد ، كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أو تطور في أوضاع الجماعة البشرية؛ وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء، إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض. ودولاب الحياة يدور بالجميع ، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف ، المقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط له في الرزق ، والعكس كذلك صحيح ، فهذا مسخر ليجمع المال ، فيأكل منه ويرتزق ذاك ، وكلاهما مسخر للآخر سواء بسواء ، والتفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك ، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة ، العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل ، والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل ، وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء ، وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات ، والتفاوت في الأعمال والأرزاق [٥].

---

[١]. سورة الحجرات ، الآية (١٢) .
[٢]. سورة الحشر ، الآية (٩) .
[٣]. سورة التوبة ، الآية (١٠٥) .
[٤]. سورة الزخرف ، الآية (٣٢) .
[٥]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء٦ ، ص ٣٥٢ .

إن النظام الاجتماعي الإسلامي يراعي كل ما من شأنه أن يصب في تقوية بناء المجتمع وإنشائه بشكل قوي ومتين، فهو ينظم كل العلاقات بتناسق عجيب وفذ، ولا يدع مع هذا مجالا للخروج عن هذا التناسق.

والنظام الاجتماعي كذلك يشمل كل عنصر من عناصر المجتمع ، فرداً أو أسرة أو جماعة أو حتى المجتمع بأسره ، كل ذلك برباط متين وعروة وثقى ، فهو ينظم علاقة الفرد مع أخيه الفرد ، وعلاقة الفرد مع الأسرة ، وعلاقة الفرد في المجتمع ككل ، ليصل إلى تنظيم علاقة الإنسان مع الكون ، وبالتالي مع غاية وجوده في هذه الأرض ، مع الله تبارك وتعالى .

استمع إلى النداء الرباني الخالد في تنظيم علاقة الأخ بأخيه، قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [١].

وتأمل قول الله تعالى في النظرة الجديرة بالمجتمع المسلم، والذي يحبه الله تعالى، قال الله تعالى: (ِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) [٢] .

وانظر كيف ينظم العلاقة مع غير المسلمين ، من الذين لم يقاتلوننا ولم يخرجوننا ، كيف أمرنا الله تعالى أن نبرهم ونقسط إليهم ،قال الله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا اليهمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [٣].

والله تعالى بذات الوقت ينظم علاقتنا مع أولئك الذين ناصبونا العداء ، وأعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين ، فهؤلاء على عكس أولئك ، نحن مأمورون أن لا نبرهم ولا نقسط إليهم ، بل أن يكون لنا معهم موقف حاسم في المفاصلة والممانعة والحسم ، بل ووصف الله تعالى من يتولاهم بأنه من الظالمين قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [٤] .

---

[١]. سورة الحجرات ، الآية (١٠) .
[٢]. سورة الصف ، الآية (٤) .
[٣]. سورة الممتحنة ، الآية (٨) .
[٤]. سورة الممتحنة ، الآية (٩) .

إن النظام الاجتماعي الإسلامي يوفر كل مقومات التناغم والانسجام بين كل مفردات الحياة وحيثياته ، كيف لا ، وهو من لدن حكيم خبير ، كيف لا ، والله تعالى سطر في قرآنه من كل مثل للناس حتى لا يركنوا إلى وضعياتهم فيضلوا ويضلوا ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً) [١] .

وقال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القرآن مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً) [٢] .

وقال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) [٣] .

وانظر إلى التعقيب في كل آية من الآيات الثلاث ، هذا الشمول في التشريع والتغطية الكاملة لمتطلبات الكون يقابل من الناس أولا بأن يزيد الكافرين نفورا إلى عنادهم ، وثانيا يأبى أكثر الناس إلا الكفر والعناد ، ذلك لان الإنسان من بين كل المخلوقات أكثر شيء جدلا [٤] .

وما يمنع الناس أن يؤمنوا مع كل هذا البيان ، وهذا الكمال ، ما يمنعهم وهم يغرقون في مستنقعات من الكمد والنكد والضنك في العيش ، أن يعودوا إلى الخلاص من ذلك كله ، وان يرجعوا إلى أنفسهم ، ويستمعوا إلى نداء الفطرة الصافية النقية بضرورة العودة إلى الله تعالى ، والنهل من المعين الصافي الذي لا ينضب ، كلامه سبحانه وتعالى .

إن الناظر في المجتمعات الغربية – اليوم – وخاصة في الجانب الاجتماعي منه يدرك تماماً ويرى بوضوح لا يخالطه غبش ، أن هذه المجتمعات والغارقة في النكد الملازم لكل ناحية من نواحي حياتهم ،ليست مؤهلة ولا بحال من الأحوال للبقاء والثبات والدوام ، بل إن مصيرها واضح إلى زوال حتمي وشيك ، ذلك لأن النظام الاجتماعي - إن جاز أن عندهم هذا – لا يقوم على أسس من العدالة والمنطق ، بل إن شريعة الغاب تكاد تتملك حياتهم ، فالقوة ، والقوة فقط هي المعيار ، والمال ، والمال فقط هو المتكلم ، ولقد رأينا في مجتمعاتهم – وسمعنا – عن ذلك الذي يصبح غنيا بين عشية وضحاها ، أو يصبح صاحب سلطة ونفوذ لا لمؤهل سوى التسلط

---

[١]. سورة الإسراء ، الآية (٤١) .
[٢]. سورة الإسراء ، الآية (٨٩) .
[٣]. سورة الكهف ،الآية (٥٤).
[٤]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ٦، ص ٣١٩٩ .

والقدرة الفائقة على الكذب والمداهنة والمراوغة ، ومثل هذا لا ينفع في مجتمعاتنا ولا يسمح بمثله ديننا الحنيف .

الفرد في المجتمع الغربي يوزن بالمال فبقدر ما يحمل من هذا المال تكون قيمته ، ويوزن تارة أخرى بالبطش والتكبر والجبروت ، وبقدر ما يملك من هذا كله تكون مكانته ، وبذلك فان الفقير تقريباً لا حقوق له في المجتمعات الغربية ، والضعيف محروم من كل ما هو إنساني ، في حين نرى في مجتمعاتنا الإسلامية الناس يتبارون في إنشاء المؤسسات والجمعيات الخيرية الكافلة للأيتام والفقراء ، ولقد اتهمت مرة وأنا في موسكو بالجنون عندما أعطيت لفقير مشرد أحزنني حاله مائة روبل ، حيث فوجئت من أحد الروس بأنه يتهمني بأنني لا أعرف ماذا أفعل ، وأن ما أقوم به من التفريط بالمال وهو ضرب من الجنون ، في حين ترى الناس في المجتمع الإسلامي يتهمون الغني الذي لا ينفق من ماله على الفقراء والمحتاجين بأنه بخيل ، بل إن الأمر تعدى أكثر من ذلك فبات في ديننا أن للفقير حقاً في مال الأغنياء ، دون منة أو كبر وأن المانع للزكاة والمنكر لفرضيتها ، يكون خارجاً من الملة ، باعتبار أنه أنكر ركناً من أركان الإسلام ، ومعلوم من الدين بالضرورة ، وشتان بين مجتمع هذا حاله ، ومجتمع ذاك حاله .

والأسرة في المجتمع الغربي لا تقل تعاسة عن الفرد فيها ، وحالها التفكك والتشرذم ، فالأب ليس مكلفاً بأن يربي ابنه إلا تلك التربية التي تضمن له الحياة أية حياة ، وهو مسؤول عنه في الغالب حتى يبلغ سناً معينة بعدها يتركه نهباً للحياة وصعوبتها ، والأدهى والأمر أن ينطبق هذا على الشاب والفتاة ، فترى الفتاة بعد سن معينة ترمى في خضم الحياة دون حصانة أو عناية ، فتكون نهبا للغيلان البشرية ، مضطرة أن تفعل كل ما يخطر على البال أو حتى لا يخطر من أجل البقاء والعيش ، ونجد أن المجتمعات الغربية تستحدث يوما للأم تستمطر فيه الزيارة من أولادها ، في حين أن أحدنا في المجتمع الإسلامي لا يدخل الجنة إلا برضى والديه ، قال الله تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) [١] .

والمجتمع الغربي برمته كذلك ، ليس بأفضل حالا من الأفراد والأسر فيه ، فهو قائم على التسلط والطغيان ، ويفرض ما يريد من خلال ما يملك من أدوات البطش والدمار ، وليس من خلال الحوار والتفاهم ، ونحن نرى أمريكا اليوم أكبر مثال على هذا الطغيان والتكبر

[١]. سورة الإسراء ، الآية (٢٣ – ٢٤) .

والجبروت ، فهي تتدخل هنا وهناك ، وتضرب هنا وهناك ، لا لشيء إلا لأنها تملك مقومات البطش والدمار ، وهي تفرض فرضاً بسلطان البطش؛ ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة ، في حين أننا عندما ملكنا هذه الدنيا قرونا نشرنا العدل والمحبة والتسامح ، وكان الشعار الذي يتعبد المسلم بتلاوته ، قوله تعلى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[١] .

ولما اتضحت الدلائل لكل عالم وجاهل، كما يقول البقاعي رحمه الله ، صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف لنفسه إلى إكراه [٢] ، نعم لا إكراه في الدين ، لان الإكراه يترتب عليه عدم الحب وعدم الإخلاص وعدم الولاء .

يقول الزمخشري رحمه الله في كشافه إن الله تعالى لم يجر أمر الإيمان على الإجبار والقسر ، ولكن على التمكين والاختيار [٣] .

ولحقي رحمه الله أن المعنى لا إجبار في الدين لأن من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم لوضوح الحجة [٤].

وللشيخ سعيد حوى رحمه الله تعالى أنه لا يجوز إكراه أحد للدخول في دين الإسلام ، لأنه دين بين واضح ، وجلية دلائله وبراهينه ، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام ، وشرح صدره ، ونور بصيرته ، دخل فيه على بينة ، وهذا هو المطلوب ، وإلا فلا حاجة لمن أعمى الله تعالى قلبه ، وختم على سمعه وبصرة أن يدخل في الإسلام مكرها مقسورا [٥] .

وفي هذا المبدأ (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) يتجلى تكريم الله للإنسان؛ واحترام إرادته وفكره ومشاعره؛ وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه ، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني ،التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة؛ لا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله - باختياره لعقيدته - أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية ، وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها؛ فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا - وهو

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (٢٥٦) .
[٢]. انظر برهان الدين أبو الحسن البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٩٨٥، جزء ١ ، ص٤١٤ .
[٣]. انظر الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٧ .
[٤]. انظر حقي ، تفسير حقي، مصدر سابق ، جزء ٢ ،ص ٥٩ .
[٥]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ١ ،ص ٦٠٠ .

يحرمه من الإيمان باله للكون يصرف هذا الكون - وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب [١] . وشتان بين مجتمع هذا حاله ومجتمع ذاك حاله .

والنظام الاجتماعي الإسلامي يقوم على أساس من الاعتراف بالآخرين ، وأنهم من مصدر واحد ، من ذكر وأنثى ، والدعوة إلى التعرف عليه وتعريفه بمنهاج الله تعالى في الكون والحياة ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٢] .

ونحن نجد في سور شتى من القرآن الكريم تنظيمات قرآنية للجوانب والمقومات التي يقوم عليها النظام الاجتماعي في الإسلام، وليست سورة النور إلا واحدة من هذه السور التي تنظم العلائق الأسرية الأساسية المكونة للمجتمعات.

إن العلاقة بين الأفراد في المجتمع المسلم قائمة على أسس متينة ، فالمسلم في المجتمع الإسلامي لا يظلم أخاه المسلم ، ولا يخذله ، ولا يعيبه ، ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ، ولا يؤذيه حتى بقتار قدره ، ولا يسبه ولا يشتمه ، ولا يتكبر عليه ، ولا يسلمه للهموم والمشكلات بل يعينه ويقف إلى جانبه في كل ما يستطيع، بل إنّ الذي يمشي في حاجة أخيه المسلم يمشي الله تعالى في حاجته يوم القيامة ، ومن ينفس عن مؤمن كربة ويفرج عنه هما نفس الله تعالى وفرج عليه كربة من كرب يوم القيامة وهما من همومها ، وهكذا فالمسلم معني بأخيه المسلم في النظام الاجتماعي الإسلامي ، ولنا أن نتصور كيف يكون المجتمع إذا كانت حالة أفراده كذلك ، والجواب متوفر في النظرة الخاطفة إلى الرعيل الأول الذين تآخوا في الله تعالى أخوين أخوين .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى عن مثل هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق، يظل في جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية! هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره، ثم ظل يحققه في صور شتى على توالى الحقب، تختلف درجة صفائه [٣].

ومما يترتب على هذه الأخوة في هذا المجتمع أيضا أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة [٤] .

---

[١]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ،مصدر سابق، جزء ١ ، ص ٢٧١ .
[٢]. سورة الحجرات ، الآية (١٣) .
[٣]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء١ ، ص ١٨٦ .
[٤]. انظر المصدر السابق ، جزء ٦ ،ص ٤٩٨ .

إن المجتمع المسلم تحكمه أنظمة وإجراءات عملية في مواجهة كل الأحداث من خلاف ومشكلات وفتن ، تؤثر في كيانه ، كل ذلك تحت شعار عملي ينبثق من قاعدة الأخوة بين المؤمنين ، والمحبة التي أرادها الله تعالى بينهم ، وذلك كثمرة من ثمرات الإيمان بالله تعالى ، والحرص على رضاه .

وللمسلم الحق في الفخار بهذا الدين وبنظامه الاجتماعي ، كيف لا وهو يرى التشريع الدقيق والربط العجيب بين رضى الله تعالى وقبوله للعبد ، ومحافظة العبد على صلة الرحم ، ويصل الأمر إلى أن يقضي الله تعالى أنه سيصل من وصل الرحم ويقطع من قطعها ، وجعل سبحانه الربط واضحا بين قطع الأرحام والإفساد في الأرض قال الله تعالى : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) [١] .

وبعد هذا العرض السريع للآيات الكريمة ، والعرض الموجز لبعض أقوال المفسرين ، والوقوف على الدروس والعبر ، يمكننا ونحن نستشرف المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية أن نضع بعض الملحوظات الهامة ، والمستخلصة والمستنبطة من وقوفنا على الآيات الكريمة آنفة الذكر وأقوال المفسرين ، فنقول والله المستعان :

- إن استشراف المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية من الأهمية بمكان بحيث يكون لزاما على علماء الأمة الإسلامية أن يقفوا مليا عنده ، وان يولوه الأهمية التي يستحقها ، في إطار المشروع العملي لمستقبل ونهضة الأمة الإسلامية.
- إن الجانب الاقتصادي يمثل مع الجانبين السياسي والاجتماعي دعامة أساسية في بناء أي مجتمع ، وهذا بالتالي يرتب على شعب ذلك المجتمع أن يحاولوا امتلاك أدواته وأساليبه الكفيلة بتوفيره دون الحاجة إلى اللجوء إلى هنا أو هناك .
- يتميز النظام الاجتماعي الإسلامي بميزات تؤهله للنجاح والبقاء ، ذلك لأنه وكما ذكرت سابقا من خلال كونه نظاما ربانيا ، وشاملا ، ومراعيا لكل الظروف وموازنا بين العلاقات بين جميع الأفراد فيه من فرد وأسرة ومجتمع .
- الآيات القرآنية الكريمة ذات العلاقة والصلة بالموضوع الاجتماعي – وكما ذكرنا في الجانبين السياسي والاقتصادي - بشكل مباشر أم بشكل غير مباشر ، تصلح في مجموعها لأن تمثل نظاماً اجتماعياً متكاملاً ، إن أحسن العلماء استخراجها ودراستها ، والربط بينها من جهة وبين الآيات الكريمة الأخرى من جهة ثانية ، ذلك لأن القرآن الكريم يمثل في مجموعه وحدة واحدة ، يخدم هدفاً كلياً واحداً ، يتقرر من خلاله تحقيق عبودية العبد لخالقه سبحانه .

---

[١]. سورة محمد ، الآية (٢٢) .

- هناك ربط واضح بين السياسة والاقتصاد والاجتماع وأنها جميعا تمثل الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها المجتمع الذي يراد له البقاء والثبات .
- ما يبدو لنا هذه الأيام من استعلاء الكفار وامتلاكهم لكل مقومات الحياة المادية ، لا يعني بحال أنها مجتمعات سعيدة ، بل إن الذي ينظر إليها من الداخل يرى كم هي تعيسة ونكدة بالرغم من كل ما تمتلكه ، ذلك لأن نظامها الاجتماعي وكما ذكرت سابقا لا يقوم على أية أسس إلا تلك الأسس الظالمة الجائرة ، والتي تنبع من مصلحة واضعيها دون اعتبار للغير ولمصلحة الجماعة . ويصلح أن نذكر هنا بقول الله تعالى:(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) [١] .
- إن استشراف المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية من منظور القرآن الكريم ، واضح وبين فالآيات الكريمة شاملة تغطي كل ما يحتاجه المسلم في حياته الاجتماعية ، وكافية بالقدر الذي يغني عن استجداء الحلول والنظريات الغربية والغريبة ، والتي تبتعد في مضمونها وجوهرها عن حكمة الإسلام وروحانيته وفلسفته ، وغاية خلق الإنسان ، ذلك لأن المنطلقات مختلفة ، والوسائل والأساليب متباينة .
- يؤكد الباحث من خلال استرشاده بالآيات الكريمة أن لا خروج للعالم من مأزقه الاجتماعي إلا بالرجوع إلى شرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ذلك لأن الله تعالى هو خالق هذا الكون وهو وحده الأعلم والأحكم بما يصلحه ويصلح له ، والمستقبل من خلال ذلك سوف يكون بإذن الله تعالى للنظام الإسلامي إن أحسن المسلمون عرضه وصياغته بما يتناسب مع متطلبات الحياة العصرية .
- ويستطيع الباحث أن يؤكد هنا – كما فعل سابقا عند الحديث عن الجانبين السياسي والاقتصادي - أن النظريات لاجتماعية الوضعية المختلفة قد عجزت كليا عن إيجاد الحلول لمشكلات العالم الاجتماعية ، بل يمكن أن نزعم هنا أن هذه النظريات الاجتماعية الحديثة عمقت الفجوة وزادت الشرخ الاجتماعي بين الناس في المجتمع الواحد ، فصار القرار بيد ثلة على حساب الآخرين ، حيث صاروا يتحكمون بتوجهات الناس وقراراتهم .
- وعليه فان المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية مرهون كما ذكرت بالعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وحسن التعامل مع هذه التوجيهات وفق إرادة الله تعالى ، والتاريخ الإسلامي الذي بدأ بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام ، ومن سار

---

[١]. سورة الأنعام ، الآية (٤٤) .

على النهج القويم مليء بالأدلة والشواهد القاطعة التي تدل على أن الإسلام بما يحمل من نظريات اجتماعية كفيل بإخراج العالم من أزماته ونكباته .

- ولذلك كان لا بد من دراسة النظام الاجتماعي في الإسلام دراسة شاملة ولا بد من التعمق في هذه الدراسة ، حتى توضع الحلول والمقترحات المناسبة لمواجهة المشكلات والتحديات .

إن القرآن الكريم بكل آياته يمثل حلا وعلاجا لكل مشكلات العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الجوانب ، فهو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وصدق الله العظيم : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [١] .

وهو سبحانه وتعالى يقرر في هذا القرآن الكريم كل ما يحتاجه الإنسان في حياته ، ضمن تصور شامل وأسس عامة ، يمكن لمن يدرك الحكمة ممن قذف الله في قلوبهم النور أن يستلهم المعاني التي تنير الدرب وتوضح الطريق ، وتستشرف المستقبل ، فلا يحار حيث يحار الآخرون ، ولا يقف مشدوها أمام تطورات الحياة ، بل يستطيع إن هو اتقى الله تعالى ونهل من علم الله تعالى ، قال الله تعالى : (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ) ، أقول يستطيع من أوتي العلم والحكمة ، ومن أوتيهما فقد أوتى خيراً كثيراً ،أن يرسم صورة واضحة للمستقبل وفق المنظور القرآني .

نحن اليوم –كما ذكرت سابقاً ودائماً – مدعوون لامتلاك أدوات المعرفة ومتطلبات التفسير ، أن نتقي الله تعالى أولاً ليكون لنا نور ، قال الله تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) [٢] .

إن المستقبل السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغير ذلك من الجوانب ، لن يكون إلا للنظام الإسلامي ذلك لأن الأنظمة الوضعية قاصرة عن إدراك حاجات البشر في عصر من العصور وفي مكان واحد من الأمكنة ، فكيف يتسنى لها أن تنظّر للعصور المختلفة وفي الأزمنة المتعددة ، ذلك لا يكون إلا لله تعالى .

إن تنظيم أمر هذا الكون بيد الله تعالى ، وبيده سبحانه وحده ، لا ينبغي لأحد غيره ، ولو اجتمعوا ، وإن الاختلاف بين الناس في أنظمتهم الوضعية واضح وبين ، وأقل ما يمكن أن

---

[١]. سورة الملك ، الآية (١٤) .
[٢]. سورة النور ، الآية (٤٠) .

يقال فيه أنه كلما جاءت أمة من الأمم لعنت الأمة التي كانت قبلها واتهمتها بالجهل والضلال والتيه ، وتدعي بأنها هي التي بيدها الحل والنجاة، ولكن سرعان ما تجد نفسها تتخبط في الجهل والضلال الذي نسبته إلى غيرها وأغرقت المجتمع في متاهات جديدة بالإضافة إلى تلك التي سبقتها .

ويستطيع الباحث أن يؤكد ، بكل ثقة ، أن الحل الوحيد للخروج من أزمات الناس في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو فقط بالتعامل والرجوع إلى القرآن الكريم ، واستلهام كل الأنظمة والتشريعات التي قررها ووضعها موضع التطبيق والتنفيذ ليعيش الناس في بحبوحة ورغد من العيش وبالتالي تنعم البشرية بمزيد من الأمن والأمان في ظل الإسلام العظيم .

إن المجتمعات الغربية ، وأقصد هنا – وحيثما وردت - المجتمعات غير الإسلامية ، ولا أعني الجهة ،غارقة بكل أسباب الشقاء والتعاسة ، ولا يغرنك أيها الناظر من الخارج أنها تعيش في بحبوحة ، ويكفي أن نشير هنا إلى أن الإنسان في تلك المجتمعات لا يأمن على نفسه أو أولاده أو عائلته من القتل والسلب والاعتداء إن هو غفل عنهم لحظات ، ويكفي كذلك أن أشير مثلا إلى أن السويد والتي تعتبر أغنى دولة في العالم من حيث دخل الفرد فيها ، تعتبر نسبة الانتحار فيها من أكثر الدول في العالم كذلك .

والباحث لا يستطيع أن يذكر كل آية كريمة ذات علاقة وصلة بالمبحث المطروح، من حيث بيان أقوال المفسرين منها وأقوال العلماء حولها، ولكنها محاولة لاستشراف بعض الآيات الكريمة والتي يراها الباحث أنها اقرب للوصول إلى ما يريد.

غير أن الباحث هنا معني أن يذكر أن عملية استشراف المستقبل ليست سهلة وميسورة دون بذل الجهد والطاقة في استنطاق الآيات الكريمة واستخلاص الدروس والعبر منها، والربط بينها للوصول إلى استشراف اقرب للحق والحقيقة.

وفي ختام هذا الفصل يجد الباحث أنه مضطر لتسجيل بعض الملاحظات الهامة والتي قد تغطي بعضاً من النقص الذي يتعرض له البحث:

فيما يتعلق بالمستقبل السياسي للأمة ، فإن الباحث يؤكد ومن خلال ما استعرض من الآيات الكريمة بأن المستقبل لن يكون إلا لهذا الدين ، والشواهد كذلك كثيرة وعديدة ، نذكر منها على سبيل التذكير- بالإضافة إلى ما سبق - :

قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [١] .

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً) [٢] .

وقال تعالى :(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [٣] .

وقال تعالى:(...وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [٤] .

وقد ورد في المواقع المتخصصة في مجال الأعداد في القرآن الكريم أن عدد آيات النصر في القرآن الكريم تزيد على ٧٠ آية [٥] .

ومن حكمة الله تعالى وعظيم تقديره سبحانه أن تكون آخر سور القرآن الكريم نزولا هي سورة النصر ، وفي هذا ما فيه من دلالات وإشارات وحكمة ومعنى يجب أن لا يخفيا على أحد ، كلها تصب في التأكيد على النصر سيكون من نصيب الأمة الإسلامية ولو بعد حين ، وان موعد أعداء الله تعالى الصبح ، أليس الصبح بقريب ؟ .

ولنا أن نقف ملياً عند قوله تعالى : (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ) [٦] ، لندرك أن النصر آت ، وانه مع الصبر والثبات والتضحيات ،ذلك تقدير الله تعالى ولا محيد عن إرادته فهي الغالبة والمهيمنة .

يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية الكريمة (إن موكب الدعوة إلى الله موغل في القدم ، ضارب في شعاب الزمن ، ماض في الطريق اللاحب ، ماض

---

[١] . سورة التوبة الآية (٣٣) .
[٢] . سورة الفتح ، الآية (٢٨) .
[٣] . سورة غافر ، الآية (٥١) .
[٤] . سورة الحج ، الآية (٤٠) .
[٥] . انظر /www.islamword.com
[٦] . سورة الأنعام ، الآية (٣٤) .

في الخط الواصب ، مستقيم الخطى ، ثابت الأقدام ، يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل ، ويقاومه التابعون من الضالين والمتبوعين ، ويصيب الأذى من يصيب من الدعاة ، وتسيل الدماء وتتمزق الأشلاء ، والموكب في طريقه لا ينحني ولا ينثني ولا ينكص ولا يحيد والعاقبة، هي العاقبة، مهما طال الزمن ومهما طال الطريق، إن نصر الله دائماً في نهاية الطريق) [١] .

ويكمل ذلك ويوضحه ويحدد معالم النصر فيه ، قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ) [٢] .

ولا أستطيع كما ذكرت سابقاً أن أستعرض كل الآيات الكريمة ذات العلاقة بالتفصيل والشرح والبيان ، بل إنني أكتفي بما ذكرت تاركاً لي ولغيري المجال للتوسع في هذا الموضوع والتخصص فيه وتفصيله ، ربما إن شاء الله تعالى في موضع آخر .

أما عن استشراف المستقبل الاقتصادي للأمة الإسلامية ، فأقول مثل ما قلت سابقاً ، غير أنني أؤكد هنا أن المستقبل للاقتصاد الإسلامي لما يتميز به من شمولية ومصداقية ومرونة ، والتاريخ والواقع يشهدان لهذه النتيجة ، فالتاريخ يثبت أن الأمة عندما تمسكت بتعاليم ربها أكلت من فوقها ومن تحتها ، وعندما ابتعدت عن كتاب ربها غاصت في الشقاوة والتعاسة ، ويكفي أن اذكر هنا مبدأ واحدا من مبادئ الاقتصاد الإسلامي إذا ما أحسن تطبيقه والتعامل معه بجدية ، كان كفيلا بإخراج الناس مما هم فيه من شقاء وتعاسة ، ذلكم هو مبدأ الزكاة ، وليس المقام هنا مقام تفصيل وبيان ، بل ينصح هنا بالجوع إلى ذلك من مظانه .

قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إليهم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ)[٣] .

والعبرة كما هو معروف بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلو أننا رجعنا إلى الله تعالى لتحققت فينا نتائج هذه الآية الكريمة، وصدق الله العظيم.

إن الاقتصاد الشيوعي قد مات ودفن في دياره ، وان الاقتصاد الرأسمالي يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أو يكاد ، فالرأسمالية لم تجلب للعالم إلا الشقاء والتعاسة ، ولا يعيش من يدعيها بسعادة

---

[١]. سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٣ ،ص ١٨ .
[٢]. سورة البقرة ، الآية (٢١٤) .
[٣]. سورة المائدة ، الآية (٦٦) .

كما يدعى ، بل يعيش في تسارع وسباق مع الزمن فاقدا للأمن والطمأنينة ، حتى يتسنى له العيش والبقاء ، والناظر في المجتمعات الغربية يرى عمليا صدق ما نقول .

وعليه ، فلم يبق إلا الاقتصاد الإسلامي وحده بإذن الله تعالى الكفيل بإنقاذ البشرية ، ونقلها إلى بر الأمن والأمان .

ولنا أن نذكر بعضاً من الآيات الكريمة – بالإضافة إلى ما سبق – لتكون شاهدة على عظمة التشريع في الاقتصاد المؤهل لقيادة الناس وإنقاذهم ، من ذلك:

قال تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [١] .

وقال تعالى : (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أليما)[٢] .

وقال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [٣] .

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تشكل في مجموعها نظاماً اقتصادياً مؤهلاً لإدارة الناس والعيش فيهم بأمن وسلام ، وكما ذكرت ليس المجال هنا للتفصيل والبيان بقدر ما هي علامات ومؤكدات في أن الحل الوحيد والمخرج الأوحد لكل ما تعانيه البشرية في مجالها الاقتصادي هو الحل الإسلامي .

---

[١] . سورة البقرة ، الآية (٢٧٥) .
[٢] . سورة النساء ، الآية (١٦٠ –١٦١) .
[٣] . سورة آل عمران ، الآية (١٤) .

إن مقومات الحل في هذه الحالة في يد الإسلام، وفي يد الإسلام فقط لأنه الدين الوحيد الذي جاء بأشمل و أبقى وأرقى وأروع النظم التكافلية العادلة المنضبطة والتي تعمل على تنظيم كل حيثيات التعامل المالي والمعيشي بين الناس، وبالتالي تحقق التكافل والعدالة الاجتماعيين .

وما قيل عن المستقبل السياسي والاقتصادي يقال وبكل قوة عن المستقبل الاجتماعي ، فالمستقبل للتشريع الإسلامي العادل في المجال الاجتماعي ، فهو نظام يحترم الفرد والأسرة ، وينظم العلاقات بين مفردات الكون كله وفق منظور القرآن الكريم ، والذي يتميز بالشمولية والعدالة ، فهو من عند الله تعالى ، وكفى بالله تعالى هاديا ومعينا .

الأمن والأمان الاجتماعيان لا يتحققان إلا وفق المنظور القرآني ، وكل النظريات الخارجة عن هذا نظريات فاشلة لا ترقى لأن تدوم وسرعان ما يبين تهافتها وسقوطها ، فهي قاصرة صادرة عن قاصر ، وهي ناقصة صادرة عن ناقص ، أما تعاليم الله تعالى فهي الكاملة لأنها تصدر عن الكامل العالم بكل شيء ، والمهيمن على كل شيء سبحانه .

وإذا عرفنا أن الإنسان هو محور علم الاجتماع فإن الآيات الكريمة إنما جاءت لهذا الإنسان بما ينفعه ويصلح من أمره.

ولنا أن نذكر بعضاً من الآيات الكريمة – بالإضافة إلى ما سبق – لتكون شاهدة على عظمة التشريع في المجال الاجتماعي المؤهل لقيادة الناس وإنقاذهم، من ذلك:

قال تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) [١].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [٢].

---

[١]. سورة الإنسان ، الآية (١ – ٣) .
[٢]. سورة المائدة ، الآية (٢) .

وقال تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاليه أُنِيبُ) [١].

وقال تعالى : (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [٢].

والآيات الكريمة متوافرة في تنظيم العلاقات بين الناس مع الناس من جهة وبين الناس مع خالقهم من جهة أخرى ، وغير ذلك من العلائق ، وهذه الآيات بمجموعها تمثل نظاما اجتماعيا متكاملا مؤهلا للبقاء والثبات والقيادة والنجاح ، والله الموفق .

هذا ما وفقني الله تعالى إليه في هذا المبحث الصعب والمتشعب ،وما هي إلا محاولة من أجل الاستشهاد بأن الأمر كله بيد الله تعالى وأنه لن يصلح أمر هذه الأمة في آخرها إلا بما صلح به أولها ، فان أحسنت فمن الله وحده لا شريك له ، وإن أسأت وقصرت – وأظنها كذلك – فمن نفسي ومن الشيطان ، فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه ، على أن أكرس الجهد في القابل من هذه الدراسة لاستكمال ما يمكن استكماله من نقص وما أكثره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

[١]. سورة هود ، الآية (٨٨) .
[٢]. سورة التوبة ، الآية (١٠٥) .

الفصل الثالث

مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم، وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المقومات (الدينية) الروحية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدين الإسلامي

المطلب الثاني:العلم

المطلب الثالث: التاريخ

المبحث الثاني: المقومات المادية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإنسان (الخليفة)

المطلب الثاني : الإمكانات والثروات الهائلة

مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم

تمهيد

خلص الباحث فيما مضى من الدراسة إلى التأكيد على أهمية وضرورة عملية استشراف المستقبل ، وأصّل من خلال استعراضه لبعض الآيات الكريمة إلى مجموعة من الحقائق التي ينبغي أن لا يخالج فيها المؤمن أدنى شك فيما يتعلق بالمستقبل السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي للأمة الإسلامية ، وبين من خلال العديد من الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة حتمية هيمنة النظام الإسلامي وانتصاره للأسباب التي تم ذكر بعضها فيما مضى.

ويرى الباحث أنه من تمام الفائدة وضرورات الدراسة أن يفرد فصلاً خاصاً يذكر فيه مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، ومدى توافر هذه العوامل في الأمة الإسلامية ، ليضاف إلى ما سبق دليل عملي ملموس وواقعي بحتمية الحقائق التي توصل إليها الباحث فيما مضى من الرسالة .

ويعتقد الباحث أن المسلمين هم الوحيدون الأقدر على صناعة المستقبل وقيادة العالم بركنيه المادي والمعنوي ، فإذا كان الآخر قادر على صناعة العالم المادي والبروع فيه والوصول فيه إلى قمة العمران والتكنولوجيا ، فهو قاصر من ناحية ثانية على ملء الفراغ الروحي الذي يتبع

تلك المادية المحضة ، وإذا كان البعض قادرا على صياغة نظريات يسميها روحية مركزا من خلالها على الجانب المعنوي ، غافلاً عن حاجات الإنسان المادية ، فإن الإسلام قد استطاع أن يراعي ذلك كله ، وأن يقرر للجانب المادي ما يجعله في أوجه ، من حيث أن العمل عبادة والإتقان قربة إلى الله تعالى ومن باب أن الإنسان مدعو لعمارة الأرض كأنه يعيش فيها أبدا ، ومن جانب آخر فان الإسلام حرص كل الحرص على الجانب الروحي للإنسان فشرع له كل ما من شأنه أن يسمو بروحه ويعتقها من ماديتها ، وهو بهذا – الإسلام – الأجدر والأوحد القادر على صناعة المستقبل وقيادة البشرية .

ثم إن التاريخ البشري يشهد على هذا ، فعندما يطبق الإسلام وتنفذ تعاليم الله تعالى على العباد تجد الازدهار والعمران وتجد السمو الروحي والأخلاقي ، وما الرعيل الأول من المسلمين عنا ببعيد ، وما خلافة عمر بن عبد العزيز عنا ببعيد ، بل قل إننا نسمع خطوات العزة والفخار والسمو في زمن صلاح الدين رضي الله عنه ، وأقرب من ذلك كله ، مجدنا التليد في الأندلس ، وقرطبة خير شاهد وما أدراك ما قرطبة ، حيث كنا قبلة العالم في العلم والتطور والازدهار .

وهذه الأمة تمتلك كل مقومات بناء المستقبل ، فهي تمتلك ، كما يقول الدكتور محمد عمارة ، في كتابه القيم الإسلام هو الحل لماذا وكيف ، تمتلك الوحي الصحيح الوحيد بين الكتب السماوية ، والعقيدة الواحدة التي وحدت الأمة على امتداد قرون تاريخها ، والشريعة الإلهية الواحدة ، التي وضعها الله تعالى معالم للمنهاج الإسلامي تحفظ للمسلم استقامة الصراط ،، وتملك الحضارة الإسلامية الواحدة ، التي اصطبغت بصبغة الإسلام ، فتميزت عن غيرها من الحضارات ، وهي تمتلك عقيدة في الجهاد تجعل عزة المسلم من عزة الله تعالى ، وتملك تراثا غنيا تعلمت منه حضارات الدنيا ، وتملك أرضاً ووطنا واسع الأرجاء ، موصول الأقاليم والأقطار ، وفي هذه الأرض أوفر وأثمن ثروات الدنيا ، وعلى أرض هذا الوطن وامتداده تعيش أمة واحدة ، وحدتها العقيدة والشريعة والحضارة والقيم والأخلاق ، كل هذا وغيره من المقومات التي لم ولن تتوافر لأمة من الأمم غير أمة الإسلام ، فهي بهذه الأجدر والأقدر على بناء المستقبل وصياغته لما فيه خير البشرية [١] .

ولذلك فإننا عندما نقول بأننا الأجدر والأقدر على صناعة المستقبل والمضي بالبشرية إلى بر الأمان ، فنحن لا ندعي ادعاء بلا دليل ، ولا نقول كلاما بلا شواهد .

وعليه فلست معنياً هنا في هذه الدراسة بما توصل إليه فوكوياما وبما يدعيه ، ولا فيما يدعو إليه صامويل هانتنجتون في كتابه المعروف باسم صدام الحضارات ، حول نهاية التاريخ من أن الصراع حول المستقبل وصياغته قد انتهى لصالح الغرب بحسب فوكوياما، ويجب

[١]. انظر الدكتور محمد عمارة، الإسلام هو الحل ، لماذا وكيف ، نسخة دار الشروق ، ط١ ،١٩٩٥ م ، ص ٨ .

علي الغرب الاستعداد من الآن لصدام المستقبل هذا ، بل العمل على إجهاض قوة الحضارات الأخرى ، خاصة الإسلامية قبل أن تكتمل ، بحسب هانتنجتون ، وأن المستقبل سيكون من صنعهم هم حيث يخلص فوكوياما إلى أن التاريخ قد انتهى وأن المستقبل لن يكون إلا من صنعنا ، ومن أن نهاية التاريخ تقوم على مقولة أن الديموقراطية الليبرالية الرأسمالية هي الشكل الأرقى لنهاية تطور تاريخ الاقتصاد السياسي وبالتالي فان الإنسان بحسبانه حيوانا سياسيا يصبح في عالم الديموقراطية الليبرالية الرأسمالية هو الإنسان الأخير! حيث «اقتصاد السوق الرأسمالي» هو المحرك للتاريخ المغلق على نهايته الحتمية! فهذا ادعاء ليس في محله ، وإن كان له حجمه عند المقتنعين بأفضلية الإنسان الأصفر ، إلا أننا نحن – المسلمون – بما أوتينا من إمكانات ومؤهلات أقدر رغم أنف فوكوياما وهانتنجتون ومن تبعهم على هذا الحسم ، والأجدر لان نكون نحن الصناع والأخير .

" وهذه الجدارة لم تأت من فراغ ولا ادعاء هكذا من دون دليل ، ذلك أن الإسلام ضمن للبشرية أعلى أفق في التصور ، وأقوم منهج في الحياة ، فهو يدعو البشرية كلها أن تفيء إليه ، وما كان تعصباً أن يطلب الإسلام وحدة البشرية على أساسه هو لا على أي أساس آخر؛ وعلى منهجه هو لا على أي منهج آخر؛ وتحت رايته هو لا تحت أية راية أخرى ، فالإسلام يدعوك إلى الوحدة في الله ، والوحدة في الأرفع من التصور ، والوحدة في الأفضل من النظام ، ويأبى أن يشتري الوحدة بالحيدة عن منهج الله ، والتردي في مهاوي الجاهلية ، ومن كان هذا منهجه ليس متعصباً أو هو متعصب ،ولكن للخير والحق والصلاح " [١] .

ويمثل الصراع بشأن المستقبل وامتلاك مفاتيح الولوج إليه كما يقول سعد سلوم في مقاله له في جريدة الصباح المنشورة على صفحات الإنترنت [٢] في مقال له تحت عنوان عصر صناعة المستقبل إستراتيجية الانعتاق من فوضى القرن الحادي والعشرين ، يمثل الشغل الشاغل للسياسات العالمية في القرن الحادي والعشرين فهذا كتاب فوكوياما عن نهاية التاريخ يعكس ذلك الغرور الأيديولوجي بشأن الانتصار في معركة الحصول على المستقبل ذلك أن التاريخ قد انتهى والمستقبل لن يكون إلا من صنعنا ، تلك هي الصيغة التي تعكس الظفر بصك المستقبل، موقعا على بياض .

إن القرآن الكريم – وكما مر – يحرص كل الحرص على بناء الإنسان وعمارة الأرض ، مراعيا كل ما من شأنه أن يقيمهما على أسس ومقومات أصيلة وراسخة ، كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولنا أن نتذكر ونذكر بأن الله تعالى قبل أن يخلق الإنسان قرر له المهمة والغاية التي خلقه من أجلها ، فالمهمة هي الخلافة ، والغاية هي العبادة ، ففي الأولى

---

[١]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ،ص ٩٨ .

[٢]. www.alsabaah.com

يقول الله تعالى : (وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[١] .

وفي الثانية يقول تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [٢] .

والخليفة الفعيلة من قولك: خلف فلان فلانًا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده.[٣]

وقد ذكر القرطبي في هذه الآية سبع عشرة مسألة ، وجعل مزيدا للتفصيل فيها في سورة الأعراف ، ومن ذلك أن المقصود بالخليفة هنا هو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره[٤].

وبهذا فان الإنسان هو المكلف بأن يقوم بأوامر الله تعالى في الأرض ويقيمها وفق إرادة الله تعالى وهديه ، وهو بهذا يصلح أن يكون خليفة لله تعالى في أرضه ، وفي هذا تعظيم الله تعالى للإنسان فيكون ذلك إنعاماً عاماً على جميع بني آدم [٥] .

ويرى الإمام الرازي رحمه الله تعالى في غير هذا الموضع أن الخلافة هنا بمعنى الولاية أي أن الله تعالى جعل آدم عليه السلام خليفة له ، وذلك مصداق قوله تعالى : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) [٦] ، ومعلوم والكلام للإمام الرازي أن أعلى الناس منصباً عند الملك من كان قائماً مقامه في الولاية والتصرف ، وكان خليفة له فبلغ آدم في منصب الخلافة إلى أعلى الدرجات فالدنيا خلقت متعة لبقائه والآخرة مملكة لجزائه وصارت الشياطين ملعونين بسبب التكبر عليه والجن رعيته والملائكة في طاعته وسجوده والتواضع له ثم صار بعضهم حافظين له ولذريته وبعضهم منزلين لرزقه وبعضهم مستغفرين لزلاته ثم إنه سبحانه وتعالى يقول مع هذه المناصب العالية : (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) [٧] .

وإذن فهي منزلة عظيمة ، كما يذكر سيد من إيحاءات الآية الكريمة ، منزلة هذا الإنسان ، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة . وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم . وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود ، زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين ، والتحليل والتركيب ، والتحوير

---

١. سورة البقرة ، الآية (٣٠) .
٢. سورة الذاريات ، الاية (٥٦) .
٣. محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٥٣ .
٤. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ٢٦٣، وانظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٤٤٢ .
٥. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص٤٣٦ .
٦. سورة ص الآية (٢٦) .
٧. سورة ق الآية (٣٥) . وانظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ١٦ .

والتبديل؛ وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه ، وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة ، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات؛ ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية [١].

فالإنسان بهذا المعنى ووفق هذا المنظور مؤهل لخلافة الله تعالى في الأرض ، وهو بهذا مهيأ لتحمل تلك التبعة ومعان عليها إن اتبع وأطاع .

لقد نفخ الله تعالى من روحه في هذا الكائن البشري، لأن إرادته اقتضت أن يكون خليفته في الأرض؛ وأن يتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها له، في حدود العمارة ومقتضياتها من قوى ومعرفة أودع فيه القدرة على الارتقاء في المعرفة ، ومن يومها وهو يرتقي كلما اتصل بمصدر تلك النفخة، واستمد من هذا المصدر في استقامة [٢] .

أما الغاية التي خلق الإنسان من أجلها، فهي المترتبة على تلك الخلافة، تلكم هي عبادة الله تعالى في هذه الأرض، وإنما وجد الإنسان ووجت لكي يكون الإنسان عبدا، يقول الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [٣] . يقول ابن عجيبة : – أي ما خلق الخلق - إلا لنأمرهم بالعبادة والخضوع لربوبيتي ، لا لنستعين بهم على شأن من شؤوني ، كما هي عادة السادات في كسب العبيد ، ليستعينوا بهم على أمر الرزق والمعاش [٤] .

فالمستقبل في المنظور الإسلامي يجب أن يكون محكوماً بتعاليم الله تعالى ، والمجتمع الذي يطبق فيه القانون الإلهي غاية وجود هذا الكون لذلك اهتم به الإسلام أيما اهتمام ، وجاءت الآيات الكريمة لتؤكد أن الله تعالى سخر للإنسان كل ما في هذا الكون من نعم وخيرات ، قال الله تعالى : (اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ)[٥].

وقال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[٦].

---

١. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١، ص ٢٨ .
٢. المصدر السابق ، جزء ٦ ص ٢١٧ .
٣. سورة الذاريات ، الآية (٥٦) .
٤. ابن عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عمر الراوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ٢٠٠٢، ط١، جزء ٦ ،ص ١٥٥.
٥. سورة إبراهيم ، الآية (٣٢) .
٦. سورة النحل، الآية (١٢) .

إن لدى المسلمين اليوم - وكما مر- كل مقومات النهوض والانطلاق، ولديهم كذلك كل أسباب بناء المستقبل على أسس متينة ومكينة، سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع ككل.

نحن المسلمين ، أتباع الوحي ، بين أيدينا كلام الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، معنا كل مقومات وعوامل البناء الحضاري ، والتاريخ يشهد على عدالتنا حين نحكم ، وعلى دقة بنائنا حين نبني ، وعلى عظمة وروعة وشمولية نظامنا حين نتصدى لتنظيم شؤون المجتمعات ، ومفردات الحياة .

من كان عنده كل ذلك ، وغيره كثير ، هو الأجدر بأن يكون قائداً للمستقبل ، وصانعاً له ، وسأعرض في هذا الفصل ، إن شاء الله، مجموعة من المقومات التي تثبت أحقيتنا نحن المسلمين بهذا الحسم ، وهذه النتيجة ، غير أنني أؤكد مجددا أن هذا يبقى محض إدعاء إذا لم نكن قادرين على صياغة عوامل البناء تلك صياغة عملية مقنعة .

إن من مهام الدين الإسلامي الأساسية – فيما أعلم – بناء المجتمع على أسس قوية وراسخة مؤهلة للبقاء وبكل جدارة ، وذلك من خلال بناء الفرد الإنسان ، والذي اعتنى فيه الإسلام كل العناية باعتباره المحور والخليفة ، والأسرة باعتبارها اللبنة الأساس في بناء المجتمعات ، والمجتمع والدولة كل ذلك على أسس عقائدية وأخلاقية وقانونية .

والإسلام وإن كان قد أفرد اهتماما خاصا بالفرد ، وكذلك بالأسرة ، والمجتمع إلا أن ذلك كله لم يكن بمعزل عن تلك النظرة التكاملية بين تلك المفردات ، فكل هذه العناصر متكاملةً ولها الدور الذي لا ينكر في بناء المجتمع وتقرير ما ينبغي أن يكون عليه المستقبل للأمة الإسلامية .

إن استشراف المستقبل وبالتالي عملية بنائه لا يتأتى بالتمني والوعظ والتطلع والادعاء، لان ذلك أن بقي مجردا عن الصياغة الفعلية والتطبيق العملي لا يحرِّك البشر، ولا يحدث التغيير ، ولا يسهم في صناعة المستقبل ، بل يبقى في إطار الأمنيات والتطلعات والادعاءات .

ونحن أتباع الهدي السماوي قادرون بإذن الله تعالى على الانعتاق من مستنقع الانهزام والذل ، وقادرون بإذن الله تعالى على تجاوز المحن والمشكلات ، وقد أثبت التاريخ أننا أمة عصية على الأزمات ، ونحن قادرون بما لدينا نحن المسلمين وكما قال الإمام أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى أن نشعل في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان ، ونحدث في كل

وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي ونجعل من أمة مستسلمة منخذلة ناعسة ، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقاً على الجاهلية ، وسخطاً على النظم الخائرة .

إن علة علل العالم الإسلامي اليوم - كما يراها الإمام الندوي رحمه الله - هي الرضى بالحياة الدنيا والاطمئنان بها ، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة ، والتبذير الزائد في الحياة ، فلا يقلقه فساد ، ولا يزعجه انحراف ، ولا يهيجه منكر ، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس ، ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية إن وجدا إلى القلب سبيلاً يحدث صراع بين الإيمان والنفاق واليقين والشك بين المنافع العاجلة والدار الآخرة ، وبين راحة الجسم ونعيم القلب ، وبين حياة البطولة وموت الشهادة ، هنالك تفوح روائح الجنة ، وتهب نفحات القرن الأول ، ويولد للإسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء [١].

إن المستقبل وعملية بنائه من منظور القرآن الكريم يمكن أن يتقرر من خلال مقومين ، بحسب الباحث ، يندرج تحتهما الكثير من التفرعات ، هذان المقومان يتمثلان في الحق من جهة ، والقوة من جهة ثانية ، فمن يملكهما يكون الأجدر والأقدر على قيادة البشرية وصناعة المستقبل وتسلم أستاذية العالم ؛ فالحق والقوة لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فالحق وحده بدون القوة ضعيف ، والقوة وحدها بدون الحق مدمرة لا بناءة ، والمستقبل الأسعد الذي تنشده البشرية يجب أن يحكمه الحق المسنود بالقوة اللازمة والقادرة على حمايته وصيانته .

ويوم أن ملك المسلمون ركني الحق والقوة كانت لهم القيادة والريادة والسيادة ، وما عصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولا عصر الخلفاء الراشدين ببعيد ، وأقرب من ذلك ، وعلى نهجهما ، هارون وصلاح الدين ، فيوم أن وجد الحق قوة تدعمه لم يقف في وجهه شيء .

أما المسلمون اليوم فهم يملكون الحق المتمثل بهذا الدين ، القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لم يمتلكوا القوة التي تعمل على تهيئة الجو المناسب لإيصاله للناس ، وإن كان الامتلاك بالنسبة للأول ، وعدم الامتلاك بالنسبة للثاني نسبي ومتفاوت ، إلا أننا كمسلمين مدعوون لامتلاكهما معا دون التفريط بأحدهما .

الحق والمعبر عنه بالجانب المعنوي ، والقوة المعبر عنها بالجانب المادي يمثلان أهم مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، بحسب الباحث ، وسيدور الحديث عنهما في هذه الدراسة بشيء من التفصيل بما يحقق المنفعة ويضيف الفائدة ويكمل البحث .

---

[١]. انظر ابو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، نسخة دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ م ، ص ٥٨ .

المبحث الأول: المقومات (الدينية) الروحية وفيه ثلاثة:

المطلب الأول: الدين الإسلامي

المطلب الثاني:العلم

المطلب الثالث: التاريخ

المبحث الثالث: المقومات المادية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الإنسان (الخليفة).

المطلب الثاني : الإمكانات والثروات الهائلة

المطلب الأول: الدين الإسلامي

نعمة هذا الدين، وإكماله وإتمامه، وارتضاء الله تعالى لنا إياه، لا ريب أنها أعظم نعمة منَّ الله تعالى بها علينا، قال الله تعالى: (... اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ ...) [١] .

والحالة هذه ، فللمسلم الحق بالعزة والفخار بهذا الدين ، والأمر كذلك فهو مدعو لاستلام دوره ، وتسنم واجبه تجاه هذا الدين ، وهو كذلك مدعو للعمل على نشر هذا الدين والتبشير به على اعتبار أنه الملاذ الوحيد والحل الأمثل لخروج العالم من ورطاته المتتالية ونكباته المستمرة ، وانه على يقين بان هذا الدين هو وحده القادر على صياغة مستقبل أسعد وأزهر وأجمل وأهنأ .

إن الحل الأمثل لمشكلات العصر هو وحده ، وليس شيئا سواه ، بهذا الدين ، قولا وفعلا ، عقيدة وشريعة ، وعبادات ونظام حياة ، وهو بهذا ينعتق من كونه حلا يمكن الاستغناء عنه إلى حل يصل إلى كونه ضرورة بشرية .

إن بقاءنا واستمرارنا كأمة ذات سيادة وقيادة مرهون بتمسكنا بهذا الدين وهو الشرط الوحيد لاستئناف حياة المجد والعزة والانتصار.

إن الإسلام باعتباره ديناً سماوياً– وهو كذلك - منهج حياة للبشر؛ هو بهذا المفهوم يشمل كل معطيات الحياة، ولا يقتصر على جانب دون آخر، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) [٢] .

---

[١]. سورة المائدة ، الآية (٣) .
[٢]. سورة الكهف، الآية (٥٤) .

إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية، يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية؛ وفي حدود الواقع المادي حينما يتسلم مقاليدهم. ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة [١].

والمطلوب من المسلمين أن يأخذوا الدين كل الدين ، لا أن يأخذوا جانبا دون جانب كما هو الحال اليوم ، إن هم أرادوا النهوض والقيادة ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [٢] .

والسلم هنا بمعنى الإسلام ، عند أكثر المفسرين [٣] ، أي خذوا الإسلام كله ، فلا يصح أن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، قال تعالى : (... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [٤] .

وقد أمرنا الله تعالى أن نأخذ بجميع عرى الإسلام ، وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك زواجره ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، أي الدخول في الإسلام جميعا [٥] .

والدين بهذا المفهوم ليس دين جماعة دون جماعة ، ولا شعب دون شعب ، بل ولا فرد دون فرد ، بل يمتد ليشمل ذلك كله ، وهو كذلك لا ينظم جانبا دون آخر فلا يكتفي بتطبيق العبادات دون النظر إلى المعاملات ، وهكذا ، فهو منهج حياة متكامل من حيث العادات والعبادات كما يشمل تنظيم حياة البشر في شتى النواحي سواء من حيث التعامل والسلوكيات وحسن الخلق أو من حيث تنظيم حياة البشر من حيث الاقتصاديات والاجتماعيات.

إن هذا الدين وهو يعلن شعاره الخالد المتمثل بقوله تعالى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا

---

[١]. انظر سيد قطب ، هذا الدين ، مصدر سابق ، ص ١٢ .
[٢]. سورة البقرة ، الآية (٢٠٨) .
[٣]. انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٣٣٥ ، وانظر القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦ .
[٤]. سورة البقرة ، الآية (٨٥) .
[٥]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ١، ص ٤٩٠ .

وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [١] لا يجبر أحد على اعتناقه ، وإن كان الطموح أن يدخل الناس كافة في هذا الدين .

ونحن نعتقد بهذا الاعتبار أن المستقبل لهذا الدين، باعتباره منهج حياة، يشتمل على تلك المقومات كلها مترابطة، غير منفصل بعضها عن بعض، المقومات المنظمة لشتى جوانب الحياة البشرية، الملبية لشتى حاجات (الإنسان) الحقيقية، المهيمنة على شتى أوجه النشاط الإنسانية [٢].

ولنا ، مثلا ، في قصة سيدنا يونس عليه السلام كل العبرة والعظة والدرس ، يونس عليه السلام مع قريته ، آمنت فنفعها إيمانها ، وكذا الإيمان دوما ، وتلك كما سبق سنة من سنن الله تعالى في خلقه ، قال تعالى : (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلى حِينٍ) [٣] ، وكذلك فإن الإيمان سبب في فتح الله على عباده كل أبواب الخير والبركة والعطاء، قال تعالى : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارا ً) [٤].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يقف على ذلك الكم الهائل من الآيات التي تشير صراحة وضمناً أن القرآن هو كتاب هداية ، وأنه النور الذي بثه الله تعالى في العالمين ليكون للناس إماماً ودليلا لهم للخروج من الضياع والتيه إلى الهداية والرشاد ، وقد بحثت فقط عن لفظة هدى في القرآن الكريم ، فحصلت على ما يزيد عن واحد وتسعين آية كريمة ، وكما هو المنهج المتبع في هذه الدراسة فسوف أستعرض بإذن الله تعالى عدد من الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة ، ومن ثم أقف على أقوال مجموعة من المفسرين القدامى والمحدثين ، ثم بعون الله تعالى أستخرج من هذا كله استشراف المقومات الأساسية لبناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، والله الموفق والمعين .

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (٢٥٦) .
[٢]. انظر سيد قطب ، المستقبل لهذا الدين ، نسخة دار الشروق ، بيروت ، ط ١ ، ص ٣ .
[٣]. سورة يونس ، الآية (٩٨) .
[٤]. سورة نوح ، الآية (١٠ – ١٢) .

أما الآيات الكريمة ، فمنها :

قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [١] .

وقال الله تعالى: (هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) [٢] .

وقال الله تعالى : (قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [٣] .

وقال الله تعالى : (وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٤] .

وقال الله تعالى : (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلى مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٥] .

وقال الله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [٦].

وقال الله تعالى : (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون) [٧].

وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)[٨].

وقال الله تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [١] .

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (٢) .
[٢]. سورة آل عمران ، الآية (١٣٨) .
[٣]. سورة الأنعام ، الآية (٧١) .
[٤]. سورة الأعراف ، الآية (٥٢) .
[٥]. سورة الأعراف ، الآية (٢٠٣) .
[٦]. سورة التوبة ، الآية (٣٣) .
[٧]. سورة يونس ، الآية (٣٥) .
[٨]. سورة يونس ، الآية (٥٧) .

وقال الله تعالى: (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [٢].

إن هذا الدين بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان ، وما ينبثق عنها من تفرعات ، فيه وحده الهداية ، والإعراض عنه سبيل إلى الضنك والشقاء ، يقول الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [٣].

(فالضنك أصله الضيق والشدة ، واعلم أن هذا الضيق المتوعد به إما أن يكون في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة أو في الدين أو في كل ذلك أو أكثره أما الأول : فقال به جمع من المفسرين وذلك لأن المسلم لتوكله على الله يعيش في الدنيا عيشاً طيباً كما قال : (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياة طَيِّبَةً) [٤] ، والكافر بالله يكون حريصاً على الدنيا طالباً للزيادة أبداً فعيشته ضنك وحالته مظلمة) [٥]

.

وقال صاحب التحرير والتنوير، رحمه الله ، إن المعيشة الضنك تتمثل في عسر الحال من اضطراب البال وتبلبله ، والمعنى : أن مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى التخيل في إيجاد الأسباب والوسائل لمطالبه ، فهو متهالك على الازدياد خائف على الانتقاص غير ملتفت إلى الكمالات ولا مأنوس بما يسعى إليه من الفضائل ، يجعله الله في تلك الحالة وهو لا يشعر ، وبعضهم يبدو للناس في حالة حسنة ورفاهية عيش ولكن نفسَه غير مطمئنة [٦].

وكما قال بعض المتصوّفة : لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوّش عليه رزقه.

ولنا أن نقف على قوله تعالى ، فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ولكننا نذكر ما يلامس واقعنا اليوم من ابتعادنا عن ديننا مصدر سعادتنا ليبين للعالم أسباب الضنك والتعاسة والشقاء المتمثل في البعد عن هذا الدين .

يقول سيد قطب رحمه الله، في تعليقه على هذه الآية: وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه. والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع! ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء . ومن اتبع هدى الله فهو في

---

[١]. سورة طه ، الآية (١٢٣ – ١٢٤) .
[٢]. سورة القصص ، الآية (٤٩) .
[٣]. سورة طه ، الآية (١٢٣ – ١٢٤) .
[٤].سورة النحل ، الآية (٩٧) .
[٥]. انظر الإمام الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء١٠، ص٤٨٣ .
[٦]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ٩ ، ص ١١٢ .

نجوة من الضلال والشقاء في الأرض ، وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود ، حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود .

ولنا أن نقف كذلك على حقائق كثيرة ، منها أن العالم عاش في النور حقبا وأزمنة عديدة سطعت وأنارت في تاريخ البشرية ، فكانت صفحات نورانية يتعطش العالم لمثلها ، من سمو في الأخلاق والمعاملات إلى وضوح في الغاية والمقصد ، إلى الانسجام الكامل مع مفردات هذا الكون ، لان الذي يحكمه والحالة تلك هو خالق هذا الكون الذي يعلم ما يصلحه ، قال تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [١] .

ويؤكد سيد رحمه الله تعالى في كتابه القيم " هذا الدين " مثل هذه الحقائق فيقول مثلا أن البشرية لم ترتفع قط إلى المستوى الأخلاقي الذي بلغته الجماعة المسلمة في التعامل الواقعي [٢].

نعم ، إن الضنك كل الضنك هو في البعد عن منهج الله ، وعن تعاليم الله ، وعن أوامر الله ، مهما عاش الإنسان من سعة في العيش ورغد في الحياة لان الحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع ، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه ، ضنك الحيرة والقلق والشك ، ضنك الحرص والحذر ؛ الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت ، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت . وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله ، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة ، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان .

والمسلمون بما حباهم الله تعالى من نعمة هذا الدين يتوفر لديهم أهم أسباب ومقومات بناء المستقبل ، والحل الأمثل لكل احتياجات الحياة ، وعندهم التفسير الأمثل لغاية الإنسان من وجوده ، وعندهم كذلك ، من خلال هذا الدين، ذلك التناسق التام والرائق والرائع بين الحاجات المادية والحاجات الروحية ، لكل من الفرد والأسرة الجماعة ، وصولا إلى التناسق التام في التشريعات التي تنظم شؤون المجتمع مع منظومة الكون الواسع .

لقد تهيأ للحل الإسلامي ما لم يتهيأ لغيره من الحظوظ المنهجية المتمثلة في سلامة مصدري الإسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ووصولهما إلينا سالمين من التحريف وبصحتهما ثبت كمالهما بكمال مصدرهما وهو الله ، ومبرر اختيار الحل الإسلامي هو كماله ومن طلب غير الكمال تورط في النقصان بالضرورة [٣] .

---

[١]. سورة الملك ، الآية (١٤) .
[٢]. انظر سيد قطب ، هذا الدين، مصدر سابق ، ص ٦٨ .
[٣]. انظر عباسي مدني ، أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الاسلامي ، مكتبة المنارة، مكة المكرمة ، ص ٥٥ .

ولا بأس من أن اكرر هنا أن العالم جرب الحلول الأخرى وثبت له فشلها الذريع ، سواء المتمثلة في الحلول الرأسمالية الليبرالية المتحررة ، والتي زادت من شقاوة الناس وقسمتهم إلى طبقات متناحرة حاقدة ، تسلك في تشريعاتها شريعة الغاب في أن الحكم للأقوى والأغنى والأثرى جاهاً ومالاً وسلطاناً ، أو في الشيوعية الاشتراكية التي أضلت الناس حينا من الدهر وجرت عليهم الشقاء والبؤس والفقر ، واستغنى أناس على حساب آخرين ، وخداع القلة القليلة للطغمة الحاكمة للكثرة الكاثرة من الذين انساقوا أو سيقوا إلى هذا الادعاء الكاذب المتمثل في الشيوعية الاشتراكية .

يقول الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله في مقالة له تحت عنوان حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا الإسلامية وهل نجحت الحضارة الغربية في جلب السعادة للبشرية " إن سر ما يعانيه الناس في الحضارة المعاصرة :أنها حضارة نسيت الله فأنساها أنفسها، إنها عاشت جسمًا بلا روح، أو قل: جسم فيل بروح نملة! ولقد قال الشاعر الهندي الكبير طاغور لأحد مفكري الغرب :صحيح أنكم استطعتم أن تحلِّقوا في الهواء كالطير، وأن تغوصوا في البحر كالسمك، ولكنكم لم تحسنوا أن تمشوا على الأرض كالإنسان " [١] .

ولم يعد للعالم بعد ذلك ، ولا قبله أصلا ، إلا أن يقر بان هذا الدين وحده الكفيل في أن يكون الحل الأمثل والملاذ الآمن والمشروع الذي يجب أن يطبق للخروج بالبشرية من مستنقع الظلام إلى عالم الإيمان والنور .

ولا يقصد الباحث هنا بسط الحديث عن الرأسمالية أو الشيوعية ، ولكن حتمية الحل الإسلامي تكاد تكون أكثر إلحاحا في الطرح بعد ثبات فشلهما ، والمسلمون اليوم مدعوون إلى الاستفادة من الخبرات البشرية والإفادة منها وصياغتها صياغة تتناسب مع هذا الدين وروحه وغاياته ومقاصده ليصب ذلك في تراكم الخبرات البشرية المفضي إلى مزيد من الوضوح في صياغة وبناء المستقبل الأمثل للبشرية، ولو قام هذا كله على هذا الأساس الصحيح، كما يرى سيد لكانت هذه المساحات الجديدة التي أضافها العلم وأضافتها الحضارة، لرقعة الحياة في واقع الناس ومشاعرهم... مساحات تضاف إلى رقعة الإيمان، وتزيد الناس قرباً من الله ومنهجه القويم الممثل في الإسلام [٢].

ويجب أن نؤكد مراراً وتكراراً ودون ملل ، في هذه الدراسة وغيرها ،أن العالم الإسلامي إذا أراد أن يستأنف حياته ، ويعاود قيادة العالم والسير به نحو الخلاص ، نحو الهدوء والسكينة

---

[١]. www.islamonline.net

[٢]. انظر سيد قطب، هذا الدين، مصدر سابق، ص ٧٠.

والطمأنينة ، ويتحرر من الذل والضياع والتيه ، فلا بد له إذن من ردم الفجوة المقيتة بينه وبين هذا الدين ، والتمسك بهذا الدين في كل جزئية من جزئيات الحياة ، وأن يأخذه ويأخذ به .

إن معنى الحل الإسلامي يتمثل في أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع في كل الميادين وكل المجالات المادية والمعنوية، وأن تتجه الحياة كلها وجهة إسلامية ، وأن تصبغ بالصبغة الإسلامية ، وأن تكون عقيدة المجتمع إسلامية ، وشعاراته إسلامية ، ومفاهيمه إسلامية ، ومشاعره ونزعاته إسلامية ، وأخلاقه وتربيته إسلامية ، وتقاليده وآدابه إسلامية ،وأخيراً أن تكون قوانينه وتشريعاته إسلامية [١].

والحل الإسلامي الذي ننشد هو ذاك الحل القائم على أساس من التكامل الوظيفي بين الدين والفلسفة والعلم ، في شمولية تستوعب كل قضايا العصر ، وتجيب على جميع تساؤلات الإنسان ، وتكون في مستوى مستجدات الحضارة وطموحات الإنسانية ، غير أن هذه الشروط لا يمكن أن تتحقق إلا إذا سلم الدين فتصح مقاصده ويصح العلم بصحة مناهجه ، فتستقيم اداتيته فيحصل المراد من وظيفته الحضارية ومضاعفة فعالية الإنسان وتمكينه من تقنيات استخدام الأداتية الحضارية ، وتوظف الفلسفة في تفكير نقدي يعمل على إفساح مجال حرية الإنسان والتعمق في مفاهيمه وإنماء وعيه لذاته وتنشيط المعية ذكائه ونبوغ عبقريته وتوجيه تفكيره الإبداعي ، وتجديده المعرفي ، فتتسع آفاق الأكوان وأبعاد أسرار القرآن بسعة مداركه ومجال إرادته وحدود حريته [٢] .

إن الإسلام إذا أحسن التعامل معه قادر على استيعاب كل معطيات الحضارة وصهرها بصورة متناسقة مع جميع معطياته في بوتقة واحدة متكاملة ومحققة لكل ما يصبو إليه الإنسان وتسعد به البشرية .

ولا بأس من ذكر ما قاله غوستاف لوبون عن طبيعة هذه الأمة وتأثير الدين فيها :

(تأثير دين محمد في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر ، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشداً لها تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرنا ، أجل قد تجد بين المسلمين عددا قليلاً من الزنادقة و الاخلياء ولكنك لن ترى من يجرؤ منهم على انتهاك حرمة الإسلام في عدم الامتثال لتعاليمه الأساسية كالصلاة في المسجد وصوم رمضان الذي يراعي جميع المسلمين أحكامه بدقة مع ما في هذه الأحكام من صرامة لا تجد مثلها في صوم الأربعين

---

[١]. انظر يوسف القرضاوي ، حتمية الحل الإسلامي ، ط ١، ص ٤٧ .
[٢]. انظر عباسي مدني ، أزمة لفكر المعاصر ومبررات الحل الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .

الذي يقوم به النصارى كما شاهدت ذلك في جميع الأقطار الإسلامية التي زرتها في آسيا و أفريقية ، ومن ذلك أتيح لي أن أركب سفينة نيلية كان فيها أفراد عصابة عربية مقرنين في الأصفاد ، ومتهمين بأنواع الجرائم ، فقضيت العجب حين رأيتهم ، وهم الذين خرقوا حرمة جميع القوانين الاجتماعية مستخفين بأقسى العقوبات ، لم يجرؤوا على انتهاك تعاليم النبي ، وحين شاهدتهم يرفعون تلك الأصفاد عنهم وقت الصلاة ليسجدوا لله القهار ويعبدوه) [١]

ولنا بعد هذا ، أن نتخيل مجتمعاً ، أو حتى مستقبلاً لا دين فيه ، لنواجه الحقيقة المفزعة من فوضى واضطراب ونهب وسلب ، قتل وإفساد ، وتسلط القوي على الضعيف ، بل وهضم الحقوق وضياع الأمن والأمان ، والكرامة ، والخصوصية ، ولعل نظرة سريعة في المجتمعات الغربية اليوم كفيلة بتأكيد ذلك كله والزيادة عليه .

أما إذا حكم الدين، هذا الدين، دين الحق، ولا دين سواه، فثم الأمن والأمان، والعدل والسلام، والسعادة والهناء، والطمأنينة، بل انك ترى ما لا يمكن أن يتحقق إلا تحت ظل هذا الدين؛ فلا تستغرب أن يرعى الذئب مع الغنم.

إذن فالدين مقوم أساس من مقومات المستقبل، لا غنى عنه بحال، إلا إذا أرادت البشرية أن تبقى غارقة فيما هي فيه من ضياع وضنك، وصدق الله العظيم حين قال:(...فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [٢]

و قوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [٣] .

فالعمل الصالح المطلوب من الذكر والأنثى ،على حد سواء ، من جهة ، ومن جهة أخرى ضرورة أن يرتبط هذا العمل وينبثق من الإيمان ، فعند اجتماع العمل مع الدين وانبثاقه منه تكون النتيجة المرجوة تلك الحياة الطيبة المرجوة والمنشودة والتي يتطلع إليها العالم بشغف وحرقة .

ورائعة تلك المقارنة التي عقدها الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ، حيث يؤكد أن عيش المؤمن أحلى واسعد وأجمل من عيش الكافر بوجوه كثيرة منها: أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى ، وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل إلا الصواب كان راضياً بكل ما قضاه وقدره ، وعلم أن مصلحته في ذلك ، أما الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبداً في

---

[١] . www.weghatnazar.com

[٢] . سورة طه ، الآية (١٢٣ – ١٢٤) .

[٣] .سورة النحل ، الآية (٩٧) .

الحزن والشقاء ، ومنها أن المؤمن أبداً يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها ، لأن الرضى بقضاء الله تعالى واجب ، فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلاً عن تلك المعارف ، فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه ومنها أن قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى ، والقلب إذا كان مملوءاً من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا ، أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوءاً من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا ومنها أن المؤمن عارف بأن خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها ، أما الجاهل فإنه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها وغمه بفقدانها . ومنها أن المؤمن يعلم أن خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره إليه.بخلاف الجاهل فإنه يكون غافلاً عن هذه المعارف فيطبع قلبه عليها ويعانقها معانقة العاشق لمعشوقه فعند فوته وزواله يحترق قلبه ويعظم البلاء عنده ، فهذه وجوه كافية في بيان أن عيش المؤمن العارف أطيب من عيش الكافر هذا كله والكلام للإمام إذا فسرنا الحياة الطيبة بأنها في الدنيا [١] .

إن من أوجب الواجبات علينا أن نحسن العودة إلى هذا الدين- إن جاز هذا التعبير - ، ونحسن التعامل معه من جديد ، ونتفنن في أخذه والعمل به بإتقان ودقة ، لأنه يمثل مصدر عزتنا وعودتنا إلى المكانة المرموقة التي أعدها الله تعالى لعبادة المؤمنين ، ونحن كمسلمين قد أمدنا الله تعالى بكل أسباب العزة والمنعة ، والمجد والقيادة ، ومنها هذا الدين .

قال الله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[٢] .

يقول الإمام الرازي رحمه الله فهذا وعد من الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات أي الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما ، وأنه يمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك هو أن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمناً بأن ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويأمنوا بذلك شرهم [٣] .

يقول ابن عاشور فمتى اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع ما وضّح لهم الشرع تحقق وعد الله إياهم بهذا الوعد الجليل [٤].

---

[١]. انظر الإمام الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٩ ، ص٤٦٣ .
[٢]. سورة النور ، الآية (٥٥) .
[٣]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ١١، ص٣٦٣ .
[٤]. ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مصدر سابق ، جزء ١٠، ص٢٢ .

إن الإيمان المفضي إلى النصر والتمكين والاستخلاف ، والمنوط بالوعد من الله تعالى هو ذلك الإيمان الذي يستغرق النشاط الإنساني كله؛ كما يقول سيد رحمه الله ويوجه النشاط الإنساني كله ، فما يكاد يستقر في القلب حتى يخرج في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله؛ لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله؛ وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة ، لا يبقى معها هوى في النفس ، ولا شهوة في القلب ، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله .

ويخلص الباحث من ذلك كله إلى النقاط التالية :

- إن الدين يعتبر مقوماً أساساً من مقومات بناء المستقبل، لا غنى عنه بحال.
- إن هذا الدين هو الوحيد ، والذي يعتبر رسالة الله تعالى الأخيرة إلى البشرية ، هو وحده ، ووحده فقط الكفيل بحل الأزمة والخروج بالبشرية من مستنقع الظلم والظلام إلى عالم العدل والنور ، قال الله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [١] . وقال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [٢].
- جربت البشرية دهوراً هذا الدين ، وجربت الابتعاد عنه دهوراً كذلك ، والمقارنة حاصلة في بال وضمير كل من يمت لهذا الدين بصلة ، وكذلك فالمقارنة واضحة عند المنصفين ممن اطلعوا على هذا الدين ولم يلحقوا بركبه ، والنتيجة والحسم تتردد بصدى قوي في ضمائرهم جميعا ينتظرون انبلاج الفجر ليؤذن للنور الجديد أن يعم أرجاء المعمورة ، وعسى أن يكون قريبا .
- هذا الدين حتى يكون له المفعول المرجو والنتيجة المطلوبة يجب أن يؤخذ كله ، وأن يطبق في جميع مجالات الحياة وأركانها ، وأن يتمثله أفراده فكراً وسلوكاً ، وعقيدة وشريعة ، وعبادات ومعاملات ، بل يجب أن يعيشوه ويتنفسوه إن هم أرادوا أن يتمتعوا بالنتيجة المترتبة على الأخذ به ، وإلا كان بروتوكولا ، ولكان مجرد شعائر تقام هنا وهناك دون أن يكون لها ذاك الصدى وتلك النتيجة المرجوة ، وما حالنا اليوم عن مثل هذا الأخذ ببعيد ، وما الحال التي نعيشها اليوم عن كل ذي لب بخافية .
- شمولية القرآن الكريم لجميع الأحكام والتشريعات التي تحتاجها البشرية ، تجعل منه المقرر الأصوب للوجهة التي ينبغي أن تسير عليها البشرية ، وصولا إلى بر الأمن والأمان .

---

[١]. سورة آل عمران ، الآية (١٧) .
[٢].سورة آل عمران ، الآية (٨٥) .

- ومن خصائص هذا الدين العظيم أنه دين عالمي لم ينزل للعرب دون غيرهم، ولا لزمن دون زمن، إنما أنزله الله تعالى للعالمين وللناس كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إليكم جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[١] ، وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [٢] .
- هذا الدين جاء ليحكم وليقرر أن الحكم في هذه الأرض ينبغي أن لا يكون إلا لله ، وإلا فان البشرية تسير على غير هدى ، وتخالف نواميس هذا الكون وتضطرب معه في تنافر نكد يضفي على الحياة بعامة البؤس والشقاء والنكد ، فالحاكمية لله ، وهي لله وحده لا شريك له ، فهو وحده الخالق ، وهو بهذا وحده المستحق للعبودية ، قال الله تعالى : (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [٣] . وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [٤] .
- هذا الدين يتصف في تشريعاته بالشمول في جميع مناحي الحياة ، سواء منها الجانب السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، أو غير ذلك ، مما يؤهل هذه التشريعات لتكون الأنسب والأقدر على رسم طريق النجاة للبشرية وبناء المستقبل المنشود ، فالفرق بين الحل الإسلامي العادل وبين الحلول البشرية القاصرة، بحسب الإمام القرضاوي حفظه الله تعالى ، هو الفرق بين الألوهية الكاملة والبشرية الناقصة ، الألوهية التي تعلم ما كان وما سيكون ، والبشرية التي تعلم من يومها شيئا وتغيب عنها أشياء ، الألوهية الحكيمة العادلة والبشرية العجول الظلوم [٥] .

---

[١]. سورة الأعراف ، الآية (١٥٨) .
[٢]. سورة الأنبياء ، الآية (١٠٧) .
[٣]. سورة الأنعام ، الآية (٥٧) .
[٤]. سورة النساء ، الآية (٦٤) .
[٥]. انظر يوسف القرضاوي ، حتمية الحل الإسلامي ، مصدر سابق ،ص ٤٦ .

- وبعد ، فان استشراف مقومات المستقبل من منظور القرآن الكريم يعني أن نستلهم الأسس التي ينبغي أن يقوم عليه أي بناء يراد له البقاء والفاعلية ، وهذه المحاولة في استشراف المقومات تضيف إلى الدراسة رافداً مهماً من روافد بناء المستقبل حتى لا يكون ذاك التطلع وتلك الأماني بعيدة عن التحقق والتطبيق ، بل إن عرضها والتذكير بها يحيي في شباب هذه الأمة وشيوخها وكل أفرادها الأمل من جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ، وما أروع ما قاله الطالب عبد العلي بلامين في مقالة له بعنوان إعلام البرية بمفهوم الحضارة الحقيقية: " إن الدين الذي يقود إلى الجنة في الآخرة هو نفسه الذي يقود إلى الحضارة في الدنيا ، وأن الدولة الإسلامية ما دامت متشبثة بدينها وعقيدتها فستظل الحضارة متشبثة بها " [١].

المطلب الثاني

العلم

إن العلم يعتبر مقوماً أساساً من مقومات بناء المستقبل، وأن العلم هو الأداة التي تتبع الإيمان ليشكلا معاً منطلقاً قوياً وراسخاً في عملية بناء المستقبل بناءً حقيقياً.

لقد اعتنى الإسلام بالعلم أيما عناية ، بل لقد ضرب الإسلام بالاعتناء به أروع الأمثلة في التشريع والحث عليه وربطه بالمفاضلة وترتيب الأجر والثواب .

إن الحاضر ،فضلاً عن المستقبل لا يمكن أن تقوم لأحد فيه قائمة إلا بالعلم ، ونحن نرى في عالم اليوم أن العلم بات أحد أمضى الأسلحة في التعامل مع النهوض والسباق نحو الرقي والتقدم ، وصولا إلى القيادة وتبوؤ المكانة المرموقة بين الأمم .

ولعل الباحث هنا يعيد التذكير بما هو معلوم بان أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي " اقرأ " ، ونحن نعلم أن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة إلا ما ندر ، وفي هذا إشارة إلى أن العلم له الأهمية في بناء المجتمع الناشئ الجديد ، وأن عهدا آخر سيبدأ قوامه الإيمان ، وإحدى أدواته العلم والتعلم .

إن كلمة اقرأ تحمل في طياتها كل ما تحتمله هذه الكلمة من معنى ، وكل ما يتفرع عن ذلك من أساليب ووسائل وأدوات وغيره مما يخدم الهدف الكلي للوصول إلى العلم ، إذ لا يمكن، كما يقول الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ، أن تبدأ آخر الرسالات السماوية لبني آدم على هذه الأرض بهذا الأمر الإلهي إلا إذا اتسعت دائرة دلالته اللفظية وامتدت لتشمل كل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي، وكل ما يدعه الإنسان في الجانب السلبي، مجردا في الأسباب والغايات لله الخالق سبحانه وتعالى ، وإطلاق هذا المعنى الشمولي لكلمة "اقرأ " وعلاقتها بالنص القرآني على هذا النحو هو ما يجب الأخذ به، خاصة إذا ما سلمنا بحقيقة أن الإعجاز القرآني يمنح الألفاظ

---

[١]. www.islamichistory.net/articles/bla1.htm

العربية عمقاً وامتداداً في المدلول والمعنى، ويكسب المفردات اللغوية مرونة وصلاحية للتعبير عن مختلف المعاني الطارئة في حياة الناس، فالمعنى القرآني لا نهائي والفهم البشري محدود، ولكنه مستمر بتتابع الأجيال [١] .

إن للعلم الأهمية القصوى والدور الأبرز في إحياء الأمم و الشعوب ، فهو أس من أسس وجودها ، فعن طريق العلم وامتلاك أدواته ، وبما يترتب عليه تستطيع الأمم والشعوب، أن تدرك وضعها ، ومكانها ، وما يجب أن تكون عليه ، وبالتالي ترسم وعن طريق العلم سبل الوصول إلى الغايات دون الوقوف على الأمنيات وطلب المعجزات ، وهي بالعلم تستطيع أن تطوّع كل ما لديها من إمكانات لتصوغها أدوات قوية تساهم في المستقبل الذي تنشد .

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يدرك المساحة الواسعة التي غطاها بدعوته إلى العلم والحث عليه ، ففي مجال الإحصائيات [٢] مثلا فان مفردة العلم مثلا وردت في القرآن الكريم أكثر من (٤٨٤) مرة ، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى عناية الإسلام بالعلم والتعلم .

إن مما لا جدال فيه ولا شك ، أن العلم اليوم وأكثر من أي يوم مضى بات ضروريا لأية أمة أو حضارة أو نهضة ، فبه ترقي الأمم وترفع إلى درجة الاحترام والتقدير والعزة .

والإسلام إنما ينوه بالعلم ، ويرفع من شأنه ، ويدفع أهله إليه ؛ لأن به يميز الإنسان بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والصواب والخطأ ، والهدى والضلال ، والحسن والقبيح ، والنافع والضار ، فهو للعقل كالنور للعين لا يستغني عنه بحال ، ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه ، وكذلك قيمة الأمم والشعوب بمقدار أخذها به ، وعلى قدر أخذ الأمم به يكون نهوضها الحضاري، ورقيها الصناعي ، وازدهارها التجاري ، ونموها الزراعي ، واتساعها العمراني ، فهو الذي يرقى بالحياة، ويجعلها وارفة الظلال ، جديرة بأن ينعم بها الإنسان ويسعد [٣].

وبالعلم يرفع الله تعالى أقواما، فيجعلهم في الخير قادة، تقتفى آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وهذه هي المكانة المرموقة التي تستحقها أمة العلم، أمة القرآن، أمة الإيمان، فالعلم والإيمان قرينان لا ينفكان، يفضي أحدهما إلى الآخر ويدل عليه، ويتممه.

وبالعلم ينتشر النور وتتبدد الظلمة ، وبه تزدهر الأوطان ويستجلب الخير ، وبه يعم العدل والحرية ، ومن الطف ما يمكن أن يسجل هنا ذلك الرابط العجيب الرائع ، على الأقل من وجهة نظر الباحث ، بين أول كلمة نزلت في القرآن الكريم ، وبين آخر كلمة ، والربط هنا بينهما يحتاج إلى إعمال المشاعر والأحاسيس والأفهام التي تنشد إلى عظمة هذا القرآن وروعة نظمه ؛ فأول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي كلمة " اقرأ " وآخر كلمة نزلت في القرآن الكريم هي قوله تعالى " لا يظلمون " وللقارئ أن يترك لفهمه ولخياله العنان في الربط بين اقرأ وبين لا يظلمون ،

---

١. www.islamset.com/arabic/ahip/alalom/basha.htm/

٢. www.islamnoon.com/quran_stats.htm - 29k

٣. انظر سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، نسخة دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م، ط٢، ص ٧٨.

ولعلها إشارة ، وهذه واحدة ، أن العلم يوصل إلى أن يؤدي الحقوق إلى أصحابها ، وان ينشر العدل والحب والتسامح ، فلا مجال في هذا الدين للظلم وإن كان المخاطب هنا أو هناك غير المسلم .

على أنه يجب أن نذكر هنا أن أية أمة تركت العلم كان مصيرها إلى التخلف والتقهقر وربما الاندثار ،ولنا أن نستعرض ونقلب صفحات التاريخ لنرى صدق ذلك ، فأمتنا هي التي أنارت سماء الدنيا حيناً من الدهر ، وأعطته مقومات وأسس النهوض التي صارت اليوم أسسا للعلوم الحديثة المعاصرة ، والغرب المنصف يدرك هذا ويقر به ، وبأكثر منه ، ويؤكد أن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه للغرب من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا: إنه يدين لها بوجوده نفسه، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود، وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوماً أجنبية، استجلبوها من خارج بلادهم؛ وأخذوها عن سواهم؛ ولم تتأقلم في يوم من الأيام، فتمتزج امتزاجاً كلياً بالثقافة اليونانية، أما ما ندعوه " العلم" ، يقول بريفولت ، فقد ظهر في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة، من طرق التجربة والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان، وهذه الروح، وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي" [١] .

وأخيراً وفي هذه العجالة التمهيدية فإننا نقول أن الأمة إذا أرادت أن تستأنف حياتها ، وتسترد مكانتها بين الأمم ، وتتسلم دورها في القيادة والريادة والسيادة وبناء المستقبل ،فلا بد لها من العودة إلى العلم ، وضرورة إيلائه الأهمية التي يستحق ، وبالتالي العمل على امتلاك أدواته وأساليبه التي تؤهل إلى الوصول إلى الغاية والمستقبل المنشود .

ومن الضروري هنا أن أشير إلى أن العلم علمان ، علم ديني ، وعلم دنيوي ، وليس المقصود هنا في هذه الدراسة بتقديم العلم كمقوم من مقومات بناء المستقبل ، العلم الديني على وجه الخصوص ، بل المراد بالعلم هنا العلم بشقيه ، الديني والدنيوي ، فلا انفصال لهما في المنظور القرآني – بحسب علم الباحث – فكلاهما مطلوب من المسلم ، ومندوب إليه .

يقول الإمام العلامة القرضاوي حفظه الله تعالى في مقالة له عن مفهوم العلم وتكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم بأن العلم الذي نوه به القرآن، وحفلت به آياته، يشمل كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وتزول بها غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم وسيلته العقل والبرهان، أم وسيلته الوحي والنبوة ، ثم يبين لأولئك الذين يزعمون أن المقصود في الآيات الكريمة التي تحث على العلم وتحض عليه بأنه علم الدين قائلا بأن ذلك قد يكون صحيحاً

---

[١] . www.islamonline.net

في قليل من النصوص الواردة في الأصلين العظيمين في الإسلام: القرآن والسنة، ولكن أغلب نصوصهما وردت عامة ومطلقة، تشمل كل علم ديني أو دنيوي، وبعضها لا يمكن أن يفهم منه إلا أنه العلم الدنيوي: العلم بالكون والحياة والإنسان، وما يجرى عليها من سنن.

ويضرب لهذا الفهم شاهداً من القرآن الكريم من قصة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [١] ، فيقول [٢] بأن هذا العلم الذي آتاه الله ليوسف مع الحكم ،ليس هو علم النبوة، فلم يكن قد أوتيها بعد، ولا علم الدين، فلم يكن في مصر في ذلك الوقت علم للدين يحصله أو يطلبه، إنما هو المعرفة البصيرة بالأمور، والاعتماد على العقل في الاستنتاج واختيار البدائل ونحوها، وهذا العلم هو الذي اعتبره يوسف عليه السلام مرشحا أساسيا له لمنصب الولاية على خزائن أرض مصر، حين قال له ملكها: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليوم لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِين ٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [٣].

وعلى منهج الباحث في ما مضى من الرسالة فإنني سأستعرض الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة بالعلم، وسأقف على أقوال المفسرين القدامى والمحدثين للخروج بتصور يتناسب مع إيضاح الصورة ويحقق جانبا من هدف هذه الدراسة، والله المستعان.

أما الآيات الكريمة فقد ذكرت سابقا أن الجذر " علم " ورد في القرآن الكريم أكثر من (٤٨٤) مرة ، هذا عدا عن مرادفات ومعاني هذه الكلمة ، فإن عدد آيات العلم والأمثلة والإشارات القرآنية المتعلقة به يربو على سدس القرآن الكريم [٤] ، بل يزيد عند بعضهم في الآيات الدالة على العلم وذات الصلة بحوالي ثمن آيات القرآن (٧٥٠ آية) تدعو إلى العلم والى دراسة الطبيعة والتأمل والتفكير في ملكوت هذا الكون المترامي الأطراف [٥]. وعليه فسأكتفي بعدد من الآيات التي يغلب من خلالها الظن إنها تفي بالمطلوب وتؤدي الغرض المقصود وتحقق الفائدة في هذه الدراسة .

---

[١]. سورة يوسف ، الآية (٢٢) .
[٢]. www.qaradawi.net
[٣]. سورة يوسف ، الآية (٥٤ - ٥٥) .
[٤]. http://www.alwaqt.com
[٥]. www.azzaman.com

فمن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى : (ربَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) [١] .

وقوله تعالى : (.... وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [٢] .

وقوله تعالى : (ُوَالَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) [٣] .

وقوله تعالى : (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [٤] .

وقوله تعالى : (ولَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) [٥] .

وقوله تعالى : (ولَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٦] .

وقوله تعالى : (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) [٧] .

وقوله تعالى : (فَتَعَالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالقرآن مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى اليكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) [٨] .

وقوله تعالى : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) [٩] .

وقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) [١] .

---

[١]. سورة البقرة، الآية (١٢٩) .
[٢]. سورة البقرة، الآية (٢٨٢) .
[٣]. سورة آل عمران ، الآية (٧) .
[٤]. سورة آل عمران ، الآية (١٨) .
[٥]. سورة النساء ، الآية (١١٣) .
[٦]. سورة الأعراف ، الآية (٥٢) .
[٧]. سورة الإسراء ، الآية (٣٦) .
[٨]. سورة طه ، الآية (١١٤) .
[٩]. سورة الأنبياء ، الآية (٧٩) .

وقوله تعالى : (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إليك طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [٢] .

وقوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) [٣] .

وقوله تعالى: (ومِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [٤] .

وقوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) [٥] .

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[٦] .

وقوله تعالى: (اقرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۚ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقرأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۙ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [٧] .

والآيات الكريمة في هذا الباب كما ذكرت متوافرة وبكثرة ، تخدم هدفا كليا يصب في مصلحة العلم ودوره وأهميته ، وضرورة الأخذ به ، ولكني مع هذا سأكتفي بالوقوف على مجموعة من الآيات التي يغلب على ظني أنها ستفي بالغرض وتوصل إلى النتيجة والفائدة ما أمكن ذلك والله الموفق .

أما الآية الأولى فهي قوله تعالى: (...وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [٨].

والواقف عند هذه الآية يجد الربط اللامتناهي في التناسق بين التقوى ، والتي تعتبر ثمرة الإيمان ، وبين العلم ، الذي من شأنه أن يخدم الإنسان ، ذلك أن الله تعالى يهب العلم الحقيقي المفيد إلى من يتقيه ويخشاه ، وبالتالي فان هذا العلم بهذه الصفة هو المفيد في بناء وصياغة الحياة

---

[١]. سورة النمل ، الآية (١٥) .
[٢]. سورة النمل ، الآية (٤٠) .
[٣]. سورة النمل ، الآية (٤٢) .
[٤]. سورة فاطر ، الآية(٢٨) .
[٥]. سورة الزمر ، الآية (٩) .
[٦]. سورة المجادلة ، الآية (١١) .
[٧]. سورة العلق ، الآية (١ – ٥).
[٨]. سورة البقرة، الآية (٢٨٢) .

الطيبة التي وعدها من يعمل صالحا وهو مؤمن ، تلك الحياة الطيبة التي تمثل الأمل المنشود للبشرية جمعاء .

أمر الله تعالى في هذه الآية بالتقوى ، وذلك (بالخوف منه سبحانه ، ومراقبته ، وإتباع أوامره ، ووعدنا على التقوى أن يعلمنا ، وهو العالم بحقائق الأمور ومصالحها ، وعواقبها ، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء ، بل علمه محيط بجميع الكائنات ، فإذا تولى تعليمنا ، فذلك الخير كل الخير لنا) [١] .

ولنستمع أيضاً وفي ذات السياق إلى قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * إِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً) [٢] ، ولنتأمل نهاية الآية الكريمة ، ولهديناهم صراطا مستقيما ، وهذه الهداية متمثلة في صياغة الحياة وفق ما أراد الله تعالى الذي يعلم ما ينفع الإنسان ويوصله إلى سعادته المنشودة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطا مستقيما) [٣] .

قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة : (وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه أن يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانا أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل ومنه) [٤] .

ذكر الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره أن الهداية في الدنيا مترتبة على تقوى الله تعالى ، وهذا العلم الذي يحصل به السعادة والرخاء ، وبالتالي يصلح أن يكون هادياً في استجلاب كل ما من شأنه أن يسهم في بناء المستقبل وصناعة الحياة ، فتقوى الله فيما حذر منه ، والمعنى : اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه يعلمكم الله أي أن الله تعالى يعلمكم ما يكون إرشاداً واحتياطاً في أمر الدنيا ، كما يعلمكم ما يكون إرشاداً في أمر الدين " [٥] .

ولصاحب التحرير والتنوير رحمه الله إنارة طيبة في هذا المقام فهو يقول: (أمر بالتّقوى لأنّها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق. وفي هذا تذكير بنعمة الإسلام، الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشريعة، ونظام العالم، وهو أكبر العلوم وأنفعها، ووعدٌ بدوام ذلك لأنّه

---

[١]. سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٦٥٨ .
[٢]. سورة النساء ، الآية (٦٦ – ٦٨) .
[٣]. انظر ابن تيمية ، مجموعة الفتاوي (١٨٠/٣).
[٤]. انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق،جزء ٣ ص٤٠٦ ، وانظر الشوكاني ، فتح القدير، مصدر سابق ،جزء ١،ص ٤١١.
[٥]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ،جزء ٤ ، ص٥٨ .

جيء فيه بالمضارع، وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أنّ التقوى سبب إفاضة العلوم) [١] . وفي إفاضة العلوم ما فيه من إرشاد وإنارة إلى السبيل الأسلم والأحكم لبناء المستقبل ، كيف لا والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل .

نعم ، إن المسلم إذا أراد أن يعلم ما يعينه في يومه وغده ، وفي حاضره ومستقبله ، يجب أن يدرك أن هذا العلم لا يتأتى إلا بشروطه التي منها تقوى الله المتفرع عن الإيمان ، ولذا فن هذه التقوى توصل إلى أن الله تعالى يرشد الناس إلى أحكامه المتضمنة لمصالحكم الدنيا والآخرة [٢].

ولنا مع قوله تعالى : (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)[٣] وقفة تفسيرية ، يراها الباحث ضرورية لشدة تعلقها بسياق الموضوع .

ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى آتى سيدنا داوود وسيدنا وسليمان عليهما السلام علما، قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) [٤] .

وقد بين الله تعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام هذا العلم الذي أتاه الله تعالى إياه فيما يلي هذه الآية الكريمة ، وهو منطق ، وعلم كل شيء ، قال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) [٥] .

وهذا العلم الذي منحه الله تعالى داوود وورثه سليمان عليهما السلام جعلهما يملكان نواصي كل شيء ، فآتاهما الله تعالى ملكاً عظيماً ، سيطرا من خلاله على مقاليد الأمور في ملكهما ، بل وتجاوزا إلى أبعد من ملكهما ليتدخلا في العلم الخارجي عنهما ، فها هو سيدنا سليمان عليه السلام يسمع بقوم يعبدون غير الله تعالى فيرسل إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ، ولكنهم يقابلونه بالامتحان والاختبار ليروا صدقه في دعوته وثباته عليها ، وانه لا يسعى لتوسعة ملكه ، فيبعثون

---

[١]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ،جزء ٣ ، ص ٦ .
[٢]. انظر أبى السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، مصدر سابق ، جزء ١،ص ٣٣٦ .
[٣]. سورة النمل ، الآية (٤٢) .
[٤]. سورة النمل ، الآية (١٥) .
[٥]. سورة النمل ، الآية (١٦) .

إليه بهديه ، فيقرر عليه السلام إعطاءهم درساً في الثبات على المبدأ وعدم قبول زخارف الدنيا إذا كانت على حساب الدين والدعوة ، فيرد لهم هديتهم .

وها هو سيدنا سليمان يعلن في الملأ ، من يأتيني بعرشها ، فيتسابق القادرون لتنفيذ الأمر ، ويستعرضون قدراتهم بما حباهم الله تعالى من خوارق وقدرات ، فتكون المهمة من نصيب من ؟ تكون من نصيب الذي آتاه الله تعالى العلم ، علم من الكتاب ، قال الله تعالى : (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إليك طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [١] .

وهنا يأتي قوله تعالى : (هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) [٢] . فإن كانت تظن أن عندها علم يمكن أن يمنع من وصول سيدنا سليمان والعصبة المسلمة معه إليها فهي مخطئة ، فالمسلم المتقدم والمؤهل للقيادة يمتلك الأسباب لهذه المكانة ، فيقول سيدنا سليمان بأنه أوتى العلم من قبلها ، وهو يعلن بأنه ومن معه من المسلمين ، الذين سلموا أمرهم إلى الله تعالى فآتاهم الله تعالى ما يحكمون به ، وما يضمن لهم السبق على غيرهم .

وأكثر المفسرين على أن الذي آتاه الله علم من الكتاب هو من الأنس وليس من الجن أصحاب الخوارق والقدرات التي هي من خصائص الجن وميزاته ، وإلا لما كان لهذه القدرة ميزة ولما كان لهذا التفوق هذا الاهتمام وتلك العناية .

وقد ذكر القرطبي في تفسيره أن الذي عنده علم من الكتاب هو رجل صالح من بني إسرائيل، وكان صديقاً يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب [٣].

وهذه المناظرة بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة ، وأن الحكمة مكتسبة لقوله : (عنده علم من الكتاب) ، وأن قوة

---

[١]. سورة النمل ، الآية (٣٨ – ٤٠) .
[٢]. سورة النمل ، الآية (٤٢) .
[٣]. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١٣، ص ٢٠٤ .

العناصر طبيعة فيها ، وأن الاكتساب بالعلم طريق لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضاً . فذكر في هذه القصة مثلاً لتغلب العلم على القوة [١] .

عد إلى الآية الكريمة (... وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) [٢] . وانظر إلى التعبير القرآني الدقيق أوتينا العلم ، ومن قبلها ، وكنا مسلمين ، فالعلم والمسلم بينهما رباط وثيق ، والمسلم دوما له السبق والصدارة في كل شيء ، ومنها العلم ، طالما أنه مرتبط بالله تعالى ،

يقول صاحب التحرير والتنوير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة : فمعنى :(من قبلها) إن حمل على ظاهره أن قومهم بني إسرائيل كانوا أسبق في معرفة الحكمة وحضارة الملك من أهل سبأ لأن الحكمة ظهرت في بني إسرائيل من عهد موسى ، وموسى عليه السلام نبي مرسل من الله تعالى ، فقد سن لهم الشريعة ، وأقام لهم نظام الجماعة ، وعلمهم أسلوب الحضارة بتخطيط رسوم مساكنهم وملابسهم ونظام الجيش والحرب والمواسم والمحافل . ثم أخذ ذلك يرتقي إلى أن بلغ غاية بعيدة في مدة سليمان ، فبهذا الاعتبار كان بنو إسرائيل أسبق إلى علم الحكمة قبل أهل سبأ ، وإن أريد ب (مِن قبلها) القبليةُ الاعتباريةُ وهي الفضل والتفوق في المزايا وهو الأليق بالمعنى كان المعنى : إنَّا أوسع وأقوى منها علماً [٣] . وهذا هو حال المسلم على المفترض .

ولا يرى الباحث أن هذه المقولة من كلام بلقيس كما ذكر بعض المفسرين ، فإن الوجه الراجح في سياق النص أنها من كلام سيدنا سليمان عليه السلام ، وليس كما ذكر جمع من المفسرين ، على قول منهم، على ما أورده الإمام القرطبي قي تفسيره وتوقف فيه الإمام نفسه بقوله والله أعلم [٤] . ولا حتى إلى ما ذهب إليه سيد رحمه الله تعالى من أن الكلام لبلقيس [٥] .

وممن قالوا بأن هذا من كلام سيدنا سليمان عليه السلام ، وما يذهب إليه الباحث ويراه متناسبا مع سياق النص ، والأقرب إلى التأويل ، الإمام القرطبي على قول [٦] ، والتعالبي في تفسيره الموسوم الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، وابن كثير رحمه الله في تفسيره [٧]، وغيرهم .

وعلى الرغم من تراوح أقوال المفسرين بين نسبة الكلام إلى سيدنا سليمان عليه السلام ، وبين بلقيس إلا أن الشاهد لا يزال قائما على دور العلم وأهمية التفاضل فيه .

---

[١]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مصدر سابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٨٤ .
[٢]. سورة النمل ، الآية (٤٢) .
[٣]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مصدر سابق ، جزء ١٠ ،ص ٢٨٧ .
٤. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١٤، ص ٤٨٥ .
٥. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٥ ، ص ٢٦٢٤ .
٦. أنظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١٣ ، ص ٢٠٨ .
٧. انظر الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، جزء ٣ ، ص ١٣٧ ، وانظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، جزء ٦ ، ص ١٩٤ .

فالعلم يوصل إلى الحقائق وينجز كل ما يخدم الإنسان في حاضره ومستقبله ، ومن المفترض بأن العلم يثمر منجزات تصب في خدمة البشرية ، وذلك هو العلم الصالح المفيد ، وهو بهذا المفهوم يقرب العبد من ربه ، لأنه يصب في النهاية في الاستخلاف الحقيقي الذي أراده الله من الإنسان ، أما العلم الذي يبعد القلب عن ربه، يقول سيد رحمه الله ، فإنه علم فاسد ، زائغ عن مصدره ، وعن هدفه ، لا يثمر سعادة لصاحبه ولا للناس ، إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار ، لأنه انقطع عن مصدره ، وانحرف عن وجهته .

ولقد انتهت البشرية اليوم إلى مرحلة جيدة من مراحل العلم ، بتحطيم الذرة واستخدامها، ولكنه علم منبت عن غاياته الحقيقية ، وأهدافه التي تصب في خدمة الرخاء والسعادة التي تنشدهما البشرية ، ولكن ماذا جنت البشرية حتى اليوم من مثل هذا العلم الذي لا يذكر أصحابه الله ، ولا يخشونه ، ولا يحمدون له ، ولا يتوجهون بعلمهم إليه؟ ماذا جنت غير الضحايا الوحشية في قنبلتي « هيروشيما » و « ناجازاكي » . وغير الخوف والقلق الذي يؤرق جفون الشرق والغرب ويتهددهما بالتحطيم والدمار والفناء [١].

وفيه تساؤل لفوكوياما مثلا ، عن مبرر استغلال تطور العلم والتكنولوجيا في تسخيرها للشر ؟ والتي يفترض بالأساس أنها تزيد من تقدم ورقي المجتمعات أجاب بأن قدرة التكنولوجيا على تحسين الحياة البشرية تعتمد على التقدم الأخلاقي الموازي للتقدم العلمي وبدون ذلك ستتحول التكنولوجيا لخدمة أغراض الشر وستصبح الإنسانية أكثر سوءا مما كانت عليه في الماضي [٢] .

وعليه ، يرى الباحث في دراسته هذه أن العلم يصلح أن يكون مقوماً من مقومات بناء المستقبل ، إذا كانت غاياته وأهدافه تتناسب وحقيقة دور الإنسان في الوجود ، وبذلك فان أسلمة العلم – كما يرى الباحث – ضرورة حضارية يجب أن تولى الأهمية القصوى عند العلماء المسلمين ، وأقصد بأسلمة العلم هنا أن تتناسب الغاية والأهداف المرجوة منه مع الغاية الكلية من الوجود الإنساني ، وبالتالي فإن أي علم والحالة هذه ، يقرب صاحبه من الله تعالى ، ويسهم إسهاماً مباشراً في التناسق التام مع غاية هذا الوجود ، فالمعمل بالنسبة للمخترع المسلم يصبح محراباً من محاريب العبادة والقربى إلى الله تعالى ، وكذا الصانع في مصنعه ، وينطبق ذلك على كل علم من العلوم إذا صلحت النيات وسلمت المقاصد والغايات .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان أسلمة العلم بهذا المفهوم وصياغته بالصيغة الإسلامية ينسجم مع خصائص هذا الدين ، الذي يتسم بالشمولية والعالمية ، فالعبادة في المفهوم الإسلامي تعني في العموم أن تكون كل حركات وسكنات الإنسان وأفعاله وتركة وفق ما أمر الله تعالى .

---

[١]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٥ ، ص ٣٧٤ .
[٢]. www.tahawolat.com

وفي مقالة للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا تحت عنوان نظرية العلم الإسلامية نحو حضارة إسلامية مستقبلية أساسها الدين والعلم ، يؤكد على أن صياغة مثل هذه النظرية يجب أن يتم في إطار نظرية أعم يستعين بها المسلمون على تغيير واقعهم وتطويره بمعايير الإسلام وأدواته في التغيير والتطوير، وينظرون من خلالها النظرة الإسلامية الرشيدة لقضايا الكون والحياة، ويواجهون بها كل ضروب التحدي الوافد أو الموروث، وتكون في الوقت نفسه بيانا لغير المسلمين بالإسلام وخصائصه التي تعلق عليها البشرية آمالها في الخلاص من حالة القلق التي تعاني منها الحضارة المادية المعاصرة، وعندئذ سيكون لها أجل الأثر في تصحيح وجهة العلوم لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا ما درسوا الإسلام في حقائقه، واستفادوا منه في إصلاح شئون حضارتهم [١].

والباحث يعتقد أن إدراك المسلمين لهذه الفكرة ، فكرة أسلمة العلوم ، وربطها بكل مناحي الحياة ومفرداتها وصبغها بالصبغة الإسلامية ، وصياغتها صياغة عملية ، أقول إن إدراك ذلك بكل أبعاده الإسلامية من شأنه أن يصوب المسار للعلم ويوجهه إلى خير البشرية والى صناعة مستقبل منشود .

يقول الباشا من هنا تظهر أهمية الدعوة إلى صياغة نظرية عامة للعلم والتقنية في إطار من التصور الإسلامي السليم، لكي تواكب حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة، وتكون إحدى مقوماتها الأساسية، انطلاقا من حقيقة أن المنهج العلمي الإسلامي سيكون هو الأقدر على تهيئة الإنسان لكل ما يمكن أن تسفر عنه الثورة العلمية والتقنية المرتقبة في المستقبل القريب أو البعيد [٢] .

إن بناء المستقبل يحتاج إلى علم ، وإن هذا العلم يحتاج إلى أن تكون نظرتنا إليه نظرة تتناسب مع حجم ما هو مطلوب ، وبذلك فإن العلم كمقوم من مقومات بناء المستقبل يعتبر أساسا من الأسس التي ينبغي أن تنطلق منه أية عملية بنائية يراد لها الاستمرار والبقاء ، ويراد منها أن تثمر مستقبلاً زاهراً ومزدهراً ، لا ينعم به فقط أصحابه القائمين عليه ، بل يتعداهم ليطال البشرية جمعاء .

إن استعداد الإنسان للعلم هو سر استخلافه في الأرض مصداقا لقوله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [٣] .وفي عصرنا ، ظهرت وتبينت لنا آفاق هذا السر كثيرا حيث نرى ما استطاع الإنسان أن يكتشفه من

---

١. http://www.islamset.com/arabic/ahip/alalom/basha.html
٢. المرجع ذاته
٣. سورة البقرة ، الآية (٣١) .

أسرار هذا الكون ، ولكنه وللأسف الشديد سخره من أجل التدمير والإفساد ، بسبب غياب المسلمين عن حكم العالم بكلمة الله تعالى ، وكان هذا من عوامل سيطرة الكافرين ، إن على المسلمين اليوم أن يعودوا رجال قمة في كل اختصاص كوني [١] .

ويخلص الباحث من ذلك كله إلى النقاط التالية :

- إن الإسلام اعتنى عناية خاصة وعظيمة بالعلم ، وجعله من باب القربات التي تدني المسلم من ربه .
- لا يستوي أهل العلم مع غيرهم ، بل هم عند الله تعالى ومن ثم عند أولي الألباب أفضل وأنفع ، قال الله تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) [٢] .
- العلم وحده ، بحسب الباحث ، لا يشكل أساس التقدم و الحضارة والمستقبل ، وإنما هذا العلم مرهون بالدين والإيمان ، فلا حضارة ولا مستقبل ولا استقرار ولا سعادة ولا هناء بلا دين؛ لأن الحضارة الفاسدة وإن كانت عالية ومتقدمة في المجال المادي ، وخالية من الدين قد تحمل في طياتها بذور دمارها وموتها.
- العلم، بلا شك، مقوم أساس من مقومات بناء المستقبل، ولا يمكن أن نتصور مستقبلاً مبنياً بناءً عظيماً ورائداً دون العلم.
- القوة العلمية أهم متطلبات علو الأمة ومن أهم أسباب نهضتها ، ومن أولى مقومات بناء المستقبل لها ،ذلك أن القوة العلمية لا تقل أهمية عن غيرها من المقومات إلا بقدر الأخذ بها وامتلاك أدواتها .
- يعتبر العلم معياراً من معايير التفاضل بين الأمم .
- العلم المفيد هو العلم الذي يقدم خدمة للبشرية ويسهم في صياغة مستقبل أسعد لها.
- العلم يقسم بالنظر إلى غايته إلى قسمين ، دنيوي ، وأخروي ، وليس المقصود في المنظور القرآني ، بحسب الباحث ، أحدهما دون الآخر ، بل أن المسلم معني بهما معا ، من باب أنه مأمور بأن يعمر الدنيا كأنه يعيش فيها أبدا ، وأن يأخذ منها إلى آخرته كأنه سينتقل إليها غدا .
- يجب على العلماء المسلمين ، وهم أهل لذلك ، أن يصبغوا العلم بصبغة إسلامية تتناسب وروح الإسلام ، وتنسجم مع خصائص الإسلام من شمولية وعالمية ، وهم كذلك مدعوون إلى

---

[١]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ١٢١ .
[٢]. سورة الزمر ، الآية (٩) .

صياغة العلم صياغة عملية تطبيقية تفيد منها البشرية ولا تبقى مجرد نظريات لا يراد منها إلا الهاء العقل والفكر بالنقاش والحوار .

- المسلمون، والشواهد كثيرة، هم أهل العلم وقبلته الأولى، وقد كانت أوروبا يوما غارقة في الظلام قبل أن تأخذ القبس من نور المسلمين، وهي باعتراف المنصفين من علمائها تدين للحضارة الإسلامية.
- لا يرتفع للمسلمين ذكر ، ولا تقوم لهم قائمة إلا إذا تصدوا للعلم وامتلكوا أدواته ، ونهلوا من معين العلم الذي لا ينضب ، القرآن الكريم ، وربطوا ذلك كله مع الإيمان ، فبالعلم والإيمان تصنع الحضارات ويستشرف المستقبل ، وتكون الخطى إلى بناء مستقبل مشرق أكثر ثباتاً ووضوحاً ، وأعظم أثراً وتأثيراً .
- لنا في القصص القرآني ، كمسلمين ، أروع الأمثلة في دور العلم في بناء الأمم وصناعة الانتصارات ، فقد ميز الله تعالى آدم عليه السلام عن الملائكة ،بالعلم ، قال الله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [١] ، وكذا فقد وهب الله تعالى ملكا لسليمان عليه السلام ، لا ينبغي لأحد من بعده ، يتمثل في العلم الذي سخر الله له تعالى به كل شيء ، بعد إكرامه له وتأييده بالمعجزات ، قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)[٢] ، لنقل مثل ذلك مع سيدنا يوسف عليه السلام ، حيث تقدم لاستلام القيادة وإدارة البلاد بعد فضل الله تعالى عليه وتمكينه ، إلى ما حباه الله تعالى من علم ، يدرك من خلاله كيفية تسيير شؤون الدولة والخروج بها من المجاعة التي تتهددها في المستقبل إلى أن تكون الممول الرئيس وقبلة الناس في مؤو نتهم وقوتهم ، قال تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليوم لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (٣١ – ٣٣) .
[٢]. سورة النمل ، الآية (١٥) .

اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [١] ، وقل مثل ذلك ، بحق الرجل المؤمن الصالح ذي القرنين ، الذي حكم الدنيا يوما ، وهو ليس بنبي ، ولكن الله تعالى أعطاه أسباب التمكين فما كان منه إلا أن بذل الجهد وأتبعه بالجهد القائم على العلم وإدراك الأمور ،حتى دانت الأرض لشرع الله تعالى وحكمه ، قال تعالى : (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً) [٢] ، وأخيراً وليس آخراً ، ليس ما ذكرت إلا مجرد أمثلة ، وإلا فإن الأمر أوسع من ذلك ، نقول مثل ما سبق ، وأكثر منه ، بحق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمتمثلة بالقرآن الكريم ، كتاب الهداية والعلم ، الكتاب الخاتم الذي كانت أول كلمة في آخر رسالة من السماء إلى الأرض فيه هي كلمة " اقرأ " ، كتاب أخرج الله تعالى فيه الناس من الظلمات الحالكات إلى النور الساطع الذي أضاء سماء الدنيا يوما ، والأمل معقود أن ينيرها في مستقبل الأيام فلا غناء للبشرية عن هذا النور ، وما الظلمة ولا الظلم ولا الظلام الذي غرقت فيه البشرية وتغرق فيه كل يوم إلا ببعدها عن مصدر النور والهداية والعلم ، كتاب ربها ، ويوم أن تعيد الأمة صلتها بربها وتتسلم زمام المبادرة وفق تعاليم هذا الدين ، فلتبشر الإنسانية بالنور والنعيم في الدنيا قبل الآخرة ، والرجوع إلى القرآن الكريم ودراسته دراسة تفصيلية متأنية تضع المسلم أمام كم هائل من الآيات المبثوثة هنا وهناك ، وما توحي به هذه الآيات من معان يعجز الإنسان أن يحيط بكل معانيها ، أو الوقوف على كل ما توحي به من توجيهات .

- لا يغتر الإنسان المسلم بالحضارة المادية الزائفة، والتي أشبعت ،أو تكاد ، جانبا بسيطا من جوانب الحياة ، فهذا العلم الذي لا يغذي روح الإنسان ، ولا يفيده في صياغة حياة سعيدة قائمة وفق علم الله تعالى وحكمه وحكمته ، سماه القرآن الكريم العلم الظاهر، وسمى المتصفين به بالغافلين ، قال تعالى : (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) [٣].

- القبلية والصدارة في العلم للمسلم، فهذا شأنه وذاك ميدانه، وكما ذكرنا سابقا فهو محرابه أينما كان، طالما أن نيته لله تعالى، ومن ثم خدمة البشرية ورفدها بأسباب السعادة والريادة والهناء.

---

[١]. سورة يوسف ، الآية (٥٤ – ٥٥) .
[٢]. سورة الكهف ، الآية (٨٤ – ٨٥) .
[٣]. سورة الروم ، الآية (٧) .

- العلم وعاؤه اللغة ، واللغة العربية لغة القرآن الكريم ، أعظم لغة وأقدرها لان تكون لغة الحضارة ، وهي قادرة على استيعاب كل المفردات والألفاظ الحديثة وصهرها وإخراجها إلى بشكل سهل ميسور ومعبر ، وهذه دعوة إلى ضرورة العودة إلى اللغة العربية وايلائها العناية التي تستحق ، والتي تتناسب مع كونها اللغة الأقدر على استيعاب حضارة اليوم والغد .
- إن حاجة الشعوب المسلمة إلى العلم الشرعي تمتد بالضرورة إلى حاجتها لعلوم ومعارف أخرى كعلم الحاسب ، والطب ، وعلم صناعة الأسلحة وغيرها، بل يجب أن تكون هذه العلوم محل عناية المسلم واهتمامه في عصرنا الحاضر لأنها لم تعد مجرد حاجة بل أصبحت ضرورة قصوى في وقت تخلَّف فيها المسلمون عن غيرهم من الأمم . يقول الله عز وجل: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إليكم وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) [١].

المطلب الثالث

التاريخ

الباحث في هذه الرسالة ليس بصدد تعداد جميع مقومات بناء المستقبل ، إنما هي عملية استشراف لمقومات يراها الباحث أساسية في عملية البناء الحضاري وصناعة المستقبل ، وبهذا فان المقومات التي تصب في عملية بناء المستقبل عديدة ولا يمكن أن نحصرها في هذه الدراسة ، يعتبر هذا العنوان أحد الفصول المكونة للرسالة .

والتاريخ ، بلا شك ، أحد أهم العوامل والمقومات التي تساعد وتعين وتساهم بشكل مباشر ومؤثر في عملية البناء الحضاري ، وقد حث القرآن الكريم في عدد غير قليل من الآيات الكريمة على السير في الأرض والنظر في أحوال من سبق ، من هذه الآيات مثلا قوله تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [٢].

وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [٣].

---

[١]. سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .
[٢]. سورة آل عمران ، الآية (١٣٧) .
[٣]. سورة الأنعام ، الآية (١١) .

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إليهم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [١] .

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [٢].

وغير ذلك من الآيات التي سأذكرها في موضعها فيما سيأتي في هذه الرسالة عند الحديث عن الآيات ذات الصلة والعلاقة بالتاريخ ودوره.

وقد كان هذا الحث ، وهذا الحض من القرآن الكريم على السير في الأرض بما يحقق دراسة حياة الأمم ، حتى تكون هناك العبرة والعظة والدرس ، وحتى يستطيع الناظر بعقله وقلبه إدراك أحوال الأمم السابقة ، وما آلت إليه أحوالهم في حياتهم التي عاشوها ، وبالتالي يسير مع الخط والنهج الذي كتب له التاريخ انه قد عاش عيشة كريمة عزيزة ، ويتجنب ذلك الخط الذي أودى بأصحابه إلى الهلاك والدمار والانحطاط .

يقول ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: (فإن القرآن يأتي بذكر الحوادث التاريخية تعليماً للأمة بفوائد ما في التاريخ، ويختار لذلك ما هو من تاريخ أهل الشرائع، لأنه أقرب للغرض الذي جاء لأجله القرآن) [٣].

وعلى ذلك ،فقد ذكر علماؤنا أن التاريخ مرآة الأمم ، يعرض الماضي بكل أحداثه ، ويربط ذلك بالحاضر الذي يعيشه الناس ، ويتصدى العلماء من خلال ذلك كله إلى استشراف المستقبل على ضوء ذلك ، وما الحديث لذي مر في فصل كامل عن السنن الإلهية في المجتمعات والأفراد إلا من باب أنه يصب في خدمة هذا الهدف .

وأكثر من ذلك ، فان الباحث يرى في دراسته هذه ، أن العملية الاستشرافية هي عبارة عن النظر في السابق والماضي ، وهو التاريخ ، واستلهام المستقبل من خلال ذلك كله .

وإذا قلنا بأن التاريخ يعني فيما يعنيه دراسة الماضي والانطلاق منه إلى المستقبل ، فإن هذا وكما وصفه ابن خلدون رحمه الله في مقدمته بأنه فن عزيز المذهب ، فهو يقول عند حديثه عن أهمية وفضل التاريخ : (أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ

---

[١]. سورة يوسف ، الآية (١٠٩) .
[٢]. سورة النحل ، الآية (٣٦) .
[٣]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء٢ ، ص ٤٠٣ .

هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا) [١] .

إن دراسة التاريخ تعتبر دعامة أساسية من دعائم ومقومات استشراف المستقبل ، ذلك أن دراسة الماضي تشكل تصورا عما كانت عليه الأمم السابقة ، وما هي الأحوال والأطوار التي مرت بها تلك الأمم ، وبالتالي السير على ضوء ذلك للوصول إلى النجاح والهروب بعيدا عن الفشل والدمار والهلاك .

والقرآن الكريم قد حث المسلم على السير في الأرض ، وأمر بهذا السير واعتبره عباده يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى ، عبادة السير والتفكر في ملكوت الله تعالى ، وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحض والحث على دراسة التاريخ ، ومنها مثلا القصص القرآني ، بل أن القرآن الكريم فيه سورة كاملة أسمها سورة القصص ، وفي ذلك ما فيه .

وعلى منهج الباحث في ما مضى من الرسالة فإنني سأستعرض الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة بالتاريخ، وسأقف على أقوال المفسرين القدامى والمحدثين للخروج بتصور يتناسب مع إيضاح الصورة ويحقق جانبا من هدف هذه الدراسة، والله المستعان.

من هذه الآيات الكريمة، بالإضافة إلى ما سبق ذكره من آيات،

قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [٢] .

وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) [٣] .

وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [٤] .

وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً) [٥] .

---

[١] . انظر ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص ١٢١ .
[٢] . سورة الحج ، الآية (٤٦) .
[٣] . سورة النمل ، الآية (٦٩) .
[٤] . سورة الروم ، الآية (٩) .
[٥] . سورة فاطر ، الآية (٤٤) .

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إليهم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [١].

وقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [٢].

ولا يستطيع الباحث في دراسته هذه أن يقف على تفسير كل هذه الآيات ، فليست دراسته في التفسير الموضوعي ، بل سوف أحاول أن أقف على بعض الآيات الكريمة التي من شأن الوقوف عليها أن يربط بين تفسيرها وبين خدمة الهدف الذي يرجوه الباحث من هذه الدراسة .

إن التاريخ يعد بمثابة الجذر الذي يضرب في الأرض، فهو لهذه الأمة ضارب في أعماق الزمن، وتمتد بجذورها باسقة في السماء على أصل ثابت ومتين، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا قلنا سابقاً ، في هذه الدراسة ، أن الإيمان والعلم مقومان أساسيان من مقومات بناء المستقبل ، فإن التاريخ والحالة تلك ، أيضاً ، ومن منظور القرآن الكريم ، مقوم أساس ، بل إن الدين يدعو للنظر في التاريخ ، قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [٣].

ففي هذه الآية الكريمة دعوة للسير في الأرض ، والاعتبار بهذا السير ، واستخدام القلب الذي يعقل ، والأذن التي تحسن الاستماع ، والعين الثاقبة التي تتقن النظر ، فالأمر المشاهد له باطن وظاهر والذي يتصف بما مر ، قادر على فهم الأشياء بصورة أفضل من ذاك الذي يحمل قلبا لا يعقل ، أو أذنا لا تحسن السمع ، أو عينا لا تتقن النظر .

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة : " أفلم يسر هؤلاء المكذّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذّبي رسل الله الذين خلوْا من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكَّروا فيها ويعتبروا

---

[١]. سورة يوسف ، الآية (١٠٩) .
[٢]. سورة النور ، الآية (٥٥) .
[٣]. سورة الحج ، الآية (٤٦) .

بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذب رسله، فينيبوا من عتوّهم وكفرهم، ويكون لهم ذلك إذا تدبروا واعتبروا به وأنابوا إلى الحقّ "[١].

وفي هذا يقول المفسر ابن عادل رحمه الله إن الله تعالى أمر بأن يسيروا في الأرض فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية ، فذكر ما يتكامل به الاعتبار ، لأن الرؤية لها حظّ عظيم في الاعتبار ، وكذلك سماع الأخبار ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبير القلب ، لأن من عاين وسمع ولم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع [٢] .

والله تعالى يخاطب الناس كافة ، والمؤمنين خاصة ، بأن يسيروا في الأرض ، ويستشرفوا مستقبلهم من خلال النظر في حال من سبقهم ، ويوجههم الله تعالى أن يكون ذلك الاستشراف من خلال حسن النظر ، النظر الذي يتعدى مجرد النظر ليصل إلى الاتعاظ واستشراف النتائج بالنظر إلى أحوال من ينظر إليهم .

والناس في هذا السير مدعوون لأخذ العبرة والعظة لا للتسلية ، ولو أنهم أحسنوا النظر في سير التاريخ ، كما يقول سيد رحمه الله تعالى ، ولو كانت هذه القلوب مبصرة لجاشت بالذكرى ، وجاشت بالعبرة ، وجنحت إلى الإيمان خشية العاقبة الماثلة في مصارع الغابرين ، وهي حولهم كثير [٣] .

يقول أبو السعود رحمه الله بأن في هذه الآية حث لهم على السفر ليرَوا مصارع المهلَكين فيعتبروا وهمُ وإنْ كانُوا قد سافروا فيها ولكنَّهم حيث لم يُسافروا للاعتبارِ جُعلوا غيرَ مسافرين فحثُّوا على ذلك [٤] .

ويدعم ذلك ويعضده، قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[٥].

أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها للتجارة ، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرهم في تكذيبهم لرسلهم، فقد كان غيرهم ممن كان قبلهم أشد منهم قوّة ، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم

---

[١]. انظر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١٨ ،ص ٦٥٧ ، وانظر السمرقندي ، بحر العلوم ، مصدر سابق ، جزء ٣ ،ص ٣٥٤ .

[٢]. أنظر سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي ، ت (٨٨٠) ، تفسير اللباب في علوم الكتاب ، جزء ١١، ص ٤٣١ .

[٣]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٥، ص ٢٠٣ .

[٤]. انظر أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، مصدر سابق ، جزء ٤ ، ص ٤٧٢ .

[٥]. سورة الروم ، الآية (٩) .

رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض [١].

يقول ابن عجيبة رحمه الله ،إن الله تعالى بعد أن حثهم على السير والاعتبار ، وجههم إلى أن ينظروا إلى آثار الذين من قبلهم؛ كيف دمرهم الله ، وأخلى بلادهم ، وبقيت دارسة بعدهم ، كعاد وثمود ، وغيرهم من الأمم العاتية ، والجبابرة الطاغية ، حتى كان منهم من يفتل الحديد بيده ، ويقلب وجه الأرض بالحراثة ، ويستنبط المياه ، ويستخرج المعادن ، وغير ذلك ،وهم كذلك ، أي ممن سبق ، عمروا الأرض أكثر مما عمرها أهل مكة ، فإن أهل مكة أهل واد غير ذي زرع ، ولا تبسطَ لهم في غيرها . وجاءتهم رسلهم بالبينات ،بالمعجزات الواضحات ، فلم يؤمنوا؛ فأُهلكوا ، حيث ارتكبوا ما أدى إلى تدميرهم [٢].

ويربط سيد رحمه الله تعالى بين السير في الأرض وأخذ العبرة وبين سنن الله تعالى في الناس باعتبار أن في هذه الآية الكريمة دعوة إلى التأمل في مصائر الغابرين؛ وهم ناس من الناس ، وخلق من خلق الله ، تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية ، فسنة الله هي سنة الله في الجميع ، وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود ، بلا محاباة لجيل من الناس ، ولا هوى يتقلب فتتقلب معه العواقب . حاشا لله رب العالمين! [٣].

ولنا مع القصص القرآني وقفة تفسيرية مفيدة ، في قوله تعالى مثلا (... فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [٤].

يقول الطبري رحمه الله تعالى في قوله تعالى : (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ)، فإن الله تعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاقصص، يا محمد، هذا القصص، الذي اقتصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا على قومك من قريش، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات) [٥].

---

[١]. انظر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مصدر سابق ، جزء٢٠ ص ٧٨ .
[٢]. انظر ابن عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، مصدر سابق ، جزء ٤ ، ص ٤٩٦ .
[٣]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٥ ، ص ٤٨١ .
[٤]. سورة الأعراف ، الآية (١٧٦).
[٥]. انظر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١٣، ص ٢٧٤ .

والقصص القرآني يعتبر السجل التاريخي الأصدق والأوثق لمعرفة ما حصل مع الأمم السابقة ، كونه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبذا يعتبر المصدر الأوثق والأصدق للمعلومة التاريخية ، وهو ما يجعل دراسة القصص القرآني من هذا المنظور يحظى بالأهمية القصوى في هذه الدراسة على اعتبار أننا نريد أن نستشرف المستقبل بالنظر إلى ما كان عليه حال من قبلنا .

والقصص القرآني فيه الفائدة كل الفائدة في مجال استشراف المستقبل للأمة التي تحسن الاتعاظ من قصص من سبقهم ، لذلك كان التعقيب القرآني واضحا ودقيقا عندما ختم الحديث عن القصص بأنه عبرة لأصحاب العقول والأفهام ، قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [١] والقرآن الكريم يذكر في أكثر من موضع عند حديثه عن القصص بأنه ذكرها للعبرة والاتعاظ وأخذ الدرس والسير على ضوء التجارب التاريخية الناجحة ، والاحتراز عن الوقوع في المهالك .

يقول ابن عاشور رحمه الله في تحريره وتنويره ، إن في القصص القرآني أمراً بالتفكر ومحلاً للموعظة ، فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم ، لأن للأمثال واستحضار النظائر شاناً عظيماً في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة ، لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس ، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس [٢] .

ويخلص الباحث من ذلك كله إلى النقاط التالية :

- التاريخ، وكما ذكرنا، هو دراسة لسنن الله تعالى في الأمم السابقة، واستلهام العبر والعظات والدروس المفيدة.
- التاريخ يقرر مجموعة من الخيارات التي يمكن أن تنتهجها الأمم، ويضع لكل خيار نهاية واضحة تماما، يمكن للأمة أن تستلهم منه المستقبل الذي تريد.
- في دراسة التاريخ صورة تطبيقية حقيقية ، يمكن أن يستضاء بها لاستدراك عوامل الضعف ، والإكثار من مقومات القوة ، ومن ذلك إن دراسة التاريخ تفيد في معرفة خطط الآخرين الناجحة ، وأخطاء الآخرين الفادحة ، وبالتالي الاستفادة من ذلك .

---

[١]. سورة يوسف ، الآية (١١١) .
[٢]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ٦ ، ص ١٤ .

- دراسة سنن الله تعالى تصب صباً مباشراً في فهم التاريخ ، أو إن شئت قل العكس من ذلك ، أي أن دراسة التاريخ تصب في خدمة فهم السنن .
- التاريخ فيه استشراف لمستقبل إن أحسن استقراؤه، وفهمه على الشكل الذي يجب.
- العناية والرعاية التي أولاها العلماء من مسلمين وغيرهم، للتاريخ، تسجل نقطة إضافية تصب في أهمية دراسته واستكشافه.
- الحملة العنيفة التي يشنها الأعداء على تاريخ هذه الأمة يشير بكل وضوح إلى أهمية التاريخ في صناعة المستقبل ، ودوره في استنهاض الأمم والرغبة العارمة التي تتملك الأفراد لاستذكار مواقف العزة والقوة والسيادة والقيادة التي حظيت بها الأمة يوما ، والخوف كل الخوف ، من الأعداء أن يتوجه الجيل الناشئ للمطالبة بهذا الإرث وتلك المكانة .
- إن الإيمان بالله تعالى والتمسك بتعاليمه سبحانه ، وحسن الأخذ بها في كل شأن من شؤون حياة الإنسان ، دون إغفال أي جانب منها ، أخذا عملياً فاعلاً مؤثراً من باب ضرورة أن يقوم الإنسان الخليفة بما أمره به ربه ، دون تدخل في هذه الأوامر إلا من جهة التطبيق والتنفيذ ، بحكمة وشمولية ، وبحسن التعاطي مع هذه الأوامر بما يتناسب مع كل عصر وأي مكان ، بما لا يخالف القواعد الأصولية والأسس الكلية الثابتة لهذا الدين ،على تقوى من الله تعالى ، يعتبر المقوم الأول من مقومات بناء المستقبل المنشود من منظور القرآن الكريم ، فأي مجتمع يغفل الجانب الإيماني مجتمع ميت لأنه يفقد روح الحياة ومحركها وسبب وجودها ، ثم إن العلم الذي دعا إليه القرآن الكريم يعتبر مقوماً آخر مهماً وأساسياً من مقومات بناء المستقبل على أسس سليمة وقواعد متينة ، فالجهل يهدم المجتمعات ولو كانت قوية في ماديتها ، وسرعان ما ينبت بالمجتمع الجاهل كل عوامل الفناء والاضطراب وبالتالي الدمار والسقوط ، فالقرآن الكريم يدعو إلى العلم ، كما ذكرنا ، يحض ويثيب عليه ، بل عده الإسلام جانباً من جوانب العبادات التي يتقرب به المسلم إلى الله تعالى ، فبالعلم يصل الإنسان إلى صناعة حياته ، بما يخدمها وييسرها ، ويجعلها أكثر سهولة وواقعية ، وهو كذلك ، أي العلم، يسخر ما في هذا الكون لخدمة الإنسان في هذه الأرض وفق منظور القرآن الكريم ، بأن الله تعالى قد خلق للإنسان كل ما في هذا الكون ليكون مسخراً له وميسراً ، بدءاً من الذرة وانتهاءً بالأرض التي جعلها الله تعالى ذلولاً مطيعة مسخرة لعيش الإنسان فيها ،قال الله تعالى : (اللّهُ الَّذِي رَفَعَ

السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) [١] .

وقال تعالى : (اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) [٢] .

وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) [٣] ،

والآيات الكريمة في هذا الباب كثيرة ، أكتفي منها بما ذكرت ، وكلها تدل على أن الله تعالى خلق للإنسان في هذه الأرض كل شيء وسخر له هذه الأشياء بما يعينه على تحقيق المهمة والغاية التي خلقه الله تعالى من أجلها ، ويعتبر التاريخ والنظر إليه والانطلاق من خلاله مقوماً أساساً ، بحسب الباحث ، من مقومات بناء المستقبل ، ذلك أن الأمة التي لا ماضي لها ، لا يلوح لها في الأفق مستقبل ، أو على الأقل لن يكون بعمق تلك الأمة التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ البشري ، والتي أسهمت وتسهم في كل عصر بتقديم كل ما من شأنه أن ينير للبشرية طريقها ، وكل ما من شأنه أن يضيف للحضارة البشرية ما يعينها على استلهام الرؤية الأكثر وضوحا للمستقبل الذي تنشد ، إن التاريخ ، بحسب الباحث ، لا يمكن تجاهله عند الحديث عن الحضارة والمستقبل ، وهو بهذا يعد من المقومات الرئيسة لأي بناء حضاري يراد للبشرية ، من باب تراكم الخبرات الإنسانية ، من جهة ومن جهة أخرى باعتباره نماذج حقيقية مجربة لحركات الأمم السابقة باتجاه بناء المجتمع والبحث عن مكان يليق بكل أمة في زمانها ، بحيث كان ولا يزال الصراع قائما بين الأمم ، على مكان الصدارة والقيادة والاستقلال الكلي .

- إن الحديث المتشائم الذي يدور بين أولئك المتخاذلين الذين ينظرون إلى واقع الأمة اليوم ، دون النظر في حياة الأمم السابقة ، يجعلهم يخرجون بنتائج سوداوية لا تنسجم ولا تتناسب مع حركة المجتمعات ، فالنظر وحده إلى ما هو عليه الأمة اليوم يشير أن لا ثمة ضوء في الأفق ، وهذا ، كما ذكرت ، مردود ، بل إن نظرة سريعة لما كانت عليه الأمة من عزة وصدارة ، ودراسة جادة للمقومات والمقدرات والمؤهلات التي استخدمتها ، حين وصلت إلى قمة أستاذية العالم ، وتلك

---

[١]. سورة الرعد ، الآية (٢) .
[٢]. سورة إبراهيم ، الآية (٣٢- ٣٣) .
[٣]. سورة لقمان ، الآية (٢٠) .

المكانة ، يضعنا جميعاً أمام مسؤولياتنا تجاه هذا الدين ، ويرينا مدى التقصير والبعد عن المنهج الموصل للصدارة والأستاذية ، هذه الرؤية التي يريدها الباحث هنا ، الرؤية الإيجابية ، وليست الرؤية المؤدية إلى البكاء على الأطلال ، والتي لا تكاد تتجاوز الندب واللطم على الماضي ، ولا حتى مجرد التغني به .

هذه المنظومة الثلاثية ، الدين ، والعلم ، والتاريخ ، تشكل أساسا متينا ، بحسب الباحث ، لبناء مستقبل منشود ، ولست أدعي هنا ، أن بناء المستقبل فقط مرهون بهذه الثلاثية ، ولكن هناك مقومات أخرى يعتقد الباحث أنها تصب في هذه المنظومة الثلاثية .

وبحسب تقسيم الباحث لمقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، فقد اجتهد أن تكون ضمن محورين ، معنوي ومادي ، مقومات معنوية ، روحية ، نظرية ، ومقومات مادية سيتحدث عنها الباحث في المبحث القادم بإذن الله تعالى ، ولعل الله تعالى ييسر لي في غير هذه الدراسة أن أقف على تلك العوامل بالتفصيل والبحث الأوسع ، وإلا فإن المقصود في هذه الدراسة أن أستشرف المستقبل من منظور القرآن الكريم ، وليس هذا المبحث إلا جزءاً يسيراً يصب في خدمة هذا الهدف الكلي ، فالمقومات التي طرحها الباحث في دراسته هذه ، تعتبر أسساً يجدر أن تبحث تفصيلا ، ويبحث عن غيرها في دراسات اخرى متخصصة بإذن الله تعالى ، والله المستعان ، وأرجو الله تعالى أن يعينني كي أتصدى لهذا الموضوع لأهميته ودوره في إيضاح الصورة وخدمة الهدف .

إن استنهاض عوامل ومقومات بناء المستقبل المعنوية يقع على عاتق الأمة جمعاء ، وليس على فئة دون أخرى ، فالجميع معني أن يسهم بشكل أو بآخر ، في المنظور القرآني ، في عملية البناء ، فالفرد عنصر إيجابي ، وسلبيته تعتبر أداة من أدوات التأخر والخلل ، وعندما تجتمع المقومات المعنوية لدى أمة من الأمم فإنه يمكن اعتبارها نموذجا من نماذج القوة والإبداع ، والمساهمة القوية في بناء مستقبل واعد تبحث عنه البشرية بشغف وتعطش .

المبحث الثاني

المقومات المادية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإنسان (الخليفة)

المطلب الثاني : الإمكانات والثروات الهائلة

المطلب الأول

الإنسان الخليفة

بعد أن بين الباحث المقومات المعنوية أو الروحية لبناء المستقبل من منظور القرآن الكريم، يجد لزاماً عليه أن يضيف المقومات المادية التي تتكامل مع المقومات المعنوية لتشكلا أسسا متينة لبناء المستقبل المنشود.

ولست أقدم جديداً إن ذكرت هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على هذين الجانبين وأولاهما العناية القصوى فور وصوله المدينة المنورة وبنائه لأول دولة في الإسلام ، ليكون بعد ذلك الأنموذج الأسلم لأي بناء يراد له الثبات والدوام ؛ فها هو صلى الله عليه وسلم يحرص على بناء المسجد ويسارع إلى بناء المؤاخاة بين المسلمين ، ويكمل بوضع الدستور والنظام الداخلي ، ومن ثم السوق الاقتصادي ، ليصار إلى بناء القوة العسكرية التي تحمي ذلك كله وتعمل على بقائه واستمراره ، وتلك في مجموعها تمثل الأسس المادية والمعنوية للبناء السليم للمجتمعات والدول .

ويرى الباحث أن الإنسان الذي خلقه الله تعالى وهيأه ليكون خليفة له في أرضه ، يعتبر محور هذا الكون ، بحسب الباحث ، من باب أن الكون مسخر له ، وهو مخلوق لله ولعبادة الله تعالى ، وهذا الإنسان بهذه الصفة ينبغي أن يكون الأساس في بناء أي حضارة وأي مستقبل .

والإنسان بهذه الصفة كذلك ، ينبغي أن يولى من الأهمية والعناية والرعاية والإعداد ما يؤهله لأن يكون عنصراً فاعلاً مؤثراً إيجابياً مستعداً للمساهمة في صياغة المستقبل وصناعة الأمم .

إن أي حضارة ، كما ذكرنا سابقاً ، بالنسبة للدين والعلم والتاريخ ، لا يمكن أن تقوم بدون الإنسان ، فهو مقوم أساس من مقومات البناء ، وهو الوسيلة وهو الغاية في الوقت ذاته ، هو وسيلة من وسائل بناء المجتمع وبناء المجتمع يكون من أجله ومن أجل سعادته وهناه .

يقول مالك بن نبي : " إن أول ما يجب علينا أن نفكر فيه حينما نريد أن نبني حضارة أن نفكّر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء إذا ما أراد تكوينه، فهو يحلّل الماء تحليلاً علمياً ويجد أنه يتكوّن من عنصرين عنصر الهيدروجين وعنصر الأكسجين ثم إنه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركّب منه هذان العنصران ليعطيانا الماء، وهذا بناء وليس تكديساً، ذلك لأنه لو كدّس ملايين من الأطنان من الهيدروجين والأوكسجين ثم بقي ينتظر أن يتكوّن الماء فإنه لا يتكوّن وحده إلاّ بأن يبعث الله إليه شرارة من عنده. فحينما نحلّل منتجات الحضارة ولنأخذ أياً منها ولتكن هذه الورقة فإننا نجدها تتكوّن من عناصر ثلاثة: الإنسان: لأنه هو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده من بغداد في العصر العباسي حيث اخترع الفكر الإنساني الورق. فالعنصر الأول إذن الإنسان. " [١] .

لقد وردت كلمة الإنسان في القرآن الكريم أكثر من ٥٦ مرة ، بحسب المصحف الرقمي [٢] ، وليس ذلك إلا إشارة من الإشارات التي تصب في بيان أهمية الإنسان ودوره في الحياة وأن هذا الإنسان هو المحور والأساس .

الإنسان الحضاري الذي " يكدح " أبداً لكي يسعد وتسعد البشرية به ومعه، هو الذي يعنيه ابن نبي رحمه الله تعالى وبأنه القادر على الصناعة والبناء [٣] .

والقرآن الكريم ، أطلق على الإنسان اسم الخليفة، وسماه (خليفة) ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

---

١. انظر مالك بن نبي ، دور المسلم ، نسخة دار النفائس ،ط ١ ، ١٩٨٤م ،ص ٤٢ .
٢. راجع www.arabiyat.com
٣. انظر مالك بن نبي ، الإنسان ومشكلة الحضارة ، دار النفائس ، ط ١ ، ص ٤٤ .

الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [١] ، وقال تعالى : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) [٢] . ومن أجل ذلك كان الإنسان هو الخليفة الذي يجب أن يتحمل مسؤولياته التي استخلف لها، فينفذ إرادة الله تعالى الذي استخلفه، ويعمل وفقا لإرادته بما يحقق الهدف الأساس .

إن الاستخلاف في المنظور القرآني للإنسان ، الإنسان بنوعه كانسان ، وليس مقصودا أحدا بعينه ، فهو ليس آدم عليه السلام فقط ، ولا أي نبي من الأنبياء فقط ، بل هو أي إنسان يمكن أن يتصدى لتنفيذ شرع الله تعالى ، وتطبيق أحكامه في دنيا الناس ، فهو بهذا يستحق أن يكون خليفة الله تعالى في أرض الله ، وهو بهذا المنهج وهذا النظام الرباني مخول لقيادة الكون والسير به وفق إرادة الله تعالى نحو سعادة البشرية .

وعلى منهج الباحث في ما مضى من الرسالة فإنني سأستعرض الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة بالإنسان ، وسأقف على أقوال المفسرين القدامى والمحدثين للخروج بتصور يتناسب مع إيضاح الصورة ويحقق جانبا من هدف هذه الدراسة ، والله المستعان .

وبالإضافة إلى الآيتين السابقتين نذكر مجموعة من الآيات الكريمة ، منها قوله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [٣].

ومنها قوله تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً) [٤].

وقال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [٥].

وقال تعالى: (عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [٦].

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (٣٠) .
[٢]. سورة ص ، الآية (٢٦) .
[٣]. سورة الأحزاب ، الآية (٧٢) .
[٤]. سورة الإنسان ، الآية (٢) .
[٥]. سورة التين ، الآية (٤) .
[٦]. سورة العلق ، الآية (٥) .

وقال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم) [١].

وقال تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [٢].

والآيات الكريمة التي تشير إلى الإنسان ، وخلقه ، ودوره ، وواجبه ، وربطه بالمهمة التي خلقه الله تعالى من أجلها كثيرة ومتنوعة ، ولكن الحديث هنا في هذا الجزء من هذه الدراسة يركز على دور الإنسان الخليفة ، وواجبه تجاه إنقاذ البشرية بشرع الله تعالى ، وبالتالي دور الإنسان المحوري في بناء الحضارة ، وصناعة السعادة وقيادة البشرية ، من منطلق كونه خليفة الله تعالى في أرض الله تعالى .

والذي يتأمل آيات القرآن الكريم ، يجد أن القرآن الكريم لا يحفل بتحليل شيء من مظاهر الكون بتفصيل ودقة واهتمام ، ولا يتحدث بأساليب مختلفة عن نشأته وكيفية تطوره ـ كما يفعل ذلك عند حديثه عن الإنسان ، وحكمة ذلك أن تعريف الإنسان بحقيقته وأصل نشأته ، هو السبيل التربوي الذي لا بديل عنه ، لإقناع عقله بالحقيقة التي ترتكز عليها نشأة هذا الوجود من حيث هو [٣] .

وعليه ، فالمقصود بالإنسان في هذا الجزء من الدراسة هو الإنسان المسلم ، الذي يساهم بجهد حقيقي وراسخ في البناء الحقيقي للبشرية ، ولا ينكر دور غيره في البناء ، والذي يعتبر ، بحسب الباحث ، دورا مكملا للدور الحقيقي للإنسان المسلم .

غير المسلم ، قد يساهم في البناء الحضاري ، في الجانب المادي من تكنولوجيا وإمكانات من شأنها أن تسهل سبل العيش ، وتثري الرفاهية للشعوب ، ولكن المسلم ، والمسلم فقط ، هو وحده المؤهل لرفد البشرية بأسباب السعادة الحقيقية .

إن دور الإنسان المسلم في العصر العالمي الحديث دور مهم وصعب ، مهم باعتبار أن البشرية متعطشة لتغذية روحها بالإيمان الذي يبعث الطمأنينة في كل أرجائها ،وصعب ، بالنظر لما يمر به العصر الحديث من تعقيدات وتطورات تكاد تكون يومية ، والإنسان المسلم المؤهل للدور القيادي ولاستلام أستاذية العالم مطالب بالتعامل مع هذه المعطيات بكل جدية ومسؤولية واقتدار .

---

[١]. سورة النحل ، الآية (٧٦) .
[٢]. سورة النحل ، الآية (١٢٠) .
[٣]. انظر محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج تربوي فريد في القرآن، نسخة مكتبة الفارابي، ط١،٢٠٠١ م ، ص ١٢ .

وعليه فلا بد من تكاتف الجهود لإعداد الإنسان ضمن المنظومة الكلية المنسجمة مع معطيات الكون، والنابعة من كونه الخليفة.

لا بد أن نركز في بناء الإنسان المسلم الذي هو محور البناء ومرتكز أي إنجاز على الفهم الشمولي للإسلام ، وعلى الدور الذي يناط به كمسلم له دور فاعل في البناء والاستخلاف ، بناء الإنسان المسلم الذي يسهم بإظهار الإسلام على انه الدين الخالد ، الذي يجب أن يحكم ، والذي يجب أن يطبق ، الدين الحق ، الخالد ، المؤهل لحل مشكلات البشرية ، وهو الدين الذي يقبله الله تعالى خالق الكون ومدبر أمره ، قال تعالى : (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [١] .

وبالرجوع إلى كتب التفسير حول معنى الإنسان الخليفة ، في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [٢] .

نجد أن الله تعالى أراد بالفعل أن يكون الإنسان خليفته ، مطبقا لأوامره في أرضه ، منفذا لوصاياه بين الناس ، وهذه المهمة التي كلف الله بها الإنسان ، سبقها ورافقها وتابعها إعداد الإنسان بالمؤهلات التي تعينه على أداء المهمة ، فأعطاه الله (أي للإنسان) العقل الذي ميزه الله به عن باقي المخلوقات قال تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [٣] ، وأعطاه الجسم والقوة والإرادة وخلقه في أحسن تقويم ،قال تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [٤] ، وسخر له ما في الأرض جميعا لتكون أدوات ووسائل كلها تحت أمره وخدمته بما يعينه على أداء مهمته ،قال تعالى:(اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

---

[١]. سورة آل عمران ، الآية (٨٥) .
[٢]. سورة البقرة ، الآية (٣٠) .
[٣]. سورة الحج ، الآية (٤٦) .
[٤]. سورة التين ، الآية (٤) .

الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) [١].

وليس المراد هنا بالخليفة آدم، عليه السلام، فقط، كما ذكرت سابقا ، ولا كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود وابن عباس وجمع من أهل التأويل ، وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير [٢] ، بل إن الإنسان بجنسه هو المخاطب ، والمسلم من الإنسان هو المعني والمؤهل ، والمراد بالخليفة في الآية الكريمة آدم عليه السلام وذريته ، وهذا واضح من التعبير بالخليفة لأنه أراد بالخليفة آدم عليه السلام ومن بعده من قام مقامه في طاعة الله تعالى والحكم بالعدل بين الخلق [٣] .

ومعنى كونه خليفة ، كما يقول صاحب روح المعاني ، أنه خليفة الله تعالى في أرضه ، وكذا كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم ، بما يصلحهم ويرشدهم ، ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة ، بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم لأنه الروح الذي به قوامه ، فهو العماد المعنوي للسماء ، والدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه ، ولما كان هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته صحت له الخلافة وتدبير العالم والله سبحانه الفعال لما يريد ، ولا فاعل على الحقيقة سواه [٤] .

والصحيح أنه إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في أرضه لإقامة حدوده وتنفيذ قضاياه[٥] .

ودور الإنسان الخليفة فيما استخلفه الله تعالى يتمثل بقيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض بالإلهام أو بالوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي ، ومما يشمله هذا التصرف تصرف آدم بسن النظام لأهله وأهاليهم على حسب وفرة عددهم واتساع تصرفاتهم ، فكانت الآية من هذا الوجه إيماءً إلى حاجة البشر إلى إقامة خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس في منازعاتهم إذ لا يستقيم نظام يجمع البشر بدون ذلك [٦] .

والله تعالى الذي استخلف الإنسان لعمارة وقيادة الأرض وحكمها باسمه تعالى زوده بكل ما يعينه على تلك الوظيفة الكبيرة والشاقة ، إن الله تعالى قد استخلف الإنسان لعمران الأرض ، ودون المخلوقات الأخرى ، كما يذكر الدكتور محمد عمارة ، فقد حمل الإنسان أمانة الاختيار والمسؤولية ، وكان حمله لأمانات العمران اختيارا ، وكان قيامه بهذا العمران اختيارا ، لا تسخيرا ، كما هو حال غيره من المخلوقات ، ولذلك اقتضى اللطف الإلهي تقويم مسير الإنسان على

---

[١]. سورة إبراهيم ، الآية (٣٢- ٣٣) .
[٢]. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ،جزء ١، ص ٢١٦ .
[٣]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ١ ،ص ١١٥ .
[٤]. انظر الالوسي ، روح المعاني ، مصدر سابق ، جزء ١ ،ص ٢٥٦ .
[٥]. انظر الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، مصدر سابق ، جزء ١ ،ص ٢٥ .
[٦]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٨ .

طريق الاستخلاف بالنبوات والرسالات والشرائع السماوية منذ بدء الرسالات وحتى ختامها بمحمد صلى الله عليه وسلم [١] .

ومع أنى أطلت الحديث عن الإنسان بصفته الخليفة ، إلا أنني أؤكد أن الإنسان بصفته وبجنسه معني بان يكون المقوم الأساس في عملية بناء المستقبل ، والإنسان المسلم الفاعل هو المعني وهو المطلوب ، فلا يستوي القوي مع الكل ولا الايجابي مع السلبي ، ولا المنتج مع القاعد ، قال الله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم) [٢] .

إذن، فالإنسان يعتبر مقوماً أساساً إن لم يعتبر المقوم الأساس في بناء المستقبل، والحضارة، والسعادة، وهو بهذا، كما مر، به يقوم المستقبل وتشاد الحضارة، وفي ذات الوقت له ومن أجله يحصل ذلك كله.

إن المسؤولية الأولى الواقعة على عاتق الإنسان ، والإنسان المسلم ، في بناء مستقبل الإسلام وصناعة الحضارة تقع على كل المسلمين دون استثناء لأحد منهم ، اللهم إلا الذي لا يدرك دوره ومسؤوليته ، وبالتفصيل فالمسؤولية الكبرى تقع على العلماء منهم ، باعتبارهم الأكثر فهماً ووعياً وادراكاً لدور الإسلام في واقع حياة الناس .

وعليه فالعلماء بشكل خاص، والمسلمون على الأعم، مطالبون ومدعوون إلى بذل الجهود اللازمة لامتلاك الوسائل والأساليب التي تعين على الوصول للهدف والغاية.

يقول الدكتور أحمد الريسوني في مقالة له تحت عنوان مستقبل الإسلام وإسلام المستقبل إننا كمسلمين اليوم –ومستقبلا- بحاجة إلى أن نقوي ثقتنا في نفوسنا وثقتنا بديننا، بقوته الذاتية، وبقدرته الاستيعابية، وبأنه لا يمنعنا أبدا من أن نتحاور ونأخذ ونعطي، ولا يمنعنا أبدا –بل يوجب علينا- أن نبصر ما عند غيرنا من خير وحق ومن فضل وسبق، وأن نمدحهم عليه وننافسهم فيه، ونستعين بهم عليه. واثقين في الوقت نفسه بأحقية دين الإسلام وشريعة الإسلام، وأنه رحمة الله وهداه وعدله بين عباده، وأنه لذلك يعلو ولا يعلى عليه ، إن المسلمين – من حيث هم مسلمون- يجب أن يؤمنوا بمستقبل الإسلام ومكانته، وبدوره ورسالته، وبإمكان نجاحه

---

[١]. انظر محمد عمارة ، الإسلام هو الحل ، لماذا وكيف ، مصدر سابق ، ص ٦٦ .
[٢]. سورة النحل ، الآية (٧٦) .

ونجاعته، دونما توقف على نجاح الآخرين أو فشلهم، ولا على قوتهم أو ضعفهم، ولا على انتصارهم أو هزيمتهم. بعبارة أخرى: إن للإسلام مكانته وقوته ومستقبله [١] .

ولا أدري إن كان من المناسب أن أشير هنا إلى عدد المسلمين اليوم يتجاوز المليار ونصف المليار ، بحيث يمثلون خمس سكان العالم، وما يتيحه ذلك من إمكانيات،وما لذلك من إشارات ودلالات من شأنها أن تصب في تقرير الأحقية والأولوية للمسلمين لقيادة البشرية إن أحسن المسلمون استثمار ذلك في إخراج جيل نوعي يؤمن بدينه ويعتز بإسلامه ،ويستوعب واجباته تجاه أمته والكوكب الذي يعيش فيه ، والكون الذي يدور في فلكه .

ويخلص الباحث من ذلك كله إلى النقاط التالية :

- الإنسان هو خليفة الله تعالى في الأرض ، وذلك مصداق قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [٢]. والخلافة ، كما مر ، القيام بأمر الله تعالى في الأرض ، بتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى ،وبإدارة وتصريف شؤون الكون والناس وفق النظام والتشريع الصادر من عند الله تعالى ، وهو هنا الدين الإسلامي ودستوره القرآن الكريم .

الإنسان المسلم هو المعني بالخلافة ، وذلك ظاهر وواضح من قوله تعالى في الآية السابقة : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) ، والمسلم هو الوحيد القائم بأمر الله تعالى في الأرض من باب أن الله تعالى ارتضى هذا الدين ، هذا الإسلام ، ولا يقبل الله تبارك وتعالى سواه ، قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [٣] .

وقال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [٤] ،

---

[١]. www.raissouni.org

[٢]. سورة البقرة ، الآية (٣٠) .

[٣]. سورة آل عمران ، الآية (١٩) .

[٤]. سورة آل عمران ، الآية (٨٥) .

وقال تعالى : (ووَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)[١] .

وقال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[٢] .

وقال تعالى: (اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)[٣] .

وقال تعالى : (مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }[٤] .

- إنه سبحانه وتعالى لا يريد من الخليفة أن يفسد في الأرض ولا أن يسفك الدماء ، وذلك ظاهر في البيان الإلهي في نهاية الآية الكريمة ،قال تعالى : (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) . فالخليفة المراد هنا هو الذي ينشر العدل والرحمة والمساواة ، ينشر الخير والنور ، ويعمل على أن تعيش البشرية في رخاء وسعادة ، لا أن يكون من الذين يفسدون في الأرض ، ويسفكون الدماء ، وهذا واضح في غير من يحملون لواء هذا الدين ، والأمثلة على ما نقول متوفرة ليس المجال هنا لذكرها .
- الإنسان المسلم بما يحمله من هذا الدين مؤهل وحده لقيادة البشرية ، وصناعة المستقبل ، ولكن الإنسان المسلم هنا هو المسلم الذي يدرك دوره ومكانه في الوجود ، الذي يفهم الإسلام فهما شموليا ، متوافقا مع معطيات الكون ، مالكا للمقدرات والمعينات والمؤهلات المعنوية والمادية ، التي تساعده في إدارة الكون ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

---

[١]. سورة البقرة ، الآية (١٣٢) .
[٢]. سورة آل عمران ، الآية (١٩) .
[٣]. سورة المائدة ، الآية (٣) .
[٤]. سورة يوسف الآية (٤٠) .

فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) [١] .

- المسلمون بتعدادهم البشري الضخم، يعتبرون مادةً خاماً قابلة لإعادة الصياغة، وهي في مثل هذه الحالة تشكل قوة لا يمكن أن يستهان بها في عالم لا يعترف إلا بالقوة.
- الإنسان المسلم المؤهل للقيادة وصناعة المستقبل ،هو الإنسان الفاعل الإيجابي ، الذي يمارس دوره وواجبه تجاه نفسه ودينه ومجتمعه وأمته والبشرية جمعاء .

المطلب الثاني : الإمكانات والثروات الهائلة

تتمتع الأمة الإسلامية بما حباها الله تعالى بإمكانات وثروات هائلة ، فبالإضافة إلى المخزون البشري ، الذي يتجاوز المليار والنصف ، والمساحة الواسعة الممتدة على طول الأرض وعرضها ، بمجموعة من الإمكانات الأخرى من أهمها :

- الموقع الجغرافي الوسط: يقع الوطن العربي في قلب العالم وفي أهم مناطق العالم إستراتيجية، ممتدا من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي ومن بحر العرب جنوبا حتى تركيا والبحر الأبيض المتوسط شمالا، وتبلغ مساحته حوالى ١٣.٤٨٧.٨١٤ كلم٢. يقع ٢٢% تقريبا من الوطن العربي في آسيا و٧٨% تقع في أفريقيا. وتبلغ السواحل العربية ٢٢٨٢٨ كلم٢ [٢] .

ومن روعة هذا التكريم لهذه الأمة أنها أمة الوسط في كل شيء حتى في موقعها الجغرافي ، قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [٣] . وفي هذه الوسطية الإعانة كل الإعانة على القيام بدور الشهادة على البشرية ، ليس الشهادة فقط على الأمم السابقة بما جاء من أخبارها بالقرآن الكريم ، بل يشمل ذلك ويتعداه إلى أن تكون هذه الأمة شاهدة على الأمم الحاضرة إلى قيام الساعة والى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، والوسط في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل وسط

---

[١]. سورة لقمان ، الآية (٢٠) .
[٢]. www.aljazeera.net
[٣]. سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

الدار [١] ، وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم [٢] .

وفي استقراء سيد قطب رحمه الله تعالى لمظاهر الوسطية للأمة الإسلامية يعدد رحمه الله مظاهر متعددة تكاد تشمل كل ما يمكن استنباطه من هذه الكلمة ، فهي الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعاً فتقيم بينهم العدل والقسط ؛ وإنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي ، وهي أمة وسط في التصور والاعتقاد ، وفي التفكير والشعور ، وفي التنظيم والتنسيق ، وفي الارتباطات والعلاقات ، وأمة وسط في المكان فهي في سرة الأرض ، وهي كذلك وسط في الزمان ، وفي أوسط بقاعها في الزمان، تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها؛ وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها [٣] .

ولسعيد حوى رحمه الله أن الخيار الأسلم هو للوسط ، لان الأطراف يتسارع إليها الخلل والوهن والضعف أما الوسط فمحمي [٤] .

وللإمام الرازي رحمه الله تعالى أن الوسط من كل شيء خياره وذلك من وجوه منها أن لفظ الوسط يستعمل في الجمادات ، ومنها أنه مطابق لقوله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [٥] ، ومنها أن الرجل إذا قال : فلان أوسطنا نسباً فالمعنى أنه أكثر فضلاً ، وآخرها كما يقول الإمام رحمه الله جواز أن يكونوا وسطاً على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا المسيح ابن الله ، ولم يقصروا كما قصرت اليهود فبدلوا الكتب واستخفوا بالرسل [٦] .

ووسطاً في الآية الكريمة هو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب ، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط ، كالجود بين الإسراف والبخل ، والشجاعة بين التهور والجبن ، ثم أطلق على المتصف بها ، مستوياً فيه الواحد والجمع أي كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل [٧] .

إن العالم الإسلامي يتمتع بموقع استراتيجي هام بالنسبة للتجارة العالمية وبمزايا استراتيجية يصعب على القوة المعادية فرض سيطرتها عليه بالكامل مما يجعل لديه عمقاً

---

[١]. انظر الطبري ، جامع البيان ، مصدر سابق ، جزء ٣ ، ص ١٤٢ .
[٢]. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ١٥٣ .
[٣]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١، ص ١٠٠ .
[٤]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٣٠٠ .
[٥]. سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .
[٦]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٣٩٠ .
[٧]. انظر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص١٨٠.

استراتيجياً مهماً في أية استراتيجية إسلامية ودولية ومازال العالم الإسلامي يمثل أهمية أمنية كبيرة وخاصة بعد نشوء قوى إسلامية ذات مكانة عسكرية ومكانة مالية ضخمة إلى جانب ذلك فإن العالم الإسلامي يتمتع بأهمية استراتيجية أيضاً بكونه يتحكم في الممرات المائية الهامة مثل قناة السويس ومضيق جبل طارق ومضيق باب المندب ومضيق هرمز ويشكل الشريان الحيوي لتدفق النفط العالمي ولحركة التجارة العالمية كونه جسراً بين الشرق والغرب كل ذلك يؤكد أهمية الموقع الاستراتيجي للأمة الإسلامية [١] .

وبالإضافة إلى ذلك فإن العالم الإسلامي يشغل مساحة كبيرة من الأرض تتنوع فيه التضاريس، وتتخلله الأودية والأنهار والينابيع، وتتوافر فيه المياه الجوفية ، ويدخل هذا الامتداد العظيم في أقاليم مناخية متعددة منها المناخ الاستوائي، والمناخ المداري، والمناخ القاري، ومناخ البحر المتوسط. وتبعًا لذلك تتفاوت الكَميات الساقطة من الأمطار وبالتالي تنوع الغطاء النباتي [٢] .

- المساحة الشاسعة للأمة الإسلامية أرضاً وبشراً : يمتد العالم الإسلامي على مساحة واسعة تضم أجناساً وقوميات ، وثقافات ، ولغات ، وعادات ، وهذا الامتداد يضيف بعداً استراتيجياً ، وقوة رافدة بعضها لبعض ، ولا يشكل هذا الاختلاف وهذا التنوع عقبة أمام الهوية الإسلامية التي تجعل من المسلمين وحدة متماسكة [٣] ، بل على العكس تماماً ، فالأمة الإسلامية المترامية الأطراف يجمعها دين ، وأي دين ، إنه دين الله تعالى الخالد ، الذي يشكل قوة عظمى للأمة الإسلامية طالما أخذت به واستمسكت ، وطبّقته في واقع حياتها ، ليشكل مع هذه الإمكانات وتلك الثروات قوة لا يمكن تجاهلها ، بل لعلها بهذا تكون الأقدر والأجدر على قيادة الكون وفق شرع الله تعالى وهديه .

وبناء على هذا فإن مفهوم الأمة الإسلامية أشمل وأعم من مفهوم العالم الإسلامي باعتبار الأرض والأوطان، ذلك أن الأمة الإسلامية تضم العالم الإسلامي دينا ووطنا.

الثروات الطبيعية الهائلة : فعالمنا الإسلامي لا تنقصه الإمكانات البشرية ولا الإمكانات المادية فقد حباه الله تعالى وبإمكانات بشرية كبيرة تستطيع من خلالها أن تشق طريقها بخطوات ثابتة باتجاه بناء المستقبل، والانطلاق بثقة واقتدار لصياغة نهضة حضارية ينتظرها المسلمون وسكان هذا الكوكب من غيرهم ممن يتعطشون للحق والعدل والحرية ، والمستقبل الأسعد، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ

---

١. www.annabaa.org
٢. www.iu.edu.sa
٣. www.alsakkaf.com

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) [١] ، وقال تعالى :(وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [٢] . وقال تعالى : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [٣] .

إن الأمة الإسلامية تمتلك بما حباها الله تعالى ثروات استراتيجية كبيرة أهمها النفط (البترول) والغاز الطبيعي والأرض الواسعة والزراعة والثروات المعدنية مثل الحديد والنحاس والفوسفات وغيرها ، فعلى سبيل المثال ، يختزن العالم الإسلامي ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط و٢٢.٥ % من الاحتياط العالمي للغاز وينتج ٩% من إنتاج العالم من الحديد ويبلغ إنتاجه ٥ % من سوق النفط العالمي مبيعاً ويشكل النفط العربي ٦٥ % من احتياجات أوربا و٨٠ % من احتياجات اليابان و١٥ % من احتياجات الولايات المتحدة [٤] ، وغير ذلك مما لا يسمح المجال بذكره ، وليس المقام هنا مناسبا لتفصيله ، المهم أن يقف الباحث هنا وينبه على أن تلك الثروات الهائلة ، إضافة إلى استراتيجية الموقع ، شأنها إذا اجتمعت بيد الإنسان المؤمن الذي يسعى لخير البشرية وفق شرع الله تعالى ، أن تشكل مقومات البناء الحقيقي للمجتمع السعيد الذي أراده الله تعالى للبشرية ، بل وسخر له سبحانه وتعالى كل شيء للوصول إلى هذه الغاية .

ويخلص الباحث من خلال ما سبق إلى النقاط التالية :

- أن الحق والقوة متلازمان فلا غنى لأحدهما عن الآخر في عملية بناء الحضارة التي توفر للبشرية ما تصبو إليه من استقرار وأمن وأمان ، قال تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [٥] ، والكتاب والميزان إشارة إلى الحق والعدل والقسط ، والحديد إشارة إلى القوة والإعداد ويراد هنا في الآية الكريمة لفت بصائر السامعين إلى الاعتبار بحكمة الله تعالى من خَلق

---

[١]. سورة لقمان ، الآية (٢٠) .
[٢]. سورة إبراهيم ، الآية (٣٤) .
[٣]. سورة النحل ، الآية (١٨) .
[٤]. مجلة النبأ ـ العدد ٣٥ ـ السنة الخامسة ـ ربيع الثاني ١٤٢٠ . www.annabaa.org
[٥]. سورة الحديد ، الآية (٢٥) .

الحديد وإلهامهم صنعه ، والتنبيه على أن ما فيه من نفع وبأس إنما أريد به أن يوضع بأسه حيث يستحق ويوضع نفعه حيث يليق به لا لتجعل منافعه لمن لا يستحقها مثل قطّاع الطريق والثوار على أهل العدل ، ولتجهيز الجيوش لحماية الأوطان من أهل العدوان [١] .

- إننا يجب أن نلتفت هنا ونحن نتحدث عن آية الحديد السابقة إلى ذلك التداخل والارتباط الصميمين ، بين إرسال الرسل عليهم السلام وإنزال الكتب معهم، وإقامة الموازين الدقيقة لنشر العدل بين الناس، من جهة ، وبين إنزال الحديد الذي يحمل في طياته «البأس»، من جهة ثانية ، ثم يعقب القرآن الكريم على ذلك بأن المراد من هذا الإنزال للرسل وللكتب ومعهم الحديد أن هذا كله إنما يجيء لكي يعلم الله تعالى من ينصره ورسله بالغيب وكما يقول الدكتور عماد الدين خليل – المفكر الإسلامي العراقي حفظه الله تعالى- في مقالة له تحت عنوان نحو حضور إسلامي عالمي فاعل في العالم : " إنها العقيدة التي تعرف كيف تشدُّ الإنسان إلى أعماق الأرض، وتدفعه إلى التنقيب فيها من أجل اعمارها وحمايتها وإن المسلم لن تحميه وتنصره إلاّ يده المؤمنة التي تعرف كيف تبحث عن الحديد وتصوغه من أجل الحماية والتقدم والنصر، وإنه بمجرد أن يتخلى عن موقفه الفعَّال هذا، الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة الجهاد الدائمة، ويختار بدلاً من ذلك مواقع الفرار والانتظار الاتكالى لمعونة الله، فإنه يتناقض مع نفسه وعقيدته، وسوف يهزم لا محال ما دام قد أشاح عن هذا النداء القرآني الذي يكاد يصرخ بأعلى نبرته، أنه بدون الاعتماد الواعي، المسؤول، الخبير، على مصادر القوة والبأس، فلن يكون هناك «نصر» ولا «تقدم» ولا «حماية» للموازين والقيم العادلة التي جاء الدين لتنفيذها في الأرض، حتى ولو حبس المؤمنون أنفسهم في المساجد، السنين الطوال، يبكون ويتضرعون " [٢] .

- والأمر كذلك فعند الحديث عن المستقبل وبنائه ؛ فالحق والعدل والحرية والمساواة قيم باتت البشرية متعطشة ومتلهفة للاستظلال بظلها ، وهذه القيم لا بد لها من قوة توقف أعداء الخير والحب والاستقرار عند حدهم وتضرب عليهم بيد من حديد ، لأنهم أعداء أنفسهم قبل أن يكونوا أعداء أمتهم وقبل أن يكونوا أعداء البشرية .

- خلق الله تعالى الأشياء ، كل الأشياء ، في هذا الكون وسخرها للإنسان ، والإنسان بهذا مدعو لحسن التعامل معها واستغلالها لخدمة البشرية في الإصلاح والأعمار ورفدها بكل معاني السعادة والهناء والرفاهية المباحة ، قال تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ

---

[١]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،مصدر سابق ، جزء ١٤ ، ص ٤٢٠ .
[٢]. www. arabic.bayynat.org .

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [١] .

- من فضل الله تعالى علينا كمسلمين ،أن جعلنا أمة واحدة لا تقف عند حد أرضي زائف ، ولا عند قومية أو غير ذلك من التقسيمات ، بل هي بشمولها وتنوعها هذا ، متماسكة متراصة بفضل تعاليم هذا الدين العظيم ، بل إن هذا التنوع وذلك الامتداد يصب في مصلحة القوة التي تمتلكها الأمة ، فهذا التنوع بذرة حياة عند المسلمين ، وهو بذرة موت عند غيرهم ، وهو عامل قوة عند المسلمين ، وعامل ضعف عند غيرهم ، وهذا شعار الإسلام الخالد أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى فلا مكان للعصبيات ولا للقبليات أو القوميات الضيقة على حساب المفهوم الشامل للأمة ،قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٢] .

- الأمة الإسلامية هي الوحيدة في هذا الكون المؤهلة لقيادة العالم واستلام أستاذية الناس بما حباها الله تعالى وملكها من مقومات ؛ معنوية روحية ممثلة بهذا الدين العظيم الذي هو من عند الله تعالى ، وبما في رصيدها من تاريخ وتجارب أثرت البشرية حينا من الدهر ، وهي كذلك ضاربة في التاريخ من لدن آدم عليه السلام ، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، فهي أمة ممتدة مترابطة ذات تاريخ واحد طالما أنها تحمل لواء دين الله تعالى ، وتدعو إليه ، وتحكم الكون وفق أوامره ونواهيه ، وهي كذلك مؤهلة بما تملكه من العلم الذي أنار الكون وينيره ، وبما تملك من بشر لا يغلبون من قلة إذا هم أحسنوا وأتقنوا دورهم في الخلافة التي استخلفهم الله عليها ، وإذا حفظوا الأمانة التي استرعاهم الله تعالى إياها يوم أن عرضها الله تعالى على الأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان ، قال تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [٣] ، والأمة كذلك مؤهلة للقيادة والسيادة والريادة بما تملكه من إمكانيات وثروات مادية وكنوز طبيعية ومصادر

---

[١]. سورة الأعراف ، الآية (٣٢) .
[٢]. سورة الحجرات ، الآية (١٣) .
[٣]. سورة الأحزاب ، الآية (٧٢) .

طاقة ، مدعوة أن تستغلها في طاعة الله تعالى ؛ وعليه فالأمة الإسلامية تملك الحق والقوة اللازمين لصناعة المستقبل وقيادة الناس ، والحق والقوة هنا على المعنى الحقيقي وليس الظاهري الكاذب الخادع ، وبالمعنى الإيجابي المثمر الذي يسعد البشرية وليس بالمعنى السلبي الذي يجر على البشرية الشقاء والتعاسة والدمار ، يقول سيد قطب رحمه الله بأن الإسلام هو المنهج الذي يملك أن يتقدم لتخليص البشرية من بربرية الحضارة الصناعية، ومن مصيدة الشيوعية ، وأننا نحن أصحاب المنهج الإسلامي وحدنا الذين نملك تلك الوثبة الكبرى [١] .

- الحضارة الغربية بما تملكه من تكنولوجيا وقوة مادية لم تستطع أن تجلب السعادة لشعوبها ، بل على النقيض تماما ، فقد جلبت الدمار والخراب والتعاسة والضنك ، وان كان الادعاء عندهم على خلاف ذلك ، ولكن نظرة على المجتمعات الغربية من الداخل ، نظرة واحدة حقيقية وموضوعية ، كفيلة بان توقف البشرية وبكل وضوح وجلاء على الحقيقة المرة وعلى الدمار الخلقي والقيمي وعدم الاستقرار والرعب والخوف الذي تعيشه تلك المجتمعات ، ويكفي أن أشير هنا على سبيل المثال إلى ما ذكره السيد جاكوب فون اويكسكول رئيس ما يسمى بمبادرة مجلس مستقبل العالم حول ما يتردد من أن النموذج الغربي هو الأفضل لمستقبل العالم ،حيث قال : "أن الولايات المتحدة بدت لعيون كثير من الناس ولزمن طويل هي الرمز على المستقبل حيث المجتمع المفتوح الذي يحظى بالأمن ويرفل في النعيم ورغد العيش، وها هي الحقيقة تتبدى فلا هو مفتوح كما نتصور ولا هو ينعم بالدرجة من الأمان واليسر التي كنا نغبطه عليها " [٢] ، ويقول المؤرخ البريطاني: "بول كيندى" في السياق ذاته إن أمريكا في حالة انهيار وأنها لم تعد قادرة على فعل شيء للحفاظ على كيانها ومع لحظة وأخرى ستأتي الكارثة [٣] ، فالحضارة الغربية ،بكل مظاهرها الخداعة ليست مؤهلة للبقاء والعالمية ، فأصحابها يضجون منها ، تزيدهم شقاء وبؤسا ،وبحكم أحوالها سوف تنهار ، ويقول المفكر والشاعر الاسلامي محمد إقبال مثل هذا وأحسن منه في أن أوروبا تنتحر والروح تموت عطشاً في سرابها الخادع ؛ حضارة نعم ولكنها حضارة تحتضر وإن لم تمت حتف أنفها فلسوف تنتحر غداً وتذهب لأن أساس الحضارة منهار ـ ولا يحتمل أية صدمة وأنت أيها المسلم فارس الأمل والخلاص والمستقبل [٤] ، ورحم الله الإمام الشهيد حسن البنا حين قال إن مدنية

---

[١]. انظر سيد قطب ، المستقبل لهذا الدين ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
[٢]. www.annabaa.org
[٣]. www.alwhyyn.net
[٤]. www.islamicnews.net

الغرب التي زهت بجمالها العلمي حيناً من الدهر وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه ، تفلس الآن وتندحر ، وتندك أصولها وتنهدم نظمها وقواعدها ، فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات ، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات ، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والجائعين ، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المذاهب الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان ، وقد حار الناس في علاج شأنها وضلوا السبيل ، وهكذا أصبح العالم بفضل هذه السياسات الجائرة الطامعة كسفينة في وسط اليم ، حار ربانها وهبت عليها العواصف من كل مكان . الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة ، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة ، فهي في أشد الحاجة إلى عذب من سؤر الإسلام الحنيف يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة [١] .

- يجب أن يعلم جيدا أن الإسلام مؤهل للقيادة والسيادة بذاته ، وليس لعجز غيره ، فليست تلك الأهلية للإسلام وللمسلمين مقرونة بانهيار الحضارة الغربية ولا غيرها ، وليس معنى أننا كمسلمين مؤهلين لاستلام أستاذية العالم وقيادة البشرية بسبب عجز غيرنا ، وإلا فان ذلك يعني فيما يعنيه أن هذه الأهلية ليست حقيقية ، والأمر ليس كذلك ، والباحث إذ يسوق ما مر من كلام حول انهيار الغرب وماديته وعدم أهليته لا يسوقه إلا من باب ذكر التجارب البشرية وبيان فشلها حين تبتعد عن امتلاك المقومات الحقيقية للبناء الحضاري الأصيل والسليم والذي يبدأ وينطلق من الإيمان بالله تعالى وبأنه سبحانه المتصرف وحده في شؤون الكون وما الإنسان إلا قائم بأمر الله تعالى بين الناس .
- الإسلام وحده هو الدين الذي يملك كل الخصائص والمقومات التي تؤهله للبقاء والانتصار والانتشار ، فهو الدين الإلهي الرباني الذي يشمل في تشريعاته كل ما يصلح البشرية ويسعدها ، وهو وحده القادر لأن يأخذ دوره في إنقاذ العالم وإخراجه مما هو فيه ، (سيعيد التأريخ نفسه مبتدئاً من الشرق، عوداً على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام ، وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها، وإذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها ستقلب موازين القوى،لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية) [٢] .

إن الأمة الإسلامية هي وحدها من تملك هذه المقومات مجتمعة فهي بالتالي الأقدر والأجدر على القيادة والريادة والسيادة في هذا العالم إن أراد العالم الخروج من مشكلاته المتراكمة ، وفي هذه يقول العالم الألماني أشميد في كتابه الإسلام قوة الغد العالمية إن مقومات القوى في الشرق الإسلامي تكاد تنحصر في عوامل أربعة : أولاً في قوة الإسلام (الدين الإسلامي) كدين

---

١ . انظر الإمام حسن البنا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ط٣ ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٧٥ .
٢. بول اشميد ، الإسلام قوة الغد العالمية ، ترجمة د. محمد عبد الغني شامة ، ص ٣٥٦ .

وفي الاعتقاد به، وفي مثله وفي قيمه ، وفي مؤاخاته بين مختلفي الجنس واللون والثقافة ، وثانياً في وفرة مصادر الثروة الطبيعية في رقعة الشرق الإسلامي(الإمكانيات والثروات) الذي لا يدع المسلمين في حاجة إلى أوروبا أو إلى غيرها إذا ما تقاربوا وتعاونوا ، وثالثاً في خصوبة النسل البشري لدى المسلمين (الإنسان) مما جعل قوتهم العددية قوة متزايدة ، رابعاً القوة الاقتصادية: فهم يملكون بحيرات الذهب الأسود- والنفط روح الاقتصاد المعاصر- و يمتلكون معادن هائلة تمكنهم لا من النهوض فحسب وإنما من السيطرة على الغرب أيضاً فإذا اجتمعت هذه القوى الأربعة، بحسب بول أشميد ، كان الخطر الإسلامي خطراً منذراً بفناء أوروبا وبسيادة عالمية في منطقة هي مركز العالم كله [١] ، وهو في هذا لا يذكر ذلك على سبيل الإعجاب والقبول ، بل لتحذير الغرب وتنبيهه للخطر القادم من الشرق كما يدعي ، وهو يدعو إلى إعادة الحروب الصليبية بشكل عصري ، إذا أراد الغرب تفادي عودة الخطر الإسلامي القادم ، بحسب اشميد [٢] .

الفصل الرابع

معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ،

---

[١]. انظر المصدر السابق ، ص ٧٨ .
[٢]. انظر بول اشميد ، الإسلام قوة الغد العالمية ، مصدر سابق ، ص ٣٨٩ .

وهو على مبحثين

المبحث الأول: المعوقات الداخلية،

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم

المطلب الثاني:الجهل

المبحث الثاني: المعوقات الخارجية،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مؤامرات الأعداء وإمكاناتهم المادية الهائلة .

المطلب الثاني: الخطر اليهودي.

معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم

تمهيد

كما أن لأي عملية بناء مقومات ودعائم ، فانه لا بد من أن تواجه تلك العملية ، عملية البناء ، مجموعة من المعوقات تقف حائلا دون سير العملية البنائية بسهولة ويسر .

والحالة هذه ، فيرى الباحث أنه من الأهمية بمكان أن يفرد في دراسته فصلاً خاصاً يرصد من خلاله أهم المعوقات التي تقف في وجه عملية بناء المستقبل ، من المنظور القرآني ، وهذا بحسب الباحث ، فصل طويل ويحتاج إلى تعداد الكثير من تلك المعوقات ، وما أكثرها ، ولعل كثرة هذه المعوقات ينبع من حجم وأهمية العملية البنائية ، فبقدر ما تكون الأهداف سامية وعظيمة ، بقدر ما تواجه وتلاقي من معوقات ومثبطات .

والحديث عن المعوقات ضرورة من ضرورات البحث والدراسة ، خاصة والحديث جار عن بناء مستقبل على أسس متينة وقوية ، ولا يكتمل مثل هذا الحديث إلا إذا تم عرض أهم المعوقات حتى يتم تجاوزها وتخطيها واستبعادها ،وبالتالي تكون العملية البنائية أصلب وأقوى .

وهذا الكلام يمكن أن يقال في أي عملية بنائية مهما كانت تلك العملية بسيطة ومتواضعة ، فكيف إذا كان الحديث عن عملية بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، هذا الموضوع الذي يجد الاهتمام ، كل الاهتمام ، من كل البشر على اختلاف ألوانهم وانتماءاتهم ، والكل والحالة هذه ، يدعي أنه الأولى والأقدر لقيادة عملية بناء المستقبل .

إن تعداد معوقات عملية البناء للمستقبل لا يمكن حصرها في مثل هذه الدراسة ، لأسباب كثيرة منها ؛ أولاً أن المجال لا يتسع بداية ،والمحل ليس محله التفصيل بقدر ما هو إشارة إلى وجود تلك المعوقات ، وثانياً تلك التفرعات المتعددة للمعوقات التي تجعل اختيار عنوان واضح للمعوق ليس بالعملية السهلة الميسورة ، فتعطيل الحكم بما أنزل الله تعالى النابع من الفهم المجتزأ لهذا الدين من جهة ، ومن جهة أخرى الانضواء تحت لواء أعداء الدين عن قصد وبدون قصد ، وتفرق الأمة واختلاف كلمتها ، والتخلف والجهل ، والفقر الشديد بالرغم من الإمكانات الهائلة للأمة ، والهزيمة النفسية ، وقصور مناهج التربية ، والاغترار بالحضارة المادية الزائفة ، والتدخل الخارجي ، والاحتلال العسكري لمساحات من بلاد المسلمين ، ومؤامرات الأعداء المستمرة والامكانات المادية الهائلة التي يملكها الأعداء ، والخطر اليهودي الصهيوني ، كل ذلك وغيره كثير من معوقات عملية بناء المستقبل ، والسير بها بخطىً ثابتةً ،

وفي إحدى زياراته للجزائر شرح الشيخ القرضاوي حفظه الله تعالى أسباب ضعف الإسلام و المسلمين وحصرها في خمسة عوامل رئيسية هي جهل الأبناء و ضعف العلماء و بخل الأغنياء و جور الأمراء وكيد الأعداء [١] .

---

[١] . www.qaradawi.net

و مما يلفت النظر في هذا التعداد أن الإمام القرضاوي حفظه الله تعالى جعل كيد الأعداء آخر العوامل الرئيسية ، ذلك لان الأمة القوية والتي تحسن بناء نفسها بناء راسخا وقويا ، لا يكون من السهولة أن يخترقها الأعداء ، بل أنهم يحسبون لهذه الخطوة كل حساب ، أما إذا كانت الأمة مفككة من الداخل وحائرة بين جهل أبنائها ، وكيد أعدائها فهي نهب لكل ناهب ، وغنيمة سهلة لكل طامع .

والحالة هذه، فان الباحث في هذه الرسالة سيجتهد في جمع هذه المعوقات في مبحثين اثنين، لكل مبحث مطالب خاصة به، يظن الباحث أن كثيراً مما سبق ذكره من معوقات يندرج تحت أحدهما بشكل أو بآخر، وذلك على النحو التالى:

المبحث الأول: المعوقات الداخلية:

إن أولى درجات النهوض وأول مقومات الانطلاق نحو الخروج من المعوقات ، بحسب الباحث ، الالتفات إلى الذات ، ومحاسبتها وإدانتها ، واتهامها بالتقصير والضعف والإهمال ، وهذا أول ما يجب الالتفات إليه ، ذلك أن اتهام الذات بالتقصير معناه الوقوف على عوامل الضعف والتقصير ومحاولة استشراف الحلول المناسبة للخروج من مأزق التأخر ، وبالتالي المساهمة بقدر غير يسير في استعادة الدور الذي كانت عليه الأمة ، وما يجب أن تكون عليه في المستقبل .

ويمكن القول هنا أن هذا توجيه رباني، قرآني، يتمثل في أن أي مصيبة تقع على الإنسان في كل شأن من شؤون حياته، إنما تكون من عند نفسه، قبل أن يربط ذلك بأي عامل خارجي لا من قريب ولا من بعيد.

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىَ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [١] .

وقال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [٢] .

هذا وإن كانت هذه الآيات وغيرها نزلت في أحد وبأحوال ومناسبات خاصة إلا أنه وكما قرر علماء التفسير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما مر، فعندما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ، كان عاقبتهم أن انزل الله عليهم بلاءه

---

[١]. سورة آل عمران ، الآية (١٦٥)
[٢]. سورة الشورى ، الآية (٣٠) .

وامتحانه ، وكذا كل من يخالف أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالمصيبة التي وقع بها الجيل الأول الفريد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم من هم ؛ أهل صحبة ورضوان ، وهم البدور الذين خرجوا من بدر قبل عام من حادثة أحد ، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكونوا محلاً لإيقاع البلاء والاختبار والمصيبة ، وليكون لمن بعدهم درسا وعبرة وعظة ، فهذا هو أسلوب القرآن الكريم الأرقى في معالجة المشكلات وضرب الأمثلة المباشرة لمنهج الله تعالى وسننه في إدارة شؤون الكون والناس .

وفي مثل هذا يقول صاحب التحرير والتنوير رحمه الله أن من المصائب التي تصيب الناس في الدنيا ما سلطه الله عليهم جزاء على سوء أعمالهم وإذا كان ذلك ثابتاً بالنسبة لأناس معيَّنين كان فيه نذارة وتحذير لغيرهم ممن يفعل من جنس أفعالهم أن تحل بهم مصائب في الدنيا جزاء على أعمالهم زيادة في التنكيل بهم [١] .

وأنفسكم كما يرى سيد قطب رحمه الله تعالى هي التي تخلخلت وفشلت وتنازعت في الأمر ، وهي التي خالجتها الأطماع والهواجس ،وهي التي عصت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطته للمعركة ، فهذا الذي تستنكرون أن يقع لكم وتقولون : كيف هذا؟ قل هو من عند أنفسكم بانطباق سنة الله عليكم حين عرّضتم أنفسكم لها ، فالإنسان حين يعرّض نفسه لسنة الله لا بد أن تنطبق عليه مسلماً كان أو مشركاً ولا تنخرق محاباة له فمن كمال إسلامه أن يوافق نفسه على مقتضى سنة الله ابتداء [٢] .

يقول الإمام الشنقيطي في كتابه الإسلام دين كامل أن السبب الذي هو من عند أنفسهم [٣] الوارد في الآية السابقة الذكر ، هو ما أوضحه الله تعالى من قوله الكريم في الآية الأخرى : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [٤] .

---

[١]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ١٣ ص ١٣٠ .
[٢]. انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ٤٩٣ .
[٣]. انظر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، الإسلام دين كامل ، ص ٣٢ .
[٤]. سورة آل عمران ، الآية (١٥٢) .

وهذه الإطلالة على النفس وعلى الذات ، واعتبار أن المعوقات داخلية وخارجية تبدأ من هذا المنطلق الحقيقي الذي إن أحسن التعامل معه ، كان أرضية صلبة لتحدي كل المعوقات الأخرى الخارجية ، ويمكن الحديث عن المعوقات الداخلية ضمن المطالب التالية :

المطلب الأول: تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم

المطلب الثاني:الجهل

وهذه المطالب ، بحسب الباحث ، تعتبر خطوطاً عريضة يمكن أن يضاف إليها غيرها ، غير أن الباحث يرى أن الوقوف على هذه المعوقات من شأنه أن يقدم صورة واضحة مبدئيا ، في عملية استشراف معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم .

المطلب الأول: تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه القيم مدارج السالكين عند حديثه عن الحكم بما أنزل الله قال : وهذا الفصل من أنفع فصول الكتاب ، والعبد أحوج شيء إليه [١] ، وليس المقصود هنا العودة إلى بيان حكم من لم يحكم بما انزل الله تعالى ، بقدر ما هو إشارة مهمة إلى أن اكبر المصائب التي حلت بالأمة الإسلامية هو تخليها عن تطبيق أحكام القرآن في واقع حياة الناس ، وهذا مرده إلى مجموعة من الأسباب التي منها ما يتعلق بالفهم الناقص والمجزوء لهذا الدين ودوره الذي أراده الله تعالى ، فأمتنا ، إلا من رحم ربي ، اتخذوا هذا القرآن مهجورا ، هجروه في تطبيقه على كل نواحي حياة الناس ، وان لم يهجروه قراءة وترتيلا .

والجميع من المسلمين متفق على أن القرآن الكريم جاء ليحكم ، لا ليبقى مجرد تراتيل يتغنى بها الناس في مواسم معينة أو في مناسبات خاصة ، فالقرآن الكريم يقرر أن الحكم لله تعالى ، قال تعالى : (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [٢] .

قال تعالى : (مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [٣] .

قال تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَاليه تُرْجَعُونَ) [١] .

---

[١]. انظر ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين ، مصدر سابق ، ص ١٢٥ .
[٢]. سورة الأنعام ، الآية (٥٧) .
[٣]. سورة يوسف ، الآية (٤٠) .

قال تعالى : (ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) [٢] .

فالحكم والحاكمية في هذا الكون لله ، لله وحده ، وأي تعد على هذا هو خروج عن النسق الطبيعي للكون وهو اعتداء على أوامر الله تعالى ، حيث أن الأمر كله لله تعالى ، قال تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [٣] .

وهذا التعدي هو الذي أخرج الناس مما كانوا فيه من نور وهداية ، إلى ما هم فيه من تخبط وضياع ، وهم بهذا مدعوون إلى أن يعودوا إلى النور إذا هم أعادوا الأمور إلى نصابها واعملوا حكم الله تعالى في معاملاتهم ، وتركوا هجرهم للقرآن الكريم ، من ناحية التطبيق والحياة .

وتعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم ، وبالتالي تعطيل العمل بأحكام الله تعالى في الأرض ، من أكبر معوقات التقدم والنهوض ، وبالتالي يعتبر من أكثر المعوقات تأثيرا في عملية بناء المستقبل .

إن استيراد الحلول للمشاكل التي تمر بها الأمة من جهة ، والأمم الأخرى من جهة ثانية ، مع وجود القرآن الكريم وتعاليم الله تعالى ، ما هو إلا استيراد لكل أشكال التيه والتخبط والضياع ، فلا يعلم ما يصلح لهذا الكون من قوانين وتشريعات وتنظيمات ، إلا خالق هذا الكون وربه والمتصرف فيه ، قال تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [٤] ، وقال تعالى : (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا

---

[١]. سورة القصص ، الآية (٧٠) .
[٢]. سورة غافر ، الآية (١٢) .
[٣]. سورة الأعراف ، الآية (٥٤) .
[٤]. سورة الملك ، الآية (١٤) .

يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [١] ، وتبقى محاولات الإنسان قاصرة عن الإحاطة بما ينفعه طالما هي لا تستمد رؤيتها ونظرتها للحل بعيدا عن منهج الله تعالى .

إن الخطوة الأولى ، بحسب الباحث ،في عملية بناء المستقبل والنهوض بالأمة، هو التغلب على المعوق الأساس المتمثل بتعطيل العمل بشرع الله تعالى وأحكام دينه ، والدعوة إلى التمسك بكتاب الله تعالى والرجوع إليه والاهتداء بهديه، ووضعه في المكان الصحيح من موقع التشريع والتطبيق .

الحل الوحيد للخروج من المآزق التي تمر بها البشرية هو العودة إلى الدين ، ولكن أي دين ، انه الدين الإسلامي ، وليس غير الدين الإسلامي ، لأن الله تعالى تكفل بحفظه وحفظ الأمة القائمة عليه ، نعم ، إن الإسلام وكما يتردد اليوم وبكل قوة هو الحل ، ولا حل سواه ، هو الحل لكل مشاكل الكون ، وأي محاولة لتجاوزه هي محاولة لا تفيد إلا التعب ومزيداً من ضياع الوقت الذي يجب أن يستغل في الإسراع إلى العودة لهذا الدين واستنباط الحلول منه وعلى هديه ونهجه .

وما أجمل ما قاله الإمام محمد عبده رحمه الله تعالى عند حديثه عن السبيل الوحيد للإصلاح، وهو هذا الدين الإسلامي حيث يذكر أن البذرة لا تنبت في أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض ، ويتنفس بهوائها ، وإلا ماتت البذرة ، بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها ، ولا على البذرة وصحتها ، وإنما العيب على الباذر ، ولقد أشربت أنفس الأمة الانقياد إلى الدين ، حتى صار طبعاً فيها ، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربة التي أودعها فيها ، فلا ينبت ويضيع تعبه ، ويخفق سعيه ، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية – من عهد محمد علي إلى اليوم – فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فساداً – وإن قيل أن لهم شيئاً من المعلومات – فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم [٢] .

واستكمالا للمنهج في هذه الدراسة، سوف أستعرض بإذن الله تعالى، الآيات الكريمة التي تتعلق بضرورة الحكم بما أنزل الله، ومن ثم أقف بما يقدم الفائدة على أقوال بعض المفسرين لإيضاح الصورة ودعم المطلوب، والله المستعان .

---

[١]. سورة فاطر ، الآية (١٤) .
[٢]. انظر www.amrkhaled.net

أما الآيات الكريمة الواردة في بيان وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى ورد الحكم إليه سبحانه وتعالى دون غيره ، فبالإضافة لما سبق ، منها :

قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَاليوم الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [١].

وقوله تعالى : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) [٢].

وقوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَا اليكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً) [٣].

وقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا إليك الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إلى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إليك فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُون) [٤].

وقوله تعالى : (قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [٥].

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً) [٦].

---

[١]. سورة النساء ، الآية (٥٨ – ٥٩) .
[٢]. سورة النساء ، الآية (٦٥) .
[٣]. سورة النساء ، الآية (١٠٥) .
[٤]. سورة المائدة ، الآية (٤٨ – ٥٠) .
[٥]. سورة الأنعام، الآية (٥٧).
[٦]. سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

وقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً) [١].

وقوله تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاليه أُنِيبُ) [٢].

وغير ذلك كثير من الآيات الكريمة ذات الصلة المباشرة، وغير المباشرة في هذا الموضوع الهام والخطير.

إن الله تعالى منذ خلق الإنسان خلقه لعبادته ولإقامة شرعه في الأرض التي خلقها من أجله ، وهذا يتناسب كل التناسب مع أن يكون الحكم في ارض الله تعالى وفق المنهج الذي ارتضاه وقرره ، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [٣] ، وقال تعالى : (اليوم يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) [٤] .

نعم ، إن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس ، وليس أي دين آخر ، يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة إن الإسلام في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [٥] . وإن الله تعالى أعلمنا برضاه لنا ديناً، فإنه تعالى لم يزل راضياً بالإسلام لنا ديناً [٦] .

وللإمام الطبري رحمه الله في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى رضي منكم الاستسلام لأمره سبحانه وتعالى، والانقياد لطاعته، على ما شرع لكم من حدوده وفرائضه ومعالم دينه ، يعني بذلك: طاعة منكم له سبحانه ، فإن قال قائل ، يقول الطبري رحمه الله : أوَ ما كان الله

---

[١]. سورة الكهف، الآية (٢٦).
[٢]. سورة الشورى، الآية (١٠).
[٣]. سورة الذاريات ، الآية (٥٦) .
[٤]. سورة المائدة، الآية (٣) .
[٥]. سورة آل عمران ، الآية (١٩) .
[٦]. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، جزء ٦ ، ص ٦٣ .

راضيًا الإسلامَ لعباده إلا يوم أنزل هذه الآية ؟ قيل: لم يزل الله تعالى راضيا لخلقه الإسلام دينا، ولكنه جل ثناؤه لم يزل يصرف نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة، ومرتبة بعد مرتبة، وحالا بعد حال، حتى أكمل لهم شرائعه ومعالمه، وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه، ثم قال حين أنزل عليهم هذه الآية:"ورضيت لكم الإسلام" بالصفة التي هو بها اليوم ، والحال التي أنتم عليها اليوم منه دينا فالزموه ولا تفارقوه [١] .

وللإمام الرازي رحمه الله تعالى أن معنى (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) أن هذا هو الدين المرضى عند الله تعالى [٢] ويؤكده قوله تعالى : (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [٣] .

وهذه الآية تدل دلالة واضحة بينة أن الدين الذي يقبله الله تعالى ولا يقبل غيره هو الإسلام ، وأن الذي يأتي بغيره ويبتغي الحلول في غيره من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، ولعل ذكر الخسارة في الآخرة دون الدنيا فيه إشارة إلى أن البعض قد يفتتن عندما يرى أعداء الإسلام من الذين لم يتخذوه دينا ينعمون في هذه الحياة ويسرحون ويمرحون ، ولكن هذه الرفاهية وتلك السعادة التي يدعيها أعداء الدين سعادة ناقصة فهم يتخبطون في التيه والضياع والنكد عندما يرجعون إلى أنفسهم ، وهم يدركون أنهم ليسوا سعداء وان كان ظاهرهم يدل على خلاف ذلك .

إن من يطلب السعادة والهناء والأمن والأمان في غير دين الله تعالى ، وهو الإسلام المتمثل بإسلام الوجه لله تعالى ، وبالتسليم له وحده سبحانه ، ممثلا بشرعه الذي بعث به رسله عليهم السلام ، والذي كانت صيغته الأخيرة ما أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقرر الآية الكريمة أن من يطلب ذلك بغير الإسلام فلن يقبل منه [٤] .

وللإمام البيضاوي رحمه الله أن الإسلام هو الذي اختاره الله لكم ديناً من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير [٥] .

وهذا واضح عند المفسرين جميعا ولم أقف على مخالف بان الله تعالى اختار الدين الذي هو الإسلام ، وأنه سبحانه لا يقبل من عباده سواه ، ذلك أن الله تعالى شرع فيه من التشريع والأحكام والأوامر والنواهي ما جعله ديناً كاملاً تنعم به البشرية ويضيء للناس دروبهم بعد أن يعمر به قلوبهم ، وتتطهر به جوارحهم عملاً وسلوكاً .

---

[١]. انظر الطبري ، جامع ، مصدر سابق ، جزء ٩ ص ٥٢٣

[٢]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٥ ص ٤٦٩ ، وانظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٧٢٠ .

[٣]. سورة آل عمران ، الآية (٨٥) .

[٤]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ٢ ،ص ٨١٦ .

[٥]. انظر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٤٧ .

والدين كامل ، بنص الآية الكريمة ، قوله تعالى : (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) ، وإكمال الدين هو إكمال البيان المراد لله تعالى الذي اقتضت الحكمة تنجيمه ، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد ، التي لا يسع المسلمين جهلها ، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام التي آخرها الحجّ بالقول والفعل ، وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي ، كان بعد ذلك كلّه قد تمّ البيان المراد لله تعالى بحيث صار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن والسنّة ، كافياً في هدي الأمّة في عبادتها ، ومعاملتها ، وسياستها ، في سائر عصورها ، بحسب ما تدعو إليه حاجاتها ، فقد كان الدين وافياً في كلّ وقت بما يحتاجه المسلمون ، فكان الدين يكفيهم لبيان الحاجات في أحوالهم بمقدار اتّساع حاجتهم ، إذ كان تعليم الدين بطريق التدريج ليتمكّن رسوخُه ، حتّى استكملت جامعة المسلمين كلّ شؤون الجوامع الكبرى ، وصاروا أمّة كأكمل ما تكون أمّة ، فكمل من بيان الدين ما به الوفاء بحاجاتهم كلّها ، فذلك معنى إكمال الدين لهم يومئذٍ [١] .

وقد أضاف صاحب التحرير والتنوير رحمه الله تسعة مظاهر في كون الإسلام ديناً صالحاً لجميع الأمم في جميع الأعصر ،كان أولها إصلاح العقيدة بحمل الذهن على اعتقاد لا يشوبه تردّد ولا تمويه ولا أوهام ولا خرافات ، ثم بِكون عقيدته مبنية على الخضوع لواحد عظيم ، وثانيها جمعه بين إصلاح النفوس ، بالتزكية ، وبين إصلاح نظام الحياة ، بالتشريع ، وثالثها اختصاصه بإقامة الحجة ، ومجادلة المخاطبين بصنوف المجادلات وتعليل أحكامه ، بالترغيب وبالترهيب ، وذلك رعي لمراتب نفوس المخاطبين ، ورابعها أنّه جاء بعموم الدعوة لسائر البشر ، وهذا شيء لم يسبق في دين قبله قط ، وفي القرآن : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إليكم جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [٢] ، وخامسها الدوام ولم يَدّع رسول من الرسل أنّ شريعته دائمة ، بل ما من رسول ، ولا كتاب ، إلاّ تجد فيه بشارة برسول يأتي من بعده ، وسادسها الإقلال من التفريع في الأحكام بل تأتي بأصولها ويُترك التفريع لاستنباط المجتهدين وقد بيّن ذلك أبو إسحاق الشاطبي في تفسير قوله تعالى : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [٣] ، لتكون الأحكام صالحة لكلّ زمان ، وسابعها أن الإسلام جاء يحمل الناس على الخير بطريقتين :

---

[١]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ٤ ، ص ١٣٣ .
[٢]. سورة الأعراف ، الآية (١٥٨)
[٣]. سورة الأنعام ، الآية (٣٨) .

طريقة مباشرة ، وطريقة سدّ الذرائع الموصلة إلى الفساد ، وغالب أحكام الإسلام من هذا القبيل ، وثامنها الرأفة بالناس حتى في حملهم على مصالحهم بالاقتصار في التشريع على موضع المصلحة ، مع تطلب إبراز ذلك التشريع في صورة ليّنة ، وتاسعها امتزاج الشريعة بالسلطان في الإسلام ، وذلك من خصائصه؛ إذ لا معنى للتشريع إلاّ تأسيس قانون للأمة ، وما قيمة قانون لا تحميه القوة والحكومة ،وبامتزاج الحكومة مع الشريعة أمكن تعميم الشريعة ، واتّحاد الأمة في العمل والنظام ، ويختم ابن عاشور هذا كله بقوله وليعلم السامعون أنّ ما عليه أهل الكتاب لم يصل إلى أكمل مراد الله من الخلق على أنّه وقع فيه التغيير والاختلاف ، وأن سبب ذلك الاختلاف هو البغي بعدما جاءهم العلم ، مع التنبيه على أنّ سبب بطلان ما هم عليه يومئذ هو اختلافهم وتغييرهم ، ومن جملة ما بدّلوه الآيات الدالة على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه تنبيه على أنّ الإسلام بعيد عن مثل ما وقعوا فيه من التحريف [١] .

وهل بعد هذا الشمول في التشريع وتلك الدقة في الأحكام ، وهذا التناسق بين الأمر وإمكانية تحقيقه ، وهذه الروعة في مراعاة إمكانيات البشر من خلال سن التشريعات التي تبعد عنهم العنت والحرج ، قال تعالى : (مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [٢] ، وقال تعالى : (... يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ اليسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [٣] ، أقول هل بعد هذا يمكن لأحد أن يطلب الهداية والسعادة في غير هذا الدين ؟ .

وإذا كنا هنا في معرض حديثنا عن معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم، فإننا نستطيع أن نسجل وبكل ثقة أن الأمة، بله البشرية في أمس الحاجة إلى تجاوز هذا المعوق حتى لا يحال بينها وبين النور الحقيقي والسعادة الأبدية.

وكذلك ، فإن الباحث يرى أن الحديث عن تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم من شأنه أن يجر على الأمة ، بله البشرية جمعاء الدمار والخراب وعدم الاستقرار ، وإن نظرة سريعة إلى عالم اليوم كافية وكفيلة أن تضع البشرية أمام مسؤولياتها بالعودة إلى هذا الدين ووضعه موضع التنفيذ والتطبيق ، وهذه إشارة ووصف سريع لأهم المفاسد التي ترتبت وتترتب كل يوم على بعدنا

---

[١]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ٣ ، ص ٦٢ .
[٢]. سورة المائدة، الآية (٦) .
[٣]. سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

عن كتاب ربنا وتعطيل العمل بأحكام القرآن في واقع حياة الناس ، من خلال قول الله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اليمٌ) [١] .

- ما نشهده اليوم ونشاهده من فتن وآلام في مجتمعاتنا ما هو إلا نتيجة عن ابتعادنا عن ديننا وتعطيلنا لأوامر ربنا في أكثر شؤون حياتنا ، فالفتن يأتي بعضها وراء بعض ، والفتنة كما يراها الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان [٢] أن يفتنهم الله أي يزيدهم ضلالاً بسبب مخالفتهم ، عن أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا المعنى تدلّ عليه آيات كثيرة من كتاب الله تعالى ، كقوله جلّ وعلا : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [٣] وقوله تعالى : (فَلَمَّا زاغوا أَزَاغَ الله قُلُوبَهُمْ)[٤] وقوله تعالى : (وَأَمَّا الذين فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً) [٥] ، ولحقي رحمه الله في تفسيره أن الفتنة في قوله تعالى : (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) هي المحنة في الدنيا في البدن أو في المال أو في الولد كالمرض والقتل والهلاك وتسلط السلطان [٦] ، وكل ذلك ظاهر وقوعه لا ينكره إلا مجادل .
- ومن مفاسد تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم الضياع والتيه ، الأمر الذي يجعل الأمة والحالة تلك تركض وراء الحلول المستوردة التي ثبت فشلها في ديارها ، والتي جرت على البشرية الاضطراب والفوضى ، وفي هذا ما فيه من تبعية للغير ، في حين أن الإسلام يريد من المسلم أن يكون أستاذا للبشرية ومعلما للناس وقائدا لهم وفق شرع الله تعالى ، قال تعالى : (مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا

---

[١]. سورة النور ، الآية (٦٣) .
[٢]. انظر محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، مصدر سابق ، جزء ٦ ، ص ٤٢ .
[٣]. سورة المطففين، الآية (١٤) .
[٤]. سورة الصف ، الآية (٥) .
[٥]. سورة التوبة ، الآية (١٢٥) .
[٦]. انظر حقي ، تفسير حقي ، مصدر سابق ، جزء ٩ ، ص ١٨١ .

فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليوم تُنسَى) [١] ، وقال تعالى : (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [٢] .

- ومن تلك المفاسد انتشار الفساد في أنحاء المجتمع، في البر والبحر، الفساد الذي من شأنه أن يقوض المجتمع ويعمل على هدم أركانه، قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [٣] .

- ومن تلك المفاسد تعطيل العمل بكثير من الأحكام الإسلامية التي من شأنها إذا طبقت أن تحارب كل أنواع المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ويكفي أن أضرب لذلك مثلا ، نظام الزكاة ، تلك الفريضة شبه الغائبة ، والتي إذا ما طبقت ، بحسب المنصفين ، فإنها كفيلة بإخراج الناس من مشكلة الفقر والبطالة التي صارت مشكلة مستعصية في عالم اليوم ، قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ) [٤] .

- ومن تلك المفاسد ضياع القيم الحقيقية التي يجب أن تحكم البشر وبالتالي يحل محلها كل أنواع الظلم والاستبداد ، فيأكل القوي الضعيف ، ويسلب الغني حق الفقير ، وتحكم شريعة الغاب بكل ما فيها من قساوة ، وان كانت بأشكال متطورة وبألبسة براقة ، قال تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [٥] .

- ومن تلك المفاسد الفرقة والانقسام والتشرذم للأمة ، فحين يجمع الأمة العمل بشرع الله تعالى تكون امة قوية عصية على العدوان ، بل تكون مهابة الجانب من باب أنها مع الله تعالى وتستمد قوتها من قوة الله تعالى وعزتها من عزته سبحانه ، قال تعالى : (... وَلِلَّهِ

---

[١]. سورة طه ، الآية (١٢٤ – ١٢٦).
[٢]. سورة الملك ، الآية (٢٢) .
[٣]. سورة الروم ، الآية (٤١) .
[٤]. سورة المائدة ، الآية (٦٦) .
[٥]. سورة المائدة ، الآية (٥٠) .

الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [١] ، وحين تعطل الأمة العمل بشرع الله تعالى تصبح نهبا لكل طامع ، ومشاعا لكل معتد ، بل إنها وكما ذكرت سابقا تصبح امة خانعة ذليلة ليس لها من أمرها شيء ، فغيرها يفكر عنها ، ويملي عليها ما ينبغي ، وما لا ينبغي .

- وأخطر من ذلك كله استحقاق الأمة لغضب الله تعالى عندما تنحي شرعه عن واقع حياتهم وتستبدله بغيره من النظم القاصرة التي يضعها البشر ، وبذلك تستحق البشرية ، بعد مشيئة الله تعالى ، كل أنواع العذاب الذي يذكرها دوما بضرورة العودة إلى الله تعالى ، وإلا نزل بهم العذاب الخارج من الأرض ، وذاك النازل من السماء لعلهم يرجعون ، قال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اليمٌ) [٢] .

- لقد ترتب على تعطيل شرع الله تعالى آثار خطيرة وكثيرة ، تتجاوز الفرد والجماعة لتصل إلى الآثار المتعلقة بالمجتمع والأمة كالضعف الروحي ، والضياع الأخلاقي ، واستهانة أعداء الله تعالى وانتشار الجهل ، والتخلف العلمي في حين كنا فيه سادة وقادة وأساتذة، والاضطراب السياسي، والتيه الاقتصادي مع أننا نملك مقومات ومقدرات من شأنها أن تغنينا وتكفي حاجتنا ، وتزيد ، والضياع الاجتماعي الذي يفكك المجتمع في حين كان المجتمع تحت ظل شرع الله تعالى أسرة واحدة ، وغير ذلك كثير من الآثار السلبية المترتبة على تعطيل شرع الله تعالى ، ولا يخرج البشرية من هذا كله إلا بالعودة إلى الله تعالى وتحكيم شرعه ، قال تعالى :(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [٣] .

- إن تعطيل العمل بشرع الله وحكمه يعني في النهاية أن تظل البشرية غارقة في بحور من الظلمات ، تتخبط وتضطرب في حياتها ، وتنتشر الفوضى في أركانها وأعماقها ، ذلك لأنها خالفت الحق وابتعدت عن مصدر التشريع الحقيقي وهو شرع الله تعالى ودينه .

---

[١]. سورة المطففين ، الآية (٨) .
[٢]. سورة النور ، الآية (٦٣) .
٣. سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .

إن المطالبة بالعودة إلى تطبيق أحكام القرآن الكريم في واقع حياة الناس ليس مطلبا خاصا بالمسلمين ، مع أنهم حملته ودعاته ، بل هو مطلب كذلك بشري تحتاجه البشرية وتتعطش إليه ، ويوم أن يمكن الله تعالى لهذا الدين ويأذن له بالحكم ستبكي البشرية على كل لحظة ضاعت قبل أن تعيش في ظل الإسلام ، لذا نحن ندعو امتنا أولا لإعادة صياغة المطالبة الحقيقية للعودة إلى منهج الله تعالى ، وندعو ثانيا البشرية إلى ضرورة أن يتعرفوا على الإسلام بعيداً عن الصورة المشوهة التي رسمها أعداء البشرية الذين يحرصون على أن تبقى الناس تبعا لهم ، وأن تكون الناس بالتالي عبيداً لهم من دون الله ، قال تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اليم) [١] . وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِليك وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَالى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً) [٢] .

وتلك دعوة صادقة لهؤلاء وهؤلاء أن يسارعوا إلى الدخول تحت مظلة الإسلام، لينعموا بمستقبل أسعد وأجمل وأكثر استقرارا وأمانا.

المطلب الثاني

الجهل

والمعوق الثاني من المعوقات الداخلية في عملية بناء المستقبل ، بحسب الباحث ، الجهل ، ولا يختلف اثنان في أن الجهل أساس الدمار والذل والتبعية ، وكما أن العلم أساس البناء ، فكذا الجهل أساس الدمار والفناء .

ومن المفيد هنا أن أذكر بان من مقومات بناء المستقبل كما مر معنا في المبحث الأول من هذا الفصل هو العلم ، ويمكن أن يضاف ما قيل في ذاك المبحث ويصب في بيان أهمية العلم ودوره في بناء المستقبل ، وبالتالي بيان التحذير من الجهل باعتباره من عوامل الهدم عوضا عن كونه معوقا من معوقات البناء والنهوض .

---

[١]. سورة الشورى ، الآية (٢١) .
[٢]. سورة النساء ، الآية (٦٠ – ٦١) .

ويمكن الحديث عن الجهل كمعوق من معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم من خلال النظر في حث القرآن الكريم الكريم على العلم وبيان فضله وفضل المتصفين به ، وأن أهل العلم لا يستوون مع الذين لا يعلمون ، قال تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) [١] .

ومن أخطر الأمور في قضية الجهل والذي يصب في إعاقة البناء والنهوض ، أن الجاهل وبنص القرآن الكريم يظن أنه يحسن صنعا ، في حين أن القرآن الكريم وصفهم بأنهم الأخسرون أعمالا ، قال تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [٢] . والأخسرون أعمالا هم أولئك الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبتغون به ربحاً وفضلاً فنالوا به عَطَبا وهلاكاً ولم يدركوا طلباً ، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً، فخاب رجاؤه وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله وهم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة، بل كان على جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا : يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون [٣] .

وقال ابن عباس وسعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنهما : هم اليهود والنَّصارى ،وهو قول مجاهدٍ ، وقيل هم الرهبانُ الذين حبسوا أنفسهم في الصَّوامع [٤].

والمقول لهم في هذه الآية عند ابن عاشور رحمه الله هم المشركون وذلك توبيخاً لهم وتنبيهاً على ما غفلوا عنه من خيبة سعيهم [٥] .

والمختار هو كل من عمل عملاً فاسدًا، يظن أنه صحيح من الكفرة [٦] .

وهذا الجهل مع ظن صاحبه أنه يحسن صنعا من أهم معوقات البناء والتقدم ، ولعل الذين يدعون أنهم يملكون زمام العلم والمعرفة وهم بعيدون عن منهج الله تعالى وتعاليمه ، هم من أولئك الذين خسروا دنياهم وآخرتهم وهم فوق ذلك كله يظنون أنهم يحسنون صنعا .

---

[١]. سورة الزمر ، الآية (٩) .
[٢]. سورة الكهف ، الآية (١٠٣ – ١٠٤) .
[٣]. انظر الطبري ، جامع ، مصدر سابق ، جزء ١٨ ، ص ١٢٨ .
[٤]. انظر ابن عادل ، اللباب ، مصدر سابق ، جزء ١١، ص٢٤ ، وانظر ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، جزء ٤،ص ٣٤٤
[٥]. انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، جزء ٨ ، ص ٤٣٧ .
[٦]. انظر ابن عجيبة ، البحر المديد ، مصدر سابق ، جزء ٣ ، ص ٤٤٠ .

ونحن نقول إنه ما أحسن صنعاً من لم يقم دنياه ودينه وفق تعاليم الله تعالى وهديه ، وأنه ما أحسن صنعاً من أراد أن يبني المستقبل على أسس علمية سليمة ثم تجاوز كتاب الله تعالى الذي فيه هداية للعالمين وإرشاداً لجميع السالكين .

وما أحسن صنعاً من لم يتخذ العلم أساساً من أسس بناء المستقبل ، بل لقد خسر من لم يحارب الجهل لأن الجهل يهدم ويخرب ولم يكن يوماً محلاً للبناء أو النهوض .

إن الفرق بين العالم والجاهل كالفرق بين الأعمى والبصير ، والأصم والسميع ، وهو كالفرق بين الظلمات والنور ، قال تعالى : (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ) [١] ، وقال تعالى : (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [٢] .

نعم ، لا يستوي الأعمى والبصير ، الأعمى الذي لا يُبصر شيئًا ولا يهتدي لمحجة يسلكها إلا بأن يُهدى لا يستوي بحال مع البصير الذي يهدي الأعمى لمحجة الطريق ، إنهما لا شك لغير مستويين، فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يُبصر الحق فيتبعه ويعرف الهدى فيسلكه، وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رشدا [٣] .

وقد بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الجاهل بمثل هذه الحجة يكون كالأعمى والعالم بها كالبصير ، والجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات ، والعلم بها كالنور ، وكما أن كل أحد يعلم بالضرورة أن الأعمى لا يساوي البصير ، والظلمة لا تساوي النور كذلك كل أحد يعلم بالضرورة أن الجاهل بهذه الحجة لا يساوي العالم بها [٤] .

وللسمرقندي في بحره أنه كما لا يستوي الأعمى والبصير ، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ، ويقال : الأعمى الجاهل الذي لا يتفكر ، ولا يرغب في الحق ، والبصير العالم الذي يتفكر ، ويرغب في الحق [٥] .

---

[١]. سورة هود ، الآية (٢٤) .
[٢]. سورة الرعد ، الآية (١٦) .
[٣]. انظر الطبري ، جامع ، مصدر سابق ، جزء ١٦ ، ص ٤٠٦ .
[٤]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ،جزء ٩ ، ص ١٦٣ .
[٥]. انظر السمرقندي ، بحر العلوم ، مصدر سابق ، جزء ٢ ، ص ٤١٠ .

إن جهل الناس هو ما يقودهم إلى التخبط في الحياة ، ويؤدي بهم إلى الضياع والارتباك والتيه ، وبذا يكون الجهل من أشد الأضرار والمعوقات ، ومن أقوى عوامل الانحطاط والسقوط والانهيار للإفراد أولاً وللمجتمعات ثانياً ، وللأمم أخيراً .

وسوف أستعرض بإذن الله تعالى هنا مجموعة من الآيات الكريمة التي تذم الجهل ، وتحث المسلم أن لا يتصف به ، بل وان يبتعد عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، مع ضرورة التأكيد أن كل الآيات الكريمة التي مرت معنا في هذه الدراسة تحث على العلم وترغب به ، يمكن أن نضيفها هنا في مجال الاستشهاد من باب قولنا وبضدها تتميز الأشياء ، فأقول والله المستعان :

قال الله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ) [١]

.

وقال تعالى : (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [٢] .

وقال تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) [٣] .

وقال تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ) [٤] .

وقال تعالى : (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ) [٥] .

---

[١]. سورة الأحقاف ، الآية (٢٣) .
[٢]. سورة النحل ، الآية (٧٦) .
[٣]. سورة فاطر ، الآية (٢٢) .
[٤]. سورة غافر ، الآية (٥٨) .
[٥]. سورة هود ، الآية (٢٩) .

وقال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [١] .

وقال تعالى : (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ اليكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [٢] .

وقال تعالى : (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) [٣] .

والآيات الكريمة في هذا الباب متوافرة، أكتفي باستعراض أقوال المفسرين بما يدعم البحث والدراسة، ويوضح المقصود والغاية.

إن الجهل مفسدة ، وإن الجاهل لا يصلح أن يعيش في عالم اليوم إلا كما تعيش الأنعام ليس له من قراره شيء ، وإن الجاهل ليس مؤهلا للبناء ولا للنهوض ، وإن نظرة سريعة خاطفة إلى حال أمتنا اليوم ، أمة العلم ، ليجد الناظر فيها العجب العجاب ، فها هو الجهل يضرب في أوصالها وأعماقها ، وهو ينتشر انتشار المرض في الجسد ، الذي ينهكه ولا يميته ، وإن إحصائية للتعلم والتعليم في العالم العربي والإسلامي ، وإن كان ليس الموضوع هو المقصود ، لتدل على حجم المشكلة التي وقعت فيها أمة العلم ، حيث ذكرت المنظمة العربية للثقافة والعلوم أن عدد الأميين في العالم العربي وصل إلى سبعين مليون شخص خلال سنة ٢٠٠٥ [٤] .

ومع ضخامة هذا الرقم إلا أنه هنا ليس محل دراستنا، اللهم إلا بما يفيد في استنهاض الأمة وتحذيرها من مخاطر الجهل والأمية ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين.

ومن الملفت للنظر أيضا أن مراكز العلم واستشراف المستقبل تكاد تكون معدومة إذا ما قورنت بأعدادها في الدول الأوروبية في إشارة واضحة إلى بعد مسلمي اليوم عن مراكز العلم والتأثير ، والأخذ للأسف الشديد بحظ وافر من الجهل والأمية .

إن الباحث في دراسته هذه ليؤكد أن الجهل معول هدم ودمار ، وهو معوق من معوقات بناء المستقبل ، وإن أمة بمواصفات الأمة الإسلامية ، التي استحقت وبجدارة أن تكون القائدة والرائدة والصانعة لمستقبل البشرية ، لحري بها أن تحارب الجهل ، وأن تعمل على إشاعة النور لتصل إلى كل جنبات الكون لتسعد البشرية بالنور والعلم والخير .

---

[١]. سورة الأعراف، الآية (١٩٩).
[٢]. سورة الرعد ، الآية (١٩) .
[٣]. سورة الزمر، الآية (٦٤) .
[٤]. انظر جريدة الشرق الأوسط ، الخميس 61 ذو الحجة 5241 هـ 72 يناير 5002 العدد 47601 .

المبحث الثاني

المعوقات الخارجية

وكما أن هناك معوقات داخلية تحول دون السير بأمان في عملية بناء المستقبل والنهوض به لما فيه خير البشرية ، فكذا يوجد مجموعة من المعوقات الخارجية التي تجعل من عملية البناء هذه تصطدم بما يعكرها ويؤخرها ويحرم البشرية منها حينا من الوقت هي في أمس الحاجة أن تقضيه في سعادة وهناء .

غير أن أياً من العوامل الخارجية المعوقة للبناء سوف لا يكون له ذلك الأثر، إذا ما أحسنت الأمة بناء ذاتها الداخلي على أسس قوية ومتينة، تجعل من المعوقات الخارجية معوقات ثانوية لا ترقى أن تكون ذات بال.

أما إذا كان البناء الداخلي للأمة التي تريد بناء المستقبل غير مبني على الأسس القوية والثابتة والراسخة فان المعوقات الخارجية لا تقل أهمية عن المعوقات الداخلية ، بل إنها تكون عوامل ضعف تساعد الأعداء على سرعة الولوج في قلب الأمة وبالتالي العمل على تفكيكها ومنعها من استلام دورها القيادي والريادي في إدارة شؤون الناس ، وبالتالي تعيش البشرية مستقبلا مظلما قاتما يسوده الظلم والاستبداد وعدم الاستقرار .

وعليه فيرى الباحث ضرورة الحديث عن المعوقات الخارجية باعتبار أن هذه المعوقات تعمل في الحالتين على تأخير عملية البناء للمستقبل ، وسيكون الحديث عن هذه المعوقات في مطلبين فقط ، يظن الباحث أنهما الأشد خطرا والأكثر تأثيراً ، مع فتح المجال لغيرهما ،وهما كما يلي : المطلب الأول : مؤامرات الأعداء وإمكاناتهم المادية الهائلة والمطلب الثاني :الخطر اليهودي .

المطلب الأول

مؤامرات الأعداء وإمكاناتهم المادية الهائلة

اقتضت سنة الله تعالى أن تبقى المعركة دائرة بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين النور والظلام ، وهذه السنة مستمرة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهي بهذا المعنى تمثل الصراع والتدافع الذي يواكب حياة البشر طالما أن هناك إنساناً ، وطالما أن هناك من يحمل لواء الحق ،ومن يحمل لواء الباطل ، من يدافع عن الخير والرحمة والنور ، ومن يحمل لواء الشر والظلم والظلام .

قال تعالى: (يسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [١] .

"ولا يزالون" بهذه الصيغة التي تفيد الاستمرارية ، بصيغة المضارع ،والفعل المضارع يدل على الاستمرار أي مع تغير الزمان واستمراره وتبدل الظروف وتغير الأحوال ، وبهذا يقرر القرآن الكريم أن المعركة لا تزال مستمرة حتى يرد أهل الشر أهل الخير عن دينهم وعن خيرهم ، ومعنى لا يزالُون أي يدومون على ذلك الفعل لأن الزوال يفيد النفي فإذا أدخلت عليه : لا ، كان ذلك نفياً للنفي فيكون دليلاً على الثبوت الدائم [٢].

وحتى، كما يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله، في الآية الكريمة للتعليل، أي يقاتلونكم ليردوكم، وهو إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين، وأن الكفار لم ولن يكفوا عن هذا القتال وتلك العداوة حتى يردوا المسلمين عن دينهم [٣] .

والقتال ليس له صورة واحدة خاصة في هذا الزمن ، فهناك قتال بالسلاح وهو المعروف والمشهور ، ولا يزال أعداء الله تعالى وأعداء البشرية وأعداء البناء والنهوض والخير ، لا يزالون يقاتلون بكل ما أوتوا من أسلحة ومن قوة ، وهم ينوعون في طرائق قتالهم وعداوتهم ، ولا يقفون عند حد السلاح التقليدي المعروف ، بل يتجاوزونه إلى كل الأسلحة الممكنة من غزو فكري وتخريب للأخلاق ، ومحاربة لكل بذور الخير بإثارة الفتن وافتعال المشكلات هنا وهناك ، وفي زعزعة الاستقرار الأمني للناس ومحاربتهم في اقتصادهم لتجويع الشعوب والحصول من الشعوب المقهورة على التبعية والخنوع .

والقرآن الكريم حافل ببيان صفات أعداء الله تعالى من يهود ونصارى، بل كل الأعداء الذين لا يريدون لهذا النور أن يعم أرجاء الأرض، وممن لا يريدون لحكم الله تعالى أن يطبق في حياة الناس.

---

[١]. سورة البقرة، الآية (٢١٧) .
[٢]. انظر الرازي ، مفاتيح الغيب ، مصدر سابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٩ .
[٣]. انظر سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مصدر سابق ، جزء ١ ، ص ٥٠٤ .

وسوف أستعرض عدداً من الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة، والتي تبين مدى كيد الأعداء ومؤامراتهم للنيل من هذا الدين ومنعه من أن يصل إلى أركان المعمورة، ومن أن يعيش الناس في ظله حياة كريمة ومستقرة، ومن هذه الآيات الكريمة:

قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [١] .

وقوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [٢] .

وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ* لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ* قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ* وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) [٣] .

---

[١]. سورة آل عمران ، الآية (١٧٣ – ١٧٦) .
[٢]. سورة التوبة ، الآية (٣٢) .
[٣]. سورة الأنفال ، الآية (٣٦ – ٤٠) .

وقوله تعالى:(وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) [١] .

وقوله تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [٢] .

إن المتتبع لهذه الآيات ولغيرها ذات الصلة ، ليدرك أن المعركة لا تزال مستمرة إلى أن يشاء الله تعالى ، وأن أعداء البشرية والنور لن يألوا جهداً ولن يدخروا وسعاً لمحاربة أهل النور والخير ، بل إن الآيات الكريمة تؤكد وفي نظرة مستقبلية أن الذين كفروا سينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله تعالى وعن نوره وعن هديه ، ويؤكد القرآن الكريم أنهم فعلاً سينفقونها ، ولكن النتيجة لن تكون كما يريدون ، فإرادة الله تعالى غالبة ومنتصرة ، والعاقبة للمتقين كما أكد القرآن الكريم في أكثر من موضع .

بل إن القرآن الكريم ، مثلا ، يؤكد في هذه الآية الكريمة البينة : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [٣] ، أن الذين كفروا سينفقون أموالهم لغايات الصد عن نور الله تعالى ، ولكن هذه الأموال وتلك الجهود المبذولة للصد عن سبيل الله تعالى سوف تكون جهوداً ضائعة وتائهة ، بل ستكون عليهم حسرة أربع مرات ، بحسب الباحث ، مرة للأموال التي أنفقوها والتي كان من الممكن أن يستغلوها لصالح الإعمار والبناء ، وثانية للجهود والأوقات المبذولة من حياتهم والتي كان من الممكن أن يستغلوها ويتمتعوا بها وفق شرع الله تعالى ، وثالثة عندما تأتي النتيجة على خلاف ما خططوا ومكروا فهم يغلبون ، ورابعة عندما يلاقوا ربهم ويحشرهم إلى جهنم وبئس المصير ، ولتكون الحسرة مركبة ، وذلك زيادة في التبكيت والاستهزاء بهم ، ولتكون زيادة في بث الطمأنينة والثقة للمؤمنين بنصر الله تعالى ووعده ، وأنهم إن كانوا مع الله تعالى فان الله

---

[١]. سورة إبراهيم ، الآية (٤٦) .
[٢]. سورة الصف ، الآية (٨ – ٩) .
[٣]. سورة الأنفال، الآية (٣٦).

تعالى سيكون معهم ، مصداق ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [١] ، وقوله تعالى:(كَتَبَ الله لاَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى) [٢].

وفي مثل هذا يقول الإمام الطبري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية الكريمة إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقووا بها ، ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله فسينفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة وندامة ، لأن أموالهم تذهب سدى ، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله تعالى ، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم، فيعذبون فيها ، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك! أما الحيّ، فضاع ماله وذهب باطلا في غير درك نفع، ورجع مغلوبا مقهورا محروما مسلوبا، وأما الهالك، فقتل وسلب، وعجل به إلى نار الله يخلد فيها [٣] .

إنهم ينفقون أموالهم في غير السبيل الذي يجب أن تنفق فيه ، وهم ينفقون هذه الأموال لهدف في أنفسهم خبيث ، ولعدم حصول مرادهم من إنفاقهم تكون عليهم الحسرة والندامة ، فهم يتأسفون على إنفاق أموالهم وجهودهم من غير فائدة ، فيصير إنفاقهم لذلك كله ندماً وغمَّاَ ، لفواتها من غير حصول المقصود ، وجعل ذاتها تصير حسرة في قلوبهم [٤] .

وبالإضافة إلى الفعل "يزالون" المفيد للاستمرار ، فكذا قوله تعالى (يُنْفِقُونَ) بصيغة المضارع للإشارة إلى أن ذلك دأبهم وأن الإنفاق مستمر لإعداد العدد لغزو المسلمين ، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والاستقبال ، وأشعرت لام التعليل بأن الإنفاق مستمر لأنه منوط بعلة ملازمة لنفوسهم وهي بغض الإسلام وصدهم الناس عنه [٥] .

إنها سنة الله تعالى أن يقف الباطل بوجه الحق ، وأن يستمر الصراع ليميز الله الخبيث من الطيب ، ولتتمايز الأرواح الطيبة من تلك النكدة والنتنة ، وليصطفي الله تعالى جند الحق والخير والنور ، من غيرهم اتباع الباطل ودعاة الشر وأعوان الظلم والظلام ، إن الآية الكريمة تؤكد أن أعداء الله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله ويبغون الحياة ودروبها عوجاً ، ينفقون أموالهم ، ولا يزالون ، ويبذلون جهودهم ، ويستنفدون كيدهم ، ولا يزالون ، في الصد عن سبيل الله ، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين ، وفي حرب العصبة المسلمة في كل أرض وفي كل

---

[١]. سورة الحج، الآية (٣٨).
[٢]. سورة المجادلة، الآية (٢١).
[٣]. انظر الطبري، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق، جزء ١٣ ، ص ٥٢٩.
[٤]. انظر ابن عجيبة، البحر المديد، مصدر سابق، جزء ٢ ، ص ٣٥٦.
[٥]. انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، جزء ٦ ، ص ١٣٩.

حين ، إن المعركة لن تكف ، وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة ، ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن ، والله سبحانه وتعالى ينذر الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله بأنها ستعود عليهم بالحسرة ، إنهم سينفقونها لتضيع في النهاية ، وليغلبوا هم وينتصر الحق في هذه الدنيا . وسيحشرون في الآخرة إلى جهنم ، فتتم الحسرة الكبرى [١] .

وعند الحديث عن معوقات البناء للمستقبل ووضع التصور الأمثل لمستقبل أسعد ، وأكثر أمناً وأماناً ، لا بد من الإشارة إلى المعوق الخارجي المتمثل بكيد الأعداء ومؤامراتهم ، وهذا المكر وهذا العداء مكر خطير كبير تكاد تزول منه الجبال ، قال تعالى : (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال ُ) [٢] .

إن الباحث في هذه الدراسة يؤكد أن المعوق الخارجي المتمثل بكيد الأعداء ومؤامراتهم المتواصلة لمحاربة هذا الدين وأتباعه ، يشكل معوقاً مهماً من معوقات بناء المستقبل والنهوض بالبشرية إلى مصاف الأمن والأمان والاستقرار .

ولست في هذه الدراسة بصدد تسجيل الجهود التي تبذل من أعداء هذا الدين ليصدوا عن سبيل الله تعالى ، ولست بصدد ذكر مؤامرات الأعداء الذين ما فتئوا يحاربون الله ورسوله ليل نهار ، ويحاربون عباد الله تعالى الداعين إليه بكل ما أوتوا من جبروت وقوة وطغيان ، ولست في موضع يسمح لي أن أذكر بالأرقام الأموال والجهود التي ينفقونها لمحاربة الإسلام والمسلمين ، باعتبار أن الإسلام هو المؤهل الأقدر على حمل أمانة الحكم للبشرية ، مما يهدد مراكزهم ومصالحهم الدنيوية الدنيئة التافهة .

ويكفي أن أشير إشارة إلى تلك الجهود دون الخوض في كثير من التفصيل الذي ليس هذا مكانه ، حيث يتملك العجب من يعرف أن الأموال التي صرفت على التنصير مثلا في بلد مثل البوسنة تجاوزت ٢ مليار دولار ، وأن أكثر من ١٥٠ مليار دولار مجموع التبرعات التي حصل عليها المنصرون خلال عام واحد حسب نشرة إذاعة الفاتيكان [٣] ،

ولا بأس من أن أذكر سريعاً بعض هذه الجهود في محاربة النور ونشر الظلام في الأرض ، ليتبين حجم المعوق في حجب ومنع عملية بناء المستقبل من السير في طريقها بأمن ويسر ، فنقول مثلا أن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالى ربع مليون مؤسسة تنصيرية تمتلك ١٠٠مليون جهاز كمبيوتر تتبع ٢٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى في العالم ، وتصدر ١٠٠ألف كتاب و٢٥ ألف مطبوعة صحفية بأكثر من ١٥٠ لغة وكلها تخدم التنصير ،

---

[١]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ٣ ، ص ٣٩٩.
[٢]. سورة إبراهيم، الآية (٤٦).
[٣]. www.freetalaba.com.

وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة بالإضافة إلى ما سبق ذكره كلها متخصصة في التنصير ، وكذلك حوالى ١٠٠ ألف من المراكز والمعاهد والمحطات التي تتولى تدريب وتأهيل المنصرين على مستوى العالم الإسلامي، كما حققت الإرساليات الأجنبية دخلاً قدره ٨.٩ بليون دولار، ويعمل في خدمة التنصير 82 مليون جهاز كمبيوتر، وصدر ٨٨٦١ كتابًا و٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية تنصيرية، ووصل عدد الأناجيل الموزعة مجاناً إلى ٥٣ مليون ، كما تبلغ محطات الإذاعة والتلفاز المسيحية ٣٢٤٠ محطة وإذاعة ، وقد بلغ ما أنفق لدعم ميزانية التنصير خلال عام ١٩٩١م حوالى 181مليار دولار، والذي زاد بمقدار ٣٠ مليار خلال عامين، حيث كان عام ١٩٨٩م حوالى 151 مليار دولار[١] .

وعند الوقوف على المعوق الخارجي المتمثل بكيد الأعداء ومؤامراتهم ، لا بد من الوقوف مليا عند قوله تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[٢] .

فالقرآن الكريم يذكر في أكثر من موضع أن أعداء هذا الدين يعملون ليل نهار لمحاولة إطفاء نور الله تعالى المتمثل بهذا الدين ، وهذا النور ، ولكن تبقى إرادة الله تعالى هي الغالبة وأنه سبحانه وتعالى سيتم نوره ولو كره الكافرون ، والمشركون ، وكل أعداء هذا الدين.

يريدون إطفاء نور الله تعالى الساطع الباهر المهيمن ، بأفواههم الضعيفة القاصرة ، فكيف يتطاول هؤلاء لإطفاء نور الله تعالى ، فهذا تهكم في إرادتهم إبطال الإسلام ، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم الحق ومبلغه غايته وليعليه علَى الدين كله ،على جميع الأديان المخالفة له ، ولعمري لقد فعل الله تعالى ما وعد وقرر فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام[٣] .

وما أعجب حال هؤلاء وما أغرب تصرفهم وما أحمق فعلهم ، فمثلت حالهم بحالة نفر يبتغون الظلام للتّلصّص أو غيره مما يراد فيه الاختفاء فلاحت له ذُبالة مصباح تضيء للناس ، فكرهوا ذلك وخشُوا أن يُشعَّ نوره على الناس فتفتضح ترهاتهم ، فعمدوا إلى إطفائه بالنفخ عليه فلم

---

[١] www.almujtamaa-mag.com.

[٢] سورة الصف، الآية (٨ – ٩).

[٣] انظر النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، مصدر سابق ، جزء ٣ ،ص ٤٢٧ ، وأنظر الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، جزء ٧ ،ص ٥٣ ، وانظر ابو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، مصدر سابق ، جزء ٦ ، ص ٣١٩ .

ينطفئ يريدون عوق ظهور الإسلام كمثل قوم يريدون إطفاء النور، وإنما كانت كراهية الكافرين ظهور نور الله حالة يُظنّ انتفاء تمام النور معها ، لأنهم كارهون للنور ولأن تلك الكراهية تبعثهم على أن يتألبوا على إحداث العراقيل وتضليل المتصدين للاهتداء وصرفهم عنه بوجوه المكر والخديعة والكيد والإضرار وشمل لفظ الكافرون جميع الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم [١] .

ولقد صدق الله تعالى وعده فأظهر هذا الدين على الدين كله باعتبار أنه قوة ونظام حكم فدانت له معظم الرقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان، ثم زحف زحفاً سلميا بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقية ، حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبان الحركات الجهادية الأولى ، وما يزال يمتد بنفسه على الرغم من كل ما يرصد له في أنحاء الأرض من حروب ومكائد ، وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها ، ظاهراً بإذن الله على الدين كله تحقيقاً لوعد الله ، الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل ، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل [٢] .

وهذا الكيد وتلك المؤامرات لن تمنع النور من السريان في أوصال البشرية ولو بعد حين ، ولسوف يدرك العالم آجلا أم عاجلا ، أنه في أمس الحاجة لأن يسمح لهذا النور بالانتشار ، ولسوف يقف بكل ما أوتي من قوة لرد كيد الأعداء وإبطال مؤامراتهم المانعة والمعيقة لعملية البناء والنهوض للوصول إلى مستقبل زاهر للبشرية جمعاء .

إن كيد الأعداء ومؤامراتهم وإن كانت في ظاهرها جهوداً جبارة إلا أننا على يقين ، وبما بث فينا هذا القرآن العظيم أن تلك المحاولات منتهية إلى الفشل والبوار ولن يصح في النهاية إلا الحق ، فالحق أحق أن يتبع ، والحق أحق أن يحكم ، والحق أحق أن يسود ويقود .

إن المتتبع للآيات الكريمة التي تشير إلى كيد الأعداء يرى النتيجة الواضحة التي يقررها القرآن الكريم في كل مرة، أن النهاية لن تكون إلا بفشل تلك المؤامرات وبطلان كيدهم، وانتصار أهل الحق الذين يحملون راية القرآن الكريم، ويعملون بأوامره وأحكامه.

ويخلص الباحث مما سبق إلى النتائج التالية :

- كيد الأعداء ومؤامراتهم مستمر ولم ينقطع ولن ينقطع إلى أن يشاء الله تعالى ، وذلك مصداق قوله تعالى : (... وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ

---

[١]. انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، جزء ١٥ ، ص ٦٥.
[٢]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ٧ ، ص ١٩٧.

وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [١] .

- الجهود التي يبذلها أعداء الدين جهوداً جبارة ، والأموال التي ينفقونها أموالاً طائلة ، وهم غير متوقفين عند حد في الإنفاق للصد عن سبيل الله تعالى ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ* لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ) [٢] .
- يقرر القرآن الكريم أن ضرر هؤلاء وكيدهم لن تكون له قيمة على المدى البعيد ، بل هو مجرد أذى من شأنه أن يكون دافعاً ايجابياً يساهم في صياغة وصناعة الأجيال المؤهلة لاستلام الأستاذية والقيادة ، قال تعالى : (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ) [٣] .

صحيح أن كيد الأعداء ومؤامراتهم له دور المعوق لعملية بناء المستقبل ، إلا أن ذلك مدعاة لأهل الحق وأتباع النور أن يبذلوا جهودهم وأن يملكوا كل أسباب المقاومة والمجاهدة والمغالبة حتى يتم إيقاف هؤلاء عند حدهم ، وحتى يتسنى لعملية البناء والنهوض أن تأخذ محلها ودورها وبالسرعة المطلوبة من أجل عمارة الأرض بنور الله تعالى وهديه ، قال تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إليكم وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) [٤] ،

---

[١]. سورة البقرة، الآية (٢١٧).
[٢]. سورة الأنفال، الآية (٣٦ – ٤٠).
[٣]. سورة آل عمران، الآية (١١١).
[٤]. سورة الأنفال، الآية (٦٠).

وقال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [١] .

- وقبل الخروج من الحديث عن هذا المعوق الخارجي من معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، لا بد من التذكير بما بدأنا الحديث عنه من أن الأمة التي تحسن بنائها الداخلي على أسس قوية ومتينة تكون في منأى من هذا المعوق ، بل إن الأعداء يفكرون ألف مرة ومرة قبل أن يدبروا المؤامرات ويرسموا خطط الكيد والفتن ، وعليه فنحن مدعوون تحت راية القرآن الكريم أن نحسن بناءنا الداخلي ونحصن جبهتنا الداخلية لتكون عصية على كل تلك المحاولات .

المطلب الثاني

الخطر اليهودي

والمعوق الثاني من المعوقات الخارجية لعملية بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، بحسب الباحث ، الخطر اليهودي ، فاليهود هم أعداء البشرية ، وأعداء أنفسهم قبل أن يكونوا أعداء المسلمين ، بل إن مصدر الشرور كلها في العالم إما أن يكون يهوديا وإما أن يكون له صلة مباشرة باليهود عليهم لعائن الله تعالى المتعاقبة إلى يوم القيامة .

ولقد أدرك أعداء الإسلام أن من أهم المعوقات لإقامة أي قوة للمسلمين ، وأي اتحاد يمكن أن يقوم بينهم هو الخطر اليهودي ، وأن السبيل الأمثل لمنع أي اتحاد إسلامي أو حتى عربي لا بد أن يقف في وجهه هذا الكيد المستمر من اليهود والنابع من حقدهم على وعداوتهم للمسلمين ولكل عنصر خير في هذا الكون ، قال تعالى : (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ اليهودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) [٢] .

ولقد حذر القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة من خطر اليهود ، باعتبار أنهم محل كل فتنة ، ومظنة كل فساد وقتل وظلم وتسلط وعدوان وطغيان ، لذلك شغل الحديث عن اليهود في القرآن الكريم حيزاً كبيراً وواضحاً لما يتقرر لهم من دور في تعطيل مسار البشرية وجرها إلى عالم الحروب والنكبات بدل من المضي إلى مستقبل يعمر بالأمن والأمان والاستقرار .

---

[١]. سورة الصف، الآية (٨ – ٩).
[٢]. سورة المائدة، الآية (٨٢).

وسأقف في هذا المطلب الذي أتحدث فيه عن اليهود عليهم لعنة الله تعالى على مجموعة من الآيات الكريمة التي تتحدث عن اليهود ؛ عن صفاتهم وأعمالهم في الفساد والإفساد ،ودورهم في إثارة الفوضى والاضطراب ، ونشر الرعب والخوف في أوصال الناس ، فحيث ما كانت فتن أو قتل أو تشريد تجد الأصابع اليهودية هي العامل الأكبر والسبب المباشر وراء ذلك كله ، وأعظم وأوضح وأصدق من يصف اليهود ويعلم حقيقتهم هو الله تبارك وتعالى ، وقد بين لنا ذلك كله في القرآن الكريم ، وليس بعد قول الله تعالى قول ، مع ضرورة الإشارة والتأكيد هنا أن الحديث عن اليهود في القرآن الكريم يشغل مساحة واسعة وكبيرة ، لن أستطيع حصر جميع الآيات الكريمة ذات العلاقة والصلة ، لكنني سأكتفي بمجموعة من الآيات الكريمة التي أظن أنها بمجموعها تشكل صورة واضحة عن اليهود ودورهم المعيق للبشرية وتهديدهم المباشر لمستقبل البشرية الذي يطمح فيه الناس للعيش بأمن وسلام ، غير أن اليهود ووجودهم يشكل عائقاً كبيراً وراء هذه الأمنية الملحة والضرورية ، وإذا ما أراد العالم أن يعيش في أمن وأمان وسلم وسلام لا بد له من أن يطهر الأرض من رجس هؤلاء اليهود ودنسهم ، من خلال تضافر الجهود لمحاربتهم ، وباتجاه العمل على نشر القيم والأخلاق الفاضلة وبذر المعاني السامية والداعية إلى نشر الفضيلة ومحاربة الفضيلة .

وعلى العالم أجمع إن أراد أن ينعم بالأمن والأمان وبمستقبل مستقر أن تتضافر فيه الجهود لوضع حد لعنجهية اليهود وتحجيمهم بالحجم المناسب لهم ، حيث أنه لا وزن لهم ولا قيمة ، إلا بقدر ضعف سواهم ، أذكر من هذه الآيات الكريمة مثلا ، قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) [١] .

وقوله تعالى : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [٢] .

وقولـه تعـالى : (فَبِمَـا نَقْضِـهِم مِّيثَـاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

---

[١]. سورة البقرة، الآية (٦١).
[٢]. سورة البقرة، الآية (١٠٠ – ١٠١).

وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إليه وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً * فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أليما) [١] .

وقوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [٢] .

وقوله تعالى : (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ اليهودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) [٣] .

وقوله تعالى : (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [٤] .

وقوله تعالى : (وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [٥] .

وقوله تعالى : (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [٦] .

وقوله تعالى : (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ* ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) [٧] .

---

[١]. سورة النساء، الآية (١٥٥ – ١٦١).
[٢]. سورة المائدة، الآية (١٣).
[٣]. سورة المائدة، الآية (٨٢).
[٤]. سورة البقرة، الآية (٩٦).
[٥]. سورة آل عمران، الآية (٦٩).
[٦]. سورة البقرة، الآية (١٠٥).
[٧]. سورة آل عمران، الآية (١١١ – ١١٢)

وقوله تعالى : (فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [١] .

والآيات الكريمة ، كما ذكرت ، كثيرة ومتنوعة في وصف اليهود مما يعطي صورة متكاملة عن هؤلاء الشذاذ ، الذين يسعون في الأرض فساداً وخراباً ودماراً ، وحسبي هنا ما ذكرت بما يفيد بعد الرجوع إلى كتب التفسير في بيان دور اليهود عليهم الله تعالى كمعوق من المعوقات الخارجية لعملية بناء المستقبل والنهوض به إلى حالة من الأمن والأمان والاستقرار .

ولنأخذ مثلا قوله تعالى: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليهودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [٢] . لنؤكد ما ذهبنا إليه من العداوة الأبدية من اليهود والنصارى للإسلام وأهل الإسلام ، وأن اليهود والنصارى لن ترضى حتى عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولا عن المسلمين ، يوجه الله تعالى الخطاب إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن اليهود والنصارى ،ليست براضية عنك أبداً ، فالأولى ترك طلب رضاهم وموافقتهم ، والإقبال على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم ، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم ، لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضى بك ، إلا أن تكون يهودياً أو نصرانيا ، وذلك مما لا يكون منك أبداً ، لأنك شخص واحد ، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل ، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل ، فالزم هدى الله [٣] .

وسيظل اليهود والنصارى يحاربون الإسلام والمسلمين ، ويكيدون لهم ،ولا يسالمونهم ولا يرضون عنهم ، إلا أن يحيدوا عن هذا الأمر ، ويتركوا ويتخلوا عن هذا اليقين ، إلى ما هم فيه من ضلال وشرك وسوء تصور، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة ،إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما؛ وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما

---

[١]. سورة الأعراف، الآية (١٦٦ – ١٦٧).
[٢]. سورة البقرة، الآية (١٢٠).
[٣]. انظر الطبري ، جامع ، مصدر سابق ، جزء ٢ ص ٥٦٢ .

بينها ، ولكنها تلتقي دائما في المعركة ضد الإسلام والمسلمين إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها [١] .

إذن فالمعركة على الحقيقة معركة عقيدة ودين ، ليست معركة أرض ، وليست معركة ثروات ، لا مراكز ولا مصالح مادية ضيقة وآنية ، ليست هذه ولا تلك ، إنها معركة بين الحق والباطل ، وبين النور والظلام ، بين العدل والأمن وبين الظلم والفساد والإفساد ، تلك هي حقيقة المعركة التي يجب أن لا تغيب عن المسلم الذي يدرك حقيقة دينه ، ويعرف على الحقيقة طبيعة عدوه .

إن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ، في كل ما يحقق مصالحهم وخاصة فيما يتعلق بعدائهم للإسلام والمسلمين ، فهم وإن كانوا ليسوا على قلب رجل واحد إلا أنهم سيكونون كذلك إذا كان الهدف ضرب الإسلام والمسلمين ، فكونهم ليسوا على قلب رجل واحد بل إن قلوبهم شتى يقرره قوله تعالى : (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ) [٢] .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى في هذا المجال إن الصهيونية العالمية والصليبية العالمية ما زالتا حليفتين في الحرب على الإسلام على كل ما بينهما من أحقاد ولكنهم كانوا في حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم الخبير : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ اليهودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٣] ، وإذا كان الواقع التاريخي قد حفظ لليهود وقفتهم النكدة للإسلام منذ اليوم الأول الذي دخل فيه الإسلام عليهم المدينة؛ في صورة كيد لم ينته ولم يكف حتى اللحظة الحاضرة؛ وإذا كان اليهود لا يزالون يقودون الحملة ضد الإسلام في كل أرجاء الأرض اليوم في حقد خبيث وكيد لئيم ، فإن هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنهم اتخذوا من الإسلام موقف العداء [٤] .

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم : (وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) [٥] ، ومفاد ذلك أشمل وأعم من اليهود والنصارى ، يمتد ليصل إلى كل الذين كفروا وأنهم جميعاً أي الكفار أولياء بعض في حربهم للإسلام والمسلمين فهم

---

[١]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ١ ص ٨١.
[٢]. سورة الحشر، الآية (١٤).
[٣]. سورة المائدة، الآية (٥١).
[٤]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ٢ ص ٤٢٠.
[٥]. سورة الأنفال، الآية (٧٣).

ينصرون بعضهم بعضاً إذا كان الخصم هو الإسلام ولو كانوا متفرقين فيما بينهم ، وهم كذلك لا يحبون أن يقع للمسلمين خير ولا فائدة ، يحاربون المحبة والأمن والإيمان ، يحاربون النور والسلم والسلام ، وما يودوا أن ينزل على الناس خيراً من ربهم ، قال تعالى : (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [١] . بل يذهب القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك في تصوير حقدهم وعداوتهم ، فهم لا يكتفون في أنهم لا يحبون أن ينزل الله تعالى خير أي خير على الناس ، ويتجاوزن ذلك بحقدهم وطغيانهم وفسقهم وفجورهم إلى الرغبة الجارفة لإخراج المسلمين مما هم فيه من هداية وأمن وإيمان ، إلى الضياع والتيه والخوف والرعب ، إلى الكفر بعد الإيمان ، وفي هذا يقول تعالى : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ) [٢] .

إن القرآن الكريم يحذرنا والحالة تلك من موالاة اليهود والنصارى ، أو الثقة بهم ، أو حسن الظن بوعودهم ، فهم على ما ذكر القرآن الكريم محل إفساد وظلم لا محل إصلاح وعدل ، وهم محل فتن ومشاكل لا محل استقرار وهدوء ، وهم محل كل مصيبة ، ولم يكونوا يوما ولن يكونوا محل رحمة وتجميع وسعادة ، لذا يحذرنا القرآن الكريم من أن نتخذهم أولياء أو أن نثق فيهم ، قال تعالى : (وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٣] ، ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ اليهودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٤] .

علينا إذن إن أردنا أن نعيد أمجاد الأمة ، وأن نعاود استلام مقاليد البشرية باسم الله تعالى أن نعود إلى الله تعالى والى التمسك بشرع الله والاستقامة على دين الله ، قال تعالى : (

---

[١]. سورة البقرة، الآية (١٠٥).
[٢]. سورة البقرة، الآية (١٠٩).
[٣]. سورة آل عمران، الآية (٧٣).
[٤]. سورة المائدة، الآية (٥١).

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [١] ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [٢] ، وقال تعالى : (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً) [٣] .

يجب على المسلمين اليوم ، وفي كل يوم ، أن يعوا وأن يثقوا وأن يدركوا أن المستقبل لهذا الدين ، وإن كل الإرهاصات تدلل بمجموعها على هذه الحقيقة التي باتت لا تغيب عن كل متابع متدبر للقرآن الكريم ومتابع للأحداث في عالم الأمس واليوم ، ولا تغيب كذلك عمن قرأ حديث رسول الله الصادق المصدوق ، بأن ملك هذه الأمة سيبلغ ما بلغ الليل والنهار ، يقول صلى الله تعالى عليه وسلم : **(إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا)** [٤] .

إن الحديث عن المستقبل من منظور القرآن الكريم لا يمكن أن يكون حديثا متكاملاً إلا إذا بينا دور اليهود فيه من حيث الفساد والإفساد ، وكونهم ، أي اليهود ، أداة رئيسية من أدوات الخراب والدمار للمستقبل وأركانه ، وعليه فان الحديث القرآني عن اليهود امتد وبشكل ملفت للنظر وبتوسع ظاهر بين في الحديث عنهم على الرغم من أن اليهود حين نزول القرآن الكريم لم يكن لهم ذكر ولا وزن ولا قيمة ، ولكن الله تعالى وحده يعلم ما هو الدور الذي يمثله وجود هؤلاء اليهود في هذا الكون ، لذلك غطى القرآن الكريم بالحديث عنهم كل الجوانب التي يحتاجها المؤمن لتشكيل الصورة الحقيقية لهؤلاء اليهود ، وليكن منهم على حذر ، وليكن دوما على استعداد لمواجهتهم ومحاربتهم ، وبالتالي يكون على علم وهدى بالطريقة التي يجب فيها التعامل معهم ، فلا يضيع وقته بالحديث معهم ولا بالتحاور وعقد الاتفاقات وتوقيع المعاهدات فهم لا يحترمون عهداً ولا يوفون بوعد .

وليس الحديث هنا في هذه الرسالة عن اليهود عليهم لعنة الله تعالى من باب التفصيل في صفاتهم وأحوالهم ، ولا بالنظر إلى النتيجة الحتمية المتمثلة بزوالهم مصداق لكلام الله تعالى ، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال الله تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى

---

[١]. سورة فصلت، الآية (٣٠).
[٢]. سورة الأحقاف ، الآية (١٣) .
[٣]. سورة الجن، الآية (١٦).
[٤]. رواه مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هَلاَكُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، جزء ١١، ص ٢١٥٥ ، حديث رقم (٢٨٨٩).

يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [١] ، وقوله تعالى : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً) [٢] ، وقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام : (**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله**) [٣] ، أقول ليس الحديث هنا بهذا الاتجاه ، وإن كان حديثاً ذا شجون ، وأنا أحبه وأتمنى أن أبشر به هنا وعند الناس ، حيث أسال الله تعالى أن ييسر لي في قابل الأيام التخصص في بيان مصير اليهود من منظور قرآني ، غير أن الحديث هنا يتمثل في ذكر اليهود كمعوق خارجي من معوقات بناء المستقبل .

وإذا كنت قد أفردت الخطر اليهودي كمعوق مستقل من المعوقات الخارجية فذلك لما يشكلونه في المنظور القرآني ، بحسب الباحث ، من خطر داهم يتهدد الأمة الإسلامية بل والبشرية جمعاء ، وإلا فإنني لا أقلل من المعوقات الأخرى المتمثلة في الجهود العالمية من قوى الكفر قاطبة التي تحاك ضد الإسلام وأهله باعتبار أن الإسلام وأهله من وجهة نظر أعداء الله تعال أنهم الخطر وأنهم العدو الذي يجب أن يحاربوه ، وخاصة بعد أن اتفقت كلمتهم على الفساد والإفساد والفوضى الأخلاقية ونشر الرعب والدمار ، فهم على حرب وعداوة دائمة ومتواصلة لحملة الهدي الرباني والنور الإلهي الذي أراده الله تعالى وهم عليهم لعنة الله تعالى يصدون عن دين الله تعالى بكل ما أوتوا من قوة وطغيان وجبروت ، ويكفي إشارة هنا إلى لفت الأنظار إلى الدور الذي تلعبه الصليبية العالمية ممثلة بمركز البغي والفساد أمريكا في محاربة كل بذور الخير أينما نبتت أو حيثما ظهرت .

والمعوق المتمثل باليهودية العالمية يعتبر رأس الحربة في المعركة الأخيرة بين الإيمان والكفر، فاليهود عليم لعنة الله تعالى في طليعة المناوئين والمحاربين والفاسدين والمفسدين للبشرية كل البشرية.

---

[١]. سورة الأعراف، الآية (١٦٧).
[٢]. سورة الإسراء، الآية (٧).
[٣]. رواه مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، كتاب افتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة ، جزء ٣ ص ٢٢٣٩ ، حديث رقم ٢٩٢٢ .

ولعلني في هذه الدراسة أستعرض بعض صفات اليهود، عليهم لعنة الله تعالى، من منظور القرآن الكريم، حتى يتبين وبكل وضوح معنى أن يكون هؤلاء معوقاً من معوقات بناء المستقبل.

ومن صفاتهم في القرآن الكريم :

الإفساد في الأرض، قال الله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) [١] .

كفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء، وقتلهم الذين يأمرون الناس بالقسط والعدل والخير، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اليمٍ) [٢] .

قلوبهم قاسية ، قال تعالى : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون) [٣] .

تحريف الكلام عن حقيقته ، قال تعالى: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [٤] .

معرفتهم للحق والحرص على كتمانه والتواصي فيما بينهم على إخفاء الحق ، قال الله تعالى : (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ

---

[١]. سورة الإسراء، الآية (٤).
[٢]. سورة آل عمران، الآية (٢١).
[٣]. سورة البقرة، الآية (٧٤).
[٤]. سورة النساء، الآية (٤٦).

اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُون) [١] .

الشح والبخل الشديدين ، قال الله تعالى: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا) [٢] .

أكلهم أموال الناس بالباطل ، وصدهم عن سبيل الله تعالى ، وكنزهم للذهب والفضة وعدم إنفاقها في سبيل الله تعالى لبخلهم وحرصهم على الدنيا ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اليمٍ) [٣] .

المسارعة في الإثم والعدوان ، قال الله تعالى: (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [٤] .

حرصهم على أي نوع من أنواع الحياة بغض النضر عن الكرامة والعزة ، قال الله تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [٥] .

الجبن والخوف ، قال الله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) [٦] .

وقال الله تعالى: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) [٧] .

---

[١]. سورة البقرة، الآية (٧٦).
[٢]. سورة النساء، الآية (٥٣).
[٣]. سورة التوبة، الآية (٣٤).
[٤]. سورة المائدة، الآية (٦٢).
[٥]. سورة البقرة، الآية (٩٦).
[٦]. سورة المائدة، الآية (٢٢).
[٧]. سورة الحشر، الآية (١٤).

نقضهم للعهود ، قال الله تعالى: (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [١] .

الكذب على الله تعالى ، وجرأتهم في ذلك من خلال علمهم بأنهم يكذبون وهم يعلمون ، قال الله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إليك وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إليك إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [٢] .

وقال تعالى : (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [٣] .

بحثهم المتواصل عن الفتن وإشعال الحروب ، واستمرارهم في مقاتلة المسلمين ، بالإضافة إلى الجرأة على الله تعالى والفساد والإفساد في الأرض ، قال تعالى : (وَقَالَتِ اليهودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إليك مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [٤] .

وقال تعالى : (يسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ

---

[١]. سورة البقرة، الآية (١٠٠).
[٢]. سورة آل عمران، الآية (٧٥).
[٣]. سورة آل عمران، الآية (٧٨).
[٤]. سورة المائدة، الآية (٦٤).

حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [١] .

والحديث عن اليهود في القرآن الكريم كما مر سابقا يتسع ليغطي مساحة واسعة من الكتاب العزيز في إشارة واضحة إلى حجم العدو اليهودي ومدى تصديه ومحاربته للإسلام والمسلمين باعتبار أن اليهود عليهم لعنة الله تعالى يتسلمون في المستقبل زمام الفساد والإفساد والقتل والخراب والدمار .

وهذه بعض الآيات الكريمة التي تصف حال اليهود عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين والتي تفضحهم وتقرر وبكل وضوح الدور الذي يضطلعون فيه من بين الأمم ، وإلا فإن الآيات الكريمة لا يمكن أن يتم حصرها في هذه الدراسة إلا إذا كتبنا القرآن الكريم كاملا في هذه الرسالة .

أما بالنسبة لكونهم معوقاً من معوقات بناء المستقبل ، ومن باب عداوتهم للمسلمين باعتبار أن المسلمين هم حملة الخير والنور للعالم أجمع فإن اليهود يحملون راية العداء للإسلام و للمسلمين بل هم اشد الناس عداوة للذين أمنوا ، قال الله تعلى : (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ اليهودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) [٢] .

لقد فصل القرآن الكريم في وصف اليهود عليهم لعنة الله تعالى تفصيلا واضحا بينا حتى يكون المسلم على علم ويقين بطبيعتهم فلا يغتر بما يقال عنهم وبما يدعونه من أكاذيب وأباطيل، فليس بعد كلام الله تعالى كلام.

وعليه ، فمن كانت هذه حاله وتلك صفته ، كان خطرا على المسلمين بل وعلى البشرية جمعاء ، فإذا ما أردنا أن نعيش في مستقبل كله أمن وأمان فلا بد لنا التخلص من هذا الداء السرطاني البغيض والذي لا يجلب إلى البشرية إلا الموت والدمار .

لقد عمل اليهود، وهم ما زالوا يعملون ، وبكل الوسائل والإمكانيات المتوافرة عندهم ، وحتى عند عملائهم ، أقول لقد عملوا بكل ما أوتوا من قوة على تخريب وتحطيم كل المبادئ السامية والأخلاق الفاضلة ، ولقد حاربوا كل القيم الدينية التي جاءت بها الأديان السماوية ، وحاربوا الفكر النظيف ، والسياسية المستقرة والحكيمة ونشروا محلها الظلم والتسلط والطغيان ،

---

[١]. سورة البقرة، الآية (٢١٧).
[٢]. سورة المائدة، الآية (٨٢).

لقد حاربوا الحب والمودة ، ونشروا محلهما البغض والحقد والكراهية ، فهم فاسدون وبارعون في الإفساد .

وباستعراض سريع لتاريخ اليهود عليهم لعنة الله تعالى نجد وبكل وضوح أنهم وراء كل فتنة ، فهم من ألب الأحزاب على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة؛ وهم الذين ألبوا العوام ، وجمعوا الشراذم ، وأطلقوا الشائعات ، في فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه - وما تلاها من النكبات ،وهم الذين قادوا حملة الوضع والكذب في أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي الروايات والسير ، وهم من كان وراء إثارة النعرات القومية في دولة الخلافة الأخيرة؛ ووراء الانقلابات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال الدستور بها في عهد السلطان عبد الحميد ، ثم انتهت بإلغاء الخلافة جملة على يدي أتاتورك ،وسائر ما تلا ذلك من الحرب المعلنة على طلائع البعث الإسلامي في كل مكان على وجه الأرض ، وهم من كانوا وراء النزعة المادية الإلحادية ، ووراء النزعة الحيوانية الجنسية ، ووراء معظم النظريات الهدامة لكل المقدسات ،لقد كانت الحرب التي شنها اليهود على الإسلام أطول أمدا ، وأعرض مجالا ، من تلك التي شنها عليه المشركون والوثنيون - على ضراوتها - قديما وحديثا ، إن المعركة مع مشركي العرب لم تمتد إلى أكثر من عشرين عاما في جملتها . وكذلك كانت المعركة مع فارس في العهد الأول . وأما في العصر الحديث فإن ضراوة المعركة بين الوثنية الهندية والإسلام ضراوة ظاهرة؛ ولكنها لا تبلغ ضراوة الصهيونية العالمية [١] .

لقد لعنهم الله تعالى في غير موضع من كتابه الكريم ، قال تعالى : (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ) [٢] .

وقال تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) [٣] .

ولعل الأمر تعدى إلى أبعد من ذلك في المنظور القرآني ، ليوجه المسلم إلى أن يلعن اليهود ويتبرأ منهم في صلوات اليوم والليلة ليكون على حذر وانتباه واستعداد لما يجب أن يكون

[١]. انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، جزء ٢ ، ص ٤١٤.
[٢]. سورة البقرة، الآية (٨٨ – ٨٩).
[٣]. سورة المائدة، الآية (٧٨).

عليه موقفه منهم عليهم لعنة الله تعالى ، وذلك ظاهر بين في قوله تعالى : (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضالين) [١] .

وأكثر المفسرين في أن المغضوب عليهم هم اليهود عليه لعنة الله تعالى، وأن الضالين هم النصارى [٢] .

ولا أعتقد أنني أطلت في الحديث عن اليهود كمعوق من معوقات المستقبل ، بل إنني اشعر أنني لم أوف الموضوع ولو جزءاً يسيراً من حقه في البيان والشرح والتفصيل ، ولعل الله تعالى كما ذكرت سابقا ، أن ييسر لي الفرصة السانحة لعمل ذلك لما فيه من خير وفائدة في سبيل إيضاح الصورة التي تطمح البشرية لأن يكون عليه مستقبلها وحياتها .

وخلاصة القول إن المعوقات والتحديات التي تواجه عملية بناء المستقبل والنهوض به من منظور القرآن الكريم ، بحسب الباحث ، تتمثل في عوامل داخلية وأخرى خارجية ، داخلية متمثل بتعطيل العمل بأحكام الله تعالى ، الأمر الذي جر ويجر على البشرية كل أنواع البلاء والنكد والشقاء والتعاسة والظلم والجور والطغيان ، وكل أنواع التسلط والعدوان ، والخروج من ذلك كله ينحصر فقط بالعودة إلى الفهم الصحيح لهذا الدين وضرورة توظيفه في حياة الناس وتحكيمه ومحاربة تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم ، والمعوق الداخلي الثاني يتمثل في الجهل ، وقد مر أن الجهل سبب للدمار والفوضى ولن يكون في يوم محلا للعمران والبناء .

أما المعوقات الخارجية فهي ، بحسب الباحث ، تتمثل في معوقين اثنين رئيسيين يندرج تحتهما الكثير من الفروع والتشعبات ، المعوق الأول يتمثل في حجم المؤامرات والمكائد التي يقوم بها أعداء الله تعالى وأعداء البشرية ، والذي بينا من خلال الآيات الكريمة أن هذه المؤامرات مصيرها الفشل والحسرة في قلوب الأعداء في الدنيا والآخرة ، وأخيرا المعوق الأخطر المتمثل بخطر اليهود عليهم لعائن الله تعالى المتعاقبة إلى يوم القيامة ، ذلك الخطر المتنامي والمستمر من أعداء الله تعالى وأعداء الإنسانية والبشرية ، بل وأعداء كل خير ومحبة وسلام ،

إن الخطر اليهودي يجب أن يفرد له جانب مهم من جوانب كتابات العلماء وخاصة من قبل المفسرين ومن قبل أولئك الذين يتخصصون في القرآن الكريم وعلومه حتى يتم فضح صفات اليهود وأحوالهم ودورهم ليكون الناس على حذر وحيطة من هؤلاء الشذاذ ، وبالتالي ليكونوا على أهبة الاستعداد لإيقاف شرورهم وإبطال مفعول كيدهم ومؤامراتهم ، والله أسأل أن أكون قد وفقت

---

[١]. سورة الفاتحة، الآية (٦ – ٧).

[٢]. انظر الطبري ، جامع البيان ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ١٩٦، وانظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق جزء ١ ، ص ١٠٤، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، جزء ١ ،ص ٢٨، وانظر الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق، جزء ١ ، ص ١١،.

في عرض ما أردت من هذا الفصل سائلا المولى تعالى أن يغفر الزلات ويعفو عن الهفوات إنه سميع عليم .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وعلى من سار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم أما بعد :

إن الحديث عن المستقبل مطلب كل من يعيش في عالم الحاضر ، وهو رغبة جارفة تصاحب الإنسان لا يمكنه الاستغناء عنها أو كبتها حتى ولو شاء ، ذلك أن الفطرة البشرية مجبولة على التطلع إلى كل ما هو جديد ، والى معرفة ماذا سيحدث في الغد أو بعد غد .

ويمكن القول إن عملية استشراف المستقبل تكاد تكون عملية في غاية الأهمية عند جميع الناس وخاصة عند المهتمين في إيجاد مكان لهم في العالم القادم وحجز المقاعد الأولى في قيادة البشرية وإدارة شؤون الناس.

وتنبع أهمية هذه الدراسة ، بحسب الباحث ، في أنها لا تتحدث عن موضوع المستقبل فقط والذي كما ذكرت سابقا هو محل اهتمام الناس كل الناس ، بل تستند هذه الأهمية إلى كون الحديث عن المستقبل من منظور القرآن الكريم ، الأمر الذي يضيف أهمية على أهمية ، وبالتالي يصبح الحديث محل اهتمام الناس كل الناس .

ولقد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء وجلب اهتمام الأمة إلى موضوع الاستشراف والتخطيط للمستقبل لما له من الأهمية من خلال تنفيذ أمر الله تعالى بالإعداد والاستعداد وبذل كامل الاستطاعة من أجل امتلاك كل مقومات القوة وعناصرها بما يؤهل الأمة لتسنم دورها الريادي في قيادة البشرية وصناعة المستقبل وبالتالي استلام أستاذية العالم ، قال تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إليكم وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) [١] .

إن عملية استشراف المستقبل تخضع لكثير من المتغيرات والسيناريوهات إذا كانت معتمدة على نظريات وضعية وقوانين بشرية ، فهذه وتلك تبقيان قاصرتين عن التصور الشمولي الذي يصب لصالح المصداقية في النتائج والمقررات ، أما إذا كانت عملية استشراف المستقبل مستندة على القرآن الكريم ومنطلقة من منظور القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فإنها والحالة هذه تتمتع بكامل المصداقية والثبات والشمول ذلك أن الآيات الكريمة في القرآن العظيم ترقى لتكون محل كامل الثقة والمصداقية باعتبار ، وكما ذكرنا سابقا ، أنها كلام الله تعالى .

غير أن الأمر ليس بهذه البساطة الظاهرة ، لذا ينبغي التدقيق في فهم الآيات الكريمة وإسقاطها على معطيات الحاضر والمستقبل وبالتالي فان القضية لا تعدو أن تكون محاولة لفهم الآيات الكريمة التي تتحدث عن المستقبل وتصوره بالنظر إلى سنن الله تعالى وحكمته سبحانه وإرادته في إدارة شؤون خلقه .

والباحث في هذه الدراسة حرص كل الحرص على تعريف المصطلحات المستخدمة في هذه الدراسة لغة واصطلاحا كلما ظهرت الحاجة إلى ذلك ، والخروج بتصورات واضحة لعملية استشراف المستقبل من منظور القرآن الكريم ، والتنبيه المتكرر على أهمية عملية الاستشراف وأدواتها وخطواتها ، الأمر الذي يبين منهج الباحث في هذه الدراسة والذي يكاد يتلخص في وضع

---

[١]. سورة الأنفال، الآية (٦٠).

النقاط المهمة التي يراها الباحث ذات علاقة وصلة بمفردات المستقبل ، ومن ثم استعراض الآيات الكريمة ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة ، مع ذكر أقوال بعض المفسرين القدامى والمحدثين ، وبعد ذلك كله استخراج النتائج من خلال ربط هذه الأقوال بعملية استشراف المستقبل على اعتبار أن أقوال المفسرين هي الإضاءة التي يحتاجها الباحث للانطلاق منها إلى توظيف هذه الأقوال في عملية استشراف المستقبل .

وخلال ذلك كله، عمد الباحث على بيان السنن الإلهية في المستقبل الإنساني من خلال تعريف السنن وبيان أهميتها في الربط بين الماضي والمستقبل على اعتبار أن سنة الله تعالى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: (... هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) [١] .وكذلك ذكر أمثلة من السنن الإلهية التي تزيد الأمر وضوحا وتفصيلا وبيانا .

ثم قام الباحث باستشراف مستقبل الأمة كما يصوره القرآن الكريم على اعتبار أن الأمة الإسلامية هي المؤهلة لإدارة شؤون الناس في الأرض والقيام بواجب الخلافة باعتبار أنها حملة الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين والذي لا يقبل سبحانه وتعالى دينا غيره ، يقول تعالى في الأولى : (... اليوم يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [٢] . وفي الثانية يقول سبحانه وتعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [٣] .

وقد تفرع الحديث عن المستقبل ليشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي على اعتبار أنها الأسس والدعائم التي تبنى عليها المجتمعات وتنهض من خلالها الأمم ، ويرسم من خلالها المستقبل ويتصور ثباته وبقاؤه .

إن القرآن الكريم باعتباره كلام الله تعالى وبالنظر إلى أنه كتاب هداية للعالمين وبكل ما يمكن أن تحويه هذه الكلمة من معنى ، وبكل ما تشمله أحكامه من تنظيم معالم هذا الكون وفق نور الله تعالى هو الأقدر والأجدر على قيادة البشرية وصناعة المستقبل ، وما كانت الحضارة الغربية بقادرة في الماضي على جلب السعادة الحقيقية للعالم ، وهي كذلك أعجز من أن تكون

---

[١]. سورة فاطر، الآية (٤٣).
[٢]. سورة المائدة، الآية (٣).
[٣]. سورة آل عمران، الآية (٨٥).

جالبة للسعادة والهناء للبشرية بنظرياتها القاصرة ومادیتها الميتة الخالية من الروح ، وما ينبغي أن نعير انتباها إلى منظري الغرب من أمثال فوكوياما وغيره ممن يتبجحون بأنهم الأقدر والأجدر على صناعة المستقبل وأن المستقبل لن يكون إلا من صنع الإنسان الغربي ، بالنظر إلى ما يمتلكونه من أدوات القوة والبطش والدمار الخلية من كل معاني المشاعر والأحاسيس والروحانية .

لقد حان وبكل قوة دور الإسلام ليحكم من جديد وبات العالم اليوم أكثر عطشا للشرب من معينه ، ويمكن القول إن كثيراً من المؤشرات تشير وتوحي إلى أن العقيدة الإسلامية هي المرشحة الوحيدة الآن لإنقاذ البشرية ، ولتأخذ على عاتقها تخليص الإنسانية من الشقاء الذي لم تعد تجد منه مهربا ، وكاد الإنسان أن ييأس من النجاة بعد أن عانى ما عانى من ويلات الجاهلية المعاصرة ، ضياعاً في متاهاتها وشقاء يمزق الأعماق وحيرة تأخذ بالألباب،واضطراباً يفتت الأكباد ، وعاد كل ذي لب يحس بهذه النتيجة التي آلت إليها البشرية وأصبح كل مبصر يدرك أن هذا الدين الذي ارتضاه الله للبشرية رحمة وشفاء قد جاء دوره،وآن له أن يتقدم ليريح هذا الإنسان الضائع الحائر ، عاد المسلم يلمس أن هذا الدين مقبل من بعيد ليأخذ بيد الإنسان الشرقي والغربي على السواء ، لإنقاذهم جميعا وبث الروح المطمئنة من جديد باسم الله تعالى ووفق شرعه وهديه سبحانه [١] .

وبعد ذلك تطرق الباحث في دراسته إلى مقومات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم ، ويختصر هذه المقومات إلى مقومين أساسيين ، وبحسب الباحث فإنهما يتضمنان كل ما يمكن أن يتفرع من مقومات ودعائم لبناء المستقبل ، وهما المقومات الدينية (الروحية) ، والمقومات المادية ، أما المقومات الروحية فتتمثل بهذا الدين ، الدين الإسلامي الذي لا يمكن أن يتصور مستقبل ينعم أهله بالسعادة والهناء إلا تحت ظله ووفق تعاليم الله تعالى وهديه ، لتكون دعوة خالصة وصريحة وصادقة لاستئناف العمل بشرع الله تعالى وجعل هذه القرآن الكريم دستورا للحياة إن أردنا تلك الحياة ، وكذلك مقوم العلم الذي حث الإسلام عليه كل الحث ، واعتبر طالبه في عبادة وجهاد ، وكذلك لا يمكن أن يتصور مستقبل بلا علم ، لتكون دعوة صريحة وقوية لاستلام وامتلاك كل مقومات العلم والتكنولوجيا لخدمة المستقبل وفق علم الله تعالى المأمورين بتحصيله ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، ومن ثم تقديم التاريخ كمادة ضرورية من مقومات بناء الأمم على اعتبار أن التاريخ هو عمق الأمة وامتدادها ومرآة حضارتها ودليل صدق للنتائج المترتبة على التمسك بأوامر الله سبحانه وتعالى .

---

[١]. انظر عبد الله عزام، الإسلام ومستقبل البشرية، مكتبة المنار، ط ٢، ١٩٨٢، ص ٦.

وأما المقومات المادية فتلخص الحديث فيها حول مقومين اثنين ، الإنسان الخليفة ، بكل ما تعنيه كلمة خليفة ويمكن أن تحتمله، ليقوم الإنسان بالدور الذي خلقه الله تعالى من أجله ، والثاني تلك الإمكانيات المادية الهائلة والثروات الطائلة التي تمتلكها الأمة والتي تخولها إن أحسنت إدارتها واستثمارها أن تكون أمة قائمة بذاتها مستغنية عن غيرها في حياتها ومعاشها .

وأختم هذه الدراسة المتواضعة ببحث له من الأهمية التي تجعل نسيانه وعدم الحديث فيه نقصاً واضحاً وفراغاً ظاهراً ، ذلك هو الحديث عن معوقات بناء المستقبل من منظور القرآن الكريم، الذي يعتبر بحسب الباحث ، متمماً للدراسة وضرورياً لبيان وتجلية الصورة على الوجه الأمثل باعتبار أن تلك المعوقات لا يمكن إغفالها عند القيام بعملية بناء المستقبل والنهوض به إلى حيث تطمح البشرية وتنشد ، وقد تحدثت في هذا المبحث عن معوقين اثنين يمكن تصنيفهما بالمعوقات الداخلية والمعوقات الخارجية ، أما المعوقات الداخلية ، بحسب الباحث ، فيعتبر تعطيل العمل بأحكام القرآن الكريم وتعطيل حكم الله تعالى في الأرض من أكبر وأخطر المعوقات التي جعلت حاضر الناس اليوم في شقاء وبؤس وضنك ، عدا عما يمكن أن يجره بقاء هذا الحال إلى البشرية من دمار وخراب ، وقد بين الباحث أنه لا خروج من هذا المأزق العالمي إلا بالعودة إلى العمل بأحكام الله تعالى وتنفيذ أوامره بين الناس ، لتكون تلك ، أيضا ، دعوة صادقة وحقيقية للعودة إلى كتاب الله تعالى للخروج بالعباد من ظلمات الدنيا إلى نور الدنيا والآخرة ، أما المعوق الثاني من المعوقات الداخلية فهو الجهل ، والذي يعتبر معول هدم للأمم والشعوب ، وهو لم يكن يوما ولن يكون إلا كذلك ، وعليه فإن المستقبل لا يمكن تصوره بوجود الجهل وانتشاره بين الناس لتكون دعوة قوية إلى استعمال كل الأساليب الممكنة لمحاربة الجهل ونشر العلم والنور .

أما المعوق الخارجي فاكتفيت ببيان معوقين اثنين يعتبران ، بحسب الباحث ، من أخطر العوامل الخارجية التي تعمل على هدم المستقبل الذي يجب أن يكون وفق منظور القرآن الكريم ، فالمعوق الأول المتمثل بمؤامرات الأعداء وإمكاناتهم المادية الهائلة ، وما يعنيه ذلك من إدارة الصراع وفق وجهة تؤخر عملية المضي ببناء المستقبل وصناعته ، وقد بينت ومن خلال آيات القرآن الكريم ، وهذا منهجي في كل ما سبق ، أن كيد الأعداء ومكرهم وصدهم هن سبيل الله تعالى جهد لا يمكن إنكاره أو تجاوزه ، بل يجب إعطاؤه الحجم المناسب لتتم مقابلته بجهد مماثل أو يزيد ليرتد على أدباره خاسئا منحسراً ولتسير البشرية نحو الهدى والنور ، أما المعوق الثاني من معوقات البناء فهو الخطر اليهودي ، والذي يعتبر ، بحسب الباحث ، المعوق الأخطر والأكبر والأنكد ، ذلك أن اليهود عليهم لعنة الله تعالى ما توقفوا يوماً عن محاربة الإسلام والمسلمين ، بل لقد بذلوا في الماضي ، وهم يبذلون اليوم ، وسيفعلون كذلك في المستقبل كل ما بوسعهم للصد عن سبيل الله تعالى ومحاربة أهل النور والحق ، فهم أعداء الحق والنور ، والباحث هنا يؤكد بكل قوة ووضوح أن العالم إذا أراد أن يعيش في أمان وسلام وهدوء فلا بد له من أن يتخلص ويخلص

العالم من اليهود ، ولا يمكن ، بحسب الباحث ، أن نتصور مستقبلاً سعيداً وهانئاً تتوافر فيه كل مقومات الأمن والأمان والهدوء والاستقرار ، أقول لا يمكن أن نتصور ذلك مع وجود اليهود عليهم لعنة الله تعالى على وجه الأرض ، فهم السرطان الذي لا يمكن للجسم أن يصح ويصبح سليماً إلا إذا تم استئصاله وقلعه من جذوره ، لتكون هذه دعوة صادقة وواضحة وصريحة ، ليس فقط للمسلمين ، بل لكل ساكن في هذه الأرض يبحث عن الأمن والأمان والهدوء والاستقرار لمواجهة هذا السرطان .

وأذيل ذلك كله بخاتمة أبين فيها بعرض سريع ما تم الحديث عنه في هذه الدراسة.

التوصيات

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى الآل والأصحاب وكل من سار على الدرب واقتدى واقتفى، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم أما بعد:

يوصي الباحث في نهاية دراسته المتواضعة بمجموعة من التوصيات والاقتراحات التي يراها من نتائج البحث ، والتي يعتبرها توصيات ومقترحات مكملة للبحث وساندة له على اعتبار أن الأخذ بها سوف يسد كثيرا من العجز والضعف والثغرات التي تبينت للباحث خلال سيره في مراحل بحثه ودراسته ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل ، ومن هذه التوصيات :

١. استحداث مراكز أو مركز على الأقل في جامعة آل البيت العتيدة وبما يتناسب مع رسالة الجامعة الرائدة في مجال خدمة الإسلام والمسلمين ، على اعتبار أن هذا الموضوع استراتيجي يهم الأمة جمعاء ، ويخدم المشروع النهضوي الإسلامي ، هذا المركز المقترح يعنى بدراسة المستقبل من منظور القرآن الكريم ، يشرف عليه نخبة من أهل الاختصاص في مجال الدراسات الاستراتيجية والتخطيط ، ونخبة من أهل العلم الشرعي من المتخصصين في علوم القرآن الكريم

، وخاصة ممن يعتنون بعلم التفسير وممن لهم باع وذراع في هذا العلم ، يرصد هؤلاء العلماء الآيات الكريمة التي تتحدث عن المستقبل ويتم دراستها دراسة تفصيلية تحليلية واستخراج ما يمكن من تصورات للإفادة منها في توضيح صورة المستقبل من منظور القرآن الكريم ، ليصار إلى التقاء الخبرات الاستراتيجية مع التأصيلات الشرعية حتى يتم توظيف كل ذلك في خدمة النظرة إلى المستقبل من منظور القرآن الكريم ، وبما يساعد ويساهم في ترشيد الصحوة الإسلامية المتنامية ، ورفدها بإمكانيات توفر لها الجهد والوقت الأمر الذي يتكامل فيه مع دور الجامعة الرائد في خدمة المصلحة العليا للأمة الإسلامية .

٢. في حالة وجود أو تحقق التوصية الأولى ، فإن الباحث يوصي كذلك بعقد دورات تدريبية للعلماء والعاملين في حقل التفسير خاصة ، دورات خاصة بالعملية الاستشرافية من حيث معناها ووسائلها وأساليبها وغاياتها وطرقها وغير ذلك.... .

٣. الاتصال بمراكز استشرافية قائمة سواء على مستوى الوطن العربي أو حتى في العالم الأوروبي من أجل الإفادة من خبراتها في إدارة العملية الاستشرافية ، من باب تكامل الخبرات وتراكمها من جهة ، ومن جهة ثانية من باب الانطلاق من حيث انتهى الآخرون ليتوفر بذلك الكثير من الجهد والوقت .

٤. إرسال مجموعة من العلماء والدعاة في دورات استشرافية ،على مستوى العالم، متخصصة في علم الاستشراف المستقبلي ليعودوا إلى أمتهم بالخير العميم والفائدة المرجوة، بحيث يكون هؤلاء نواة لتشكيل هيئة تدريبية لغيرهم الأمر الذي يوفر العديد من المتخصصين في مجال الاستشراف وبمدة محدودة ليتسنى لنا الالتحاق بركب المراكز الاستشرافية المتقدمة بل وحتى تجاوزها بإذن الله تعالى .

٥. استكمالاً لدور الجامعة العتيدة في خدمة القضايا الإسلامية وخدمة المجتمع ، فإن الباحث يوصي بتبني الجامعة الموقرة لمشروع إحياء تطبيق أحكام القرآن الكريم في واقع وحياة الناس من خلال صياغة مشروع يرصد فيه كل الجوانب المتعلقة بالمطالبة بضرورة العودة إلى كتاب الله تعالى ، وعرض ذلك في مجال الموازنات بين الفوائد والخسائر تدعيماً لبيان ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ليصار إلى رصد الفوائد المترتبة على تطبيق أحكام القرآن الكريم وذكر المفاسد والخسائر الناجمة عن عدم تحكيم شرع الله تعالى في حياة الناس ، كل ذلك ليشكل مادة بين أيدي الناس من شأنها أن تزيد من تحرك الناس باتجاه المطالبة بتحكيم شرع الله تعالى وبكل قوة وصدق وجدية .

٦. وبما أن الدراسة خرجت بمجموعة من النتائج المهمة ، والتي خلاصتها أن الإسلام هو الأقدر والأجدر لقيادة البشرية ، وإخراجها مما هي فيه من ويلات ومصائب ، فإن الباحث يوصي بأن تعمم مثل هذه النتائج مدعمة بشهادة العلماء من مسلمين وغير المسلمين من

المنصفين وموثقة بالأرقام والحقائق التي من شأنها أن تنتقل بالناس من مجال العاطفة الجياشة إلى أن تصل إلى إقامة الحجة والدليل والبرهان ، وأقترح في هذا المجال أن يكون ذلك من خلال عقد عدد من الدورات للمجتمع المحلي تبشر بالنصر وتخرج بالناس من حالة اليأس والقنوط ، خاصة لأولئك الذين وصل اليأس والقنوط في قلوبهم إلى درجة لا يصح السكوت عليها .

٧. جامعة آل البيت بما تحمله وتضطلع به من دور ريادي في خدمة القضايا الإسلامية مدعوة إلى توسيع دورها وتوظيف إمكانياتها ليشمل أنحاء الوطن الحبيب من حيث فتح مراكز ومنتديات وإقامة الأنشطة ذات العلاقة والصلة ، هذه المراكز والمنتديات لها علاقة مباشرة بالجامعة العتيدة وتحمل نظامها الداخلي وتطبق سياستها في سبيل الإفادة من إمكانيات هذه الجامعة لما تتمتع به مصداقية وثقة بين أفراد المجتمع المحلي والوطن العربي من جهة وبما لها من مكانة راقية وعالية بين الجامعات في العالم من جهة ثانية .

هذا والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم

٢. أحمد بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، نسخة دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

٣. الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤. الإمام الترمذي ت (٢٧٩ هـ)، صحيح الترمذي ، دار الفكر، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ م .

٥. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ت (٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أ حمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠، ط ١.

٦. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ابن كثير، ت (٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧ م.

٧. عبدالله ابن عباس ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٠ م .

٨. القرطبي، أبوعبد الله محمد بن احمد الأنصاري ت (٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،ط١ ، ٢٠٠٢م.

٩. الآلوسي ، محمود أبو الفضل ، ت(١٢٧٠هـ) ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، نسخة دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ،١٩٨٧م .

١٠. ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ، ط ١،١٩٩٩ م .

١١. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، مجمع الفقه الإسلامي بجدة .

١٢. محمد الغزالي ، ت (٥٠٥ هـ) ، إحياء علوم الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .

١٣. محمد الصادق عرجون ، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن ، الدار السعودية للنشر ، ط١ ، ١٩٧١ م .

١٤. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ،ت (٤٢٩هـ) ، فقه اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

١٥. سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

١٦. أحمد بن فارس، ت (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٩٠ م.

١٧. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت (١٧٠) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي ،دار مكتبة الهلال ، بيروت .

١٨. إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح في اللغة ،نسخة دار الكتاب العربي ، القاهرة ،١٩٥٦ .

١٩. مرتضى الزبيري، تاج العروس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

٢٠. الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، نسخة وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ط١، ١٩٨٧ م.

٢١. أبي الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: د.حسن هنداوي دار القلم – دمشق ١٩٨٥م .

٢٢. علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨٦١ هـ ،(التعريفات) ، نسخة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٥ هـ .

٢٣. محمد عبد الرؤوف المناوي، ت (١٣٠١) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر - بيروت ، ط ١ ،١٤١٠ .

٢٤. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي ، اللمع في العربية ، تحقيق : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية - الكويت ، ١٩٧٢ .

٢٥. محمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠ هـ) ، فتح القدير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

٢٦. محمد رشيد رضا، ت (١٣٥٤ هـ)، تفسير القرآن الحكيم، نسخة دار المنار، ط ٢، ١٩٤٧ م.

٢٧. سيد قطب ت (١٩٦٦م) ، في ظلال القرآن ، نسخة دار الشروق ، بيروت ، ط ١١ ، ١٩٨٥م.

٢٨. محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي ، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ط١ ، ١٩٤٦م.

٢٩. محمد بن عمر الزمخشري، ت (٥٣٨هـ) تفسير الكشاف ، نسخة دار الفكر ، القاهرة ،ط١ ، ١٩٧٧م .

٣٠. محمد بن عمر الرازي ت (٦٠٦هـ) ،التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ .

٣١. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق أبو محمد الإدريسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط١ ، 1996 م .

٣٢. محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت(١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، نسخة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.

٣٣. الطبري، محمد بن جرير، ت (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ.

٣٤. يحيى حقي ، تفسير حقي من فيض الكريم ، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .

٣٥. سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، ت (٧٧٥)، تفسير اللباب في علوم الكتاب،

٣٦. برهان الدين أبو الحسن البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

٣٧. الحمد، محمد بن إبراهيم، قصة البشرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨. أبو السعود ،محمد بن محمد العمادي ،ت (٩٨٣هـ) ،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١، ٢٠٠١ م .

٣٩. أبو الفرج ابن الجوزي ت (٥٩٧ هـ) ،زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

٤٠. عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ت (٧١٠ هـ) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

٤١. أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل ، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط ١، ١٩٩٥ م .

٤٢. احمد بن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، ت(٧٤٨هـ) ،دقائق التفسير ، نسخة مؤسسة علوم القرآن – دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م .

٤٣. احمد بن تيمية ، ت (٧٤٨هـ) ،مجموعة فتاوى ابن تيمية، ، نسخة دار ابن حزم ، الرياض، ط٢، ١٩٨٠ م .

٤٤. احمد بن تيمية ت (٧٤٨هـ) ، رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

٤٥. أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار المؤيد للنشر والتوزيع 2005 م.

٤٦. السمرقندي ، بحر العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ م .

٤٧. أبو حامد الغزالي ت (٥٠٥ هـ) ،التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٨ م .

٤٨. عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ت (٥٩٧هـ) ،زاد المسير في علم التفسير، نسخة المكتب الإسلامي – بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٠ م .

٤٩. أبى الحسن علي البغدادي الماوردي ت (٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية ، نسخة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ،١٩٩٠ م .

٥٠. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ت (٨٠٨هـ) ، مقدمة ابن خلدون، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٨ ، ٢٠٠٠ م .

٥١. محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج تربوي فريد في القرآن ، مكتبة الفارابي ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .

٥٢. مالك بن نبي ت ١٩٧٣م، دور المسلم، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٤ م.

٥٣. مالك بن نبي ت ١٩٧٣م، الإنسان ومشكلة الحضارة، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٧ م.

٥٤. وليد عبد الحي، مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، نسخة الجامعة الأردنية، ط ١، ٢٠٠٢ م.

٥٥. محمود أبو السعود ، خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي ، مكتبة المنار الإسلامية ،الكويت، ط٢، ، ١٩٨٣ م .

٥٦. عبد الله بن سليمان المنيع ، بحوث في الاقتصاد الإسلامي ، نسخة المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٦٦م .

٥٧. محمد عمارة، الإسلام هو الحل، لماذا وكيف، دار الشروق، ط١، ١٩٩٥ م.

٥٨. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، الإسلام دين كامل ، مدرسة دار الحديث الخيرية ،مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٠٠ م .

٥٩. مالك بن نبي ت ١٩٧٣م، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، نسخة دار الفكر، بيروت.

٦٠. ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٦، ٢٠٠٠ م .

٦١. حسن البنا ، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ط٣، ١٩٨٤ م .

٦٢. سيد قطب ت ١٩٦٦م، الإسلام ومشكلات الحضارة، نسخة دار الشروق، بيروت.

٦٣. سيد قطب ت ١٩٦٦م، المستقبل لهذا الدين، نسخة دار الشروق، ط ٣.

٦٤. مهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى، المركز الثقافي العربي ، ط ٨ ، ٢٠٠٥ م .

٦٥. زيدان، عبد الكريم ، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ ، نسخة مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٦٦. شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٤ م.

٦٧. سيد قطب ت ١٩٦٦م مقومات التصور الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، نسخة دار الشروق.

٦٨. سيد قطب ت ١٩٦٦م، خصائص التصور الإسلامي، ط١، نسخة دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦ م.

٦٩. سيد قطب ت ١٩٦٦م، هذا الدين، نسخة دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦ م.

٧٠. يوسف القرضاوي ، حتمية الحل الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

٧١. عباسي مدني ، أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي ، مكتبة المنارة، مكة المكرمة .

٧٢. ابو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار الأنصار ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .

٧٣. سعيد حوى، الأساس في التفسير، نسخة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥ م.

٧٤. سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، نسخة دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٣م.

٧٥. عبد الله عزام، الإسلام ومستقبل البشرية، مكتبة المنار، ط ٢، ١٩٨٢م.

٧٦. محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، مطبعة لجنة التالف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٦٨ م.

٧٧. غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، وزارة الثقافة ، دمشق ،ط١ ، ١٩٨٤ م .

٧٨. بول اشميد ، الإسلام قوة الغد العالمية ، ترجمة د. محمد عبد الغني شامة ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٩٨٩ م .

٧٩. ابن عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عمر الراوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢.

٨٠. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩١م .

٨١. ابن منظور ت (٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ،١٩٨٠ م .

٨٢. الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

٨٣. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ،الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق : د. محمد جميل غازي ، مطبعة المدني ، القاهرة .ط ١ ، ١٩٨٢ م .

٨٤.معجم العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ناشرون، ط ٢،١٩٩٣ م.

٨٥. معجم العلوم القانونية ، دار الكتاب اللبناني، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م .

٨٦. جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٧٤م .

٨٧. محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق هاني الحاج ،نسخة المكتبة التوفيقية، مصر .

٨٨. www.elmandjra.org.

٨٩. www.mostakbaliat.com.

٩٠. www.islamtoday.net

٩١. www.kitabat.com

٩٢. www.islamtoday.net

٩٣. www.alwatan.com

٩٤. www.albayan-magazine.com

٩٥. www.sawtakonline.com

٩٦. info@futureislam.com

٩٧. www.iraq-amsi.org

٩٨. http://www.qaradawi.net .

٩٩. www.quranway.net

١٠٠. www.islamword.com

١٠١. www.alsabaah.com.

١٠٢. www.islamonline.net .

١٠٣. www.islamichistory.net/articles/bla1.htm

١٠٤. www.islamset.com/arabic/ahip/alalom/basha.htm

١٠٥. http://www.alwaqt.com

١٠٦. www.azzaman.com

١٠٧. www.tahawolat.com
١٠٨. http://www.islamset.com/arabic/ahip/alalom/basha.html
١٠٩. www.arabiyat.com
١١٠. www.raissouni.org
١١١. www.aljazeera.net
١١٢. www.annabaa.org
١١٣. www.iu.edu.sa
١١٤. www.alsakkaf.com.
١١٥. www.annabaa.org
١١٦. WWW. arabic.bayynat.org
١١٧. www.annabaa.org
١١٨. www.alwhyyn.net
١١٩. www.islamicnews.net
١٢٠. www.qaradawi.net
١٢١. www.amrkhaled.net
١٢٢. www.amrkhaled.net
١٢٣. www.freetalaba.com
١٢٤. www.almujtamaa-mag.com
١٢٥. AL-HADARA (CIVILIZATION): COMPLEXITY OF TERMINOLOGY AND COMPLEXITY OF PERFORMANCE , H. E .Prof. Dr. Hamid Bin Ahmad Al-Rifaie, World Muslim Congress - saudi (2005) .
١٢٦. ISLAM .. AND THE COMMON LAUNCHING – POINTS OF THE HUMAN CIVILIZATION, H. E .Prof. Dr. Hamid Bin Ahmad Al-Rifaie , World Muslim Congress - saudi (2005).
١٢٧. الدوريات:
a. مستقبل العالم الإسلامي ، مجلة فصلية للدراسات الاستراتيجية والجيوسياسية وقضايا الاجتماع البشري في العالم الإسلامي ،يصدرها مركز دراسات العالم الإسلامي ، مالطا .
b. البيان، مجلة إسلامية شهرية جامعة، تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن.
c. مجلة التجديد العربي، تاريخ المادة:- ٢٠-١٠-٢٠٠٥.

d. جريدة الوطن السعودية، العدد ١٤٣٤ السنة الرابعة، الخميس ١٧/رجب / ١٤٢٥هـ الموافق ٢ / سبتمبر / ٢٠٠٤ م.

e. موسوعة العلوم السياسية الصادرة عن جامعة الكويت .

f. مجلة النبأ ـ العدد ٣٥ ـ السنة الخامسة ـ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ.

g. جريدة الشرق الأوسط ، الخميس 61 ذو الحجة 5241 هـ 5002 العدد 10674 .

{ ABSTRACT }

Future Scope View in the Holy Quran Vision

The purpose of the present study was to cast light on and attract the nation's interest to the subject of future out-looking and planning considering its perceived significance in being responsive to the divine order implying preparation, harness and exerting the utmost efforts to acquire the power

which enabling the nation to assume its pioneering role of leading the humanity, future-making efforts towards a final objective of global professorship.

There are many intervening factors in the future prospective process and merely relying upon positivist theorization will surely make such approach to fall short than a more comprehensive one which gives reliability to results and conclusions. A future prospective approach which is based on the Holy Quran view, and takes it as a starting point will be more reliable and comprehensive considering its divine source.

The methodology followed by the researcher in the present study can be summarized in identifying themes, which in the researcher's view, are closely related to future terms, surveying Koranic verses directly or indirectly related to the identified themes, and presenting arguments by both old and recent exegesis scholars. Finally, lessons learned were identified by relating such arguments with the future prospective process. This study was organized into a preface, and other four chapters:

The preface identified concept, and terminology of future prospective process.

Chapter one included five sections about divine ordinance in human future, importance of studying ordinances as are the place where past and future consequences are likely to coincide if only were united in their premise.

Chapter two demonstrated the nation's future as delineated by the Holy Koran and included three sections of political, economic and social futures representing the most important pillars on which a stronger society can be established.

Chapter three discussed future building from the perspective of the Holy Koran in two sections; one was about religious and spiritual enablers and the other on the materialistic enablers as the right and power are integrative.

Finally, chapter four, in two sections, demonstrated hindrances facing future building from the Holy Koran perspective concluding that inoperative Holy Koran provisions was the main reason of world degradation and problems.

The conclusion was that this religion, as it is the truthful religion, shall win the future, the world will continue going astray as long as stayed unguided by the divine light as represented by this religion, and that the Muslim nation has a worthwhile merit to assume humanity leadership, future-making process, and to occupy the world professorship.